نحو تعديل المسار عقب ثورة ٢٥ يناير

دور الثقافة الإسلامية في تصحيح المفاهيم

سلسلة تقع في ٢٤ رسالة

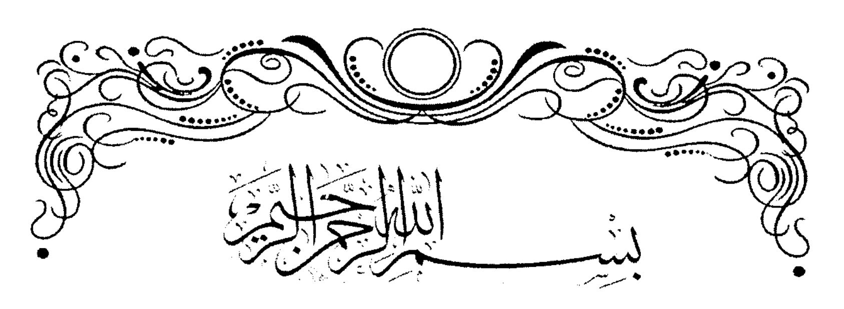
كتبه

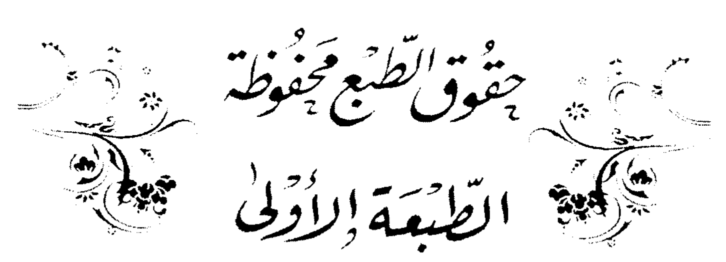
د. مصطفى حلمي

توزيع

دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية أبو سليمان ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٠٦٧١٤٧٦٨ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

دار الفتح الإسلامي
الإسكندرية مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧





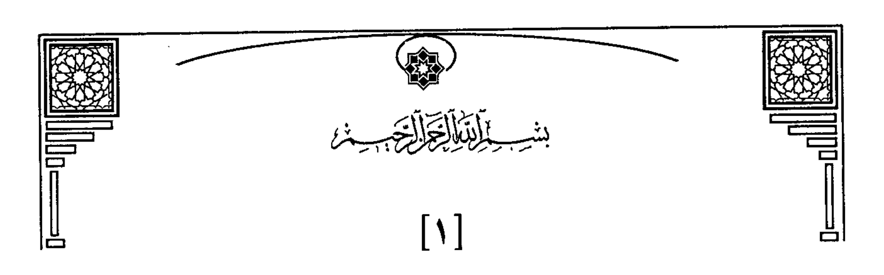
دار الخلفاء الراشدين
الأسكندرية

الطبعة الأولى:

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع : ١١٣٤ / ٢٠١١

الإدارة : ٠١٠٠٦٧١٤٧٦٨ المبيعات: ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦



[١]

ماذا بعد انقضاء المحنة

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١].

نجحت الثورة -والحمد لله- في إقصاء الطابور الخامس المرتبط بالمخطط الصهيونى الأمريكى الغربى في العالم العربى، وفى القلب منه فلسطين المحتلة، والقدس، وهذا الطابور الذى تولى عددا من المناصب القيادية الحساسة والمهمة خاصة في وزارات الدولة وأجهزة الإعلام القومية، فاطمأنت القوى النافذة عالميا لتطبيق مخططاتها الشيطانية لإضعاف مصر وتحجيم دورها الإقليمي والدولي[(١)].

وكان الغرض هو إبعادها عن الاستمرار بقيام الدور القيادي الذي سجله لها التاريخ.

ويتطلب التحليل استدعاء التاريخ- لأنه بالنسبة للأمم كان كالذّاكرة للإنسان الفرد - فالتاريخ يسجل بدء التغريب منذ محمد علي كما سيأتي وبدأ بمصر نظرا لمكانتها القيادية عربيًا وإسلاميًا، ثم جاء الاستعمار الإنجليزي ليعمق التغريب الذي أسهم فيه-مع الأسف الشديد-أفراد من النخب المصرية أمثال طه حسين وسلامة موسى وقاسم أمين ولطفي السيد بالإضافة إلى بعض

(١) أسامة غيث (دولة المافيا.. ومافيا الدولة) جريدة الأهرام بتاريخ ١٤ ربيع الآخر ١٤٣٢ - ١٩/ ٣/ ٢٠١١ ص١٣.

نصارى الشام كشبلي شميل وفؤاد صروف وجورج زيدان ثم جاءت الضربة القاتلة للمشروع الإسلامي في تركيا مقر الإمبراطورية الإسلامية حينذاك على يد كمال أتاتورك اليهودي الدونمي وفرض التغريب بالقوة بعد تحطيم الخلافة العثمانية باستيراد نظم التعليم والقوانين الغربية والعادات والتقاليد من أوروبا بل المجاهرة بمحاربة الإسلام والإلقاء بالسجون لعلمائه ودعاته.

ويرجع الانفتاح على الفكر الغربي وتقليد حضارة الغرب تاريخيًّا منذ حركة البعثات والترجمة في عهد محمد علي وخلفائه، وبخاصة إسماعيل الذي نادى بضرورة جعل مصر قطعة من أوروبا (وتحول التعليم من نظام الكتاتيب والمساجد إلى نظام المدارس الذي يتعلم فيها التلاميذ العلوم الحديثة واللغات الأجنبية.فكان بسبب هذا التحول الخطير، أخذت تتنازع مع طبقة مشايخ الأزهر البقاء حتى ورثتها. وبذلك فإن النهضة التي كان مفروضا أن تلحق الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية كانعكاس حتمي لتطور الحياة الاقتصادية الجديدة انتقلت إلى الفكر العلماني والانتهال من الحضارة الحديثة والإقبال على الفكر الغربي)[١].

ونحن لا نوافق على تعليل التطور بالحياة الاقتصادية، ولكن يكفينا إثبات أنه حتى التفسير الماركسي قد خلص إلى أن الأولى هو المضي في طريق النهضة الإسلامية بدلا من المشروع التغريبي الذي فرضه الاستعمار قسرًا على أمتنا.

وكرست العلمانية حركات الانقلابات العسكرية في العالمين العربي والإسلامي والتي سارت في طريق أتاتورك[٢].

---

(١) د/ عبد العظيم رمضان (الفكر الثوري في مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو)ص٤٩ مكتبة الأسرة بمصر ٢٠٠٤م.

(٢) قام أتاتورك بقطع جميع الصلات عن الإمبراطورية العثمانية، وقد بدأ في تغيير عقلية الشعب بكاملها وتصوراته وعاداته ولباسه وأخلاقه وتقاليده وألغى المحاكم الشرعية، وقانون الشريعة الإسلامية وقرر العمل بالقانون المدنى السويسرى والقانون الجنائى الإيطالى والقانون التجاري

وانزوى المشروع الحضاري الإسلامي إلى حين، ولكنه لقي تدعيمًا من علماء الإسلام كالأفغاني والشيخ محمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا وأحمد شاكر ومحمود شاكر ومصطفى صبري ود/ محمد حسين ومحمد قطب وسيد قطب وغيرهم ممن وقفوا بقوة لمواجهة المشروع التغريبي وبذلوا جهودًا خارقة لتحذير الأمة الإسلامية منه، ونجحوا في المحافظة على شعلة المشروع الإسلامي مضيئة بالرغم من تواضع وسائل النشر والإعلام بأيديهم، بينما كانت السلطات الحاكمة المدعمة بالاستعمار الغربي تملك أدوات القوة المتفوقة في مجالات التعليم والتربية والإعلام والاقتصاد والسياسة.

وأصبحت الأمة في محنة، تكالبت عليها الأمم، وأصبحت أراضيها مرتعًا لقوات الاحتلال الأمريكية، وزادت ضراوة الدولة اليهودية في طمس معالم القدس الإسلامية والتهديد بهدم المسجد الأقصى، وسامت الفلسطينيين وهم أهل الأرض الأصليين سوء العذاب ونصب الغرب عملاءه من الرؤساء والملوك والأمراء يأتمرون بأمره ويخضعون لسلطانه، وأصبحت مجتمعاتنا هدفًا لحملات التغريب والتنصير والعولمة لكي تنمحي شخصيتها وأصالتها وتذوب في كيان المستعمرين، ومن ثم تفقد أهم سلاح للمقاومة المتمثل في

= الألماني، وأدخل الأحوال الشخصية في القانون المدني الأوروبي، ومنع التعليم الدّيني وعطل مراكزه ومنع الحجاب وقرر السفور والتعليم المختلط، وألغى الحروف العربية وأبدلها بالحروف اللاتينية ومنع الأذان باللغة العربية وجعله بالتركية، وغير اللباس، وألزم لبس القبعة...
وقلدته حركات الانقلابات العسكرية (التى سميت تجاوزًا ثورية) في أغلب قراراته بالبلاد العربية بمصر والعراق وسوريا والجزائر، وتونس (وكان رئيسها «بورقيبة» قد تجاوز الحد وتفوّق على أتاتورك في التجرؤ على مهاجمة الإسلام حتى قامت وسائل الإعلام الرسمية بحذف تصريحاته النافرة).
وفى أندونسيا تبنّى (سوكارنو) الاتجاه اللاديني والشيوعى حتى انتزع منه ضباط الجيش السلطة.
المصدر أبو الحسن الندوي – (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية)ص٦٢-١٣٤-١٢٩ .دار البشير بالقاهرة ١٩٩٧م.

هويتها الإسلامية واتخاذ الجهاد سبيلًا للدفاع في معركة البقاء.

وقد كان صامويل هنتنجتون دقيقًا في وصف معظم حكومات الشرق ومنها- حكومة مصر-بأنها تفتقد لأي أساس يمكن أن تبرر بها حكمها على أساس من الإسلام أو الديمقراطية أو القيم الوطنية مستندًا إلى وصف (كليمنت هنرى مور) (بأنها أنظمة متحجرة، قمعية، فاسدة، معزولة تماما عن احتياجات وتطلعات مجتمعاتها. أنظمة كهذه يمكن أن تحافظ على نفسها لفترات طويلة، ومع ذلك يظل احتمال تغييرها أو سقوطها في العالم الحديث، وهكذا كانت إحدى القضايا الأساسية في منتصف التسعينات هي البدائل المحتملة من أو ماذا سيخلفها؟وفى منتصف التسعينات كان الخلف الأكبر الأكثر احتمالًا هو نظام متأسلم). (١).

وسيتحقق بمشيئة الله تعالى ظهور البديل الذي توقعه الباحث الأمريكى وستتعافى مصر من محنتها بعد تحررها وتمضى قدمًا كرائدة للعالم الإسلامي وكقلب الأمة العربية فتستعيد مكانتها التي تبوأتها عن جدارة بانتصاراتها على كلّ من الصليبيين والتتار، وقيامها بصدّ الاستعمارين الفرنسي والإنجليزي. وذلك بعد الإخفاق الذريع في تجارب السير وراء أوروبا التي أضاعت أجيالًا لأنها كانت تجرى وأمامها السراب (فقد خسر المحدثون بشقيهم الليبرالي والقومي المواجهة مع الغرب الاستعماري المهيمن، ومع مجتمعاتهم في نفس الوقت، وصعد نجم الأصولية والإسلاميون التي كانت حتى ذلك الوقت مقتصرة على الجوانب الاجتماعية والأخلاقية، بعيدًا عن العمل المباشر والاهتمام بشئون السياسة اليومية)(٢) بل إننا نتوقع بمشيئة الله تعالى أن تسهم

---

(١) صامويل هنتنجتون (صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمى)ص١٨٧ ترجمة طلعت الشايب تقديم د/ صلاح قنصوة طبعة سطور بالقاهرة ١٩٩٨ م.

(٢) خالد منصور (خلف الستار، وجه آخر لأفغانستان) ص٥٩. كتاب اليوم العدد رقم ٥٤٩نوفمبر ٢٠١٠م.ويتخذ المؤلف من آسيا الوسطى أنموذجًا لعودة الإسلام بقوة كمظهر

مصر في إحياء الحضارة الإسلامية من جديد.

والحق إنّ الحضارة الإسلامية –بالرغم من تدهور العالم الإسلامي ونجاح مخططات الغزو الثقافي الغربي المدمرة – لم تمت، بل ذبلت أغصانها وجاءت الصحوة لتعيد إليها النضارة ولتستوي على سوقها من جديد. وكان المؤرخ البريطاني المرموق (أرنولد توينبي) قد تنبأ منذ القرن الماضي أن حضارة الإسلام هي حضارة المستقبل بناء على دراسة مقارنة بين حضارتي الإسلام والحضارة الغربية، معللًا ذلك بعاملين:

الأول: إن الحضارة الإسلامية تكمن فيها طاقات غير قائمة في الحضارة الأوربية الحديثة التي تحمل في طياتها التناقض بين الفكر والعمل، بين أفكار المساواة والإخاء والحرية التي ورثتها عن الثورة الفرنسية، وفى التفرقة العنصرية التي تمارسها الآن بالفعل، هذا بينما طابع الحضارة الإسلامية الاتساق بين الفكر والعمل بصدد المساواة، إذ أمكن في أزهى عصورها أن يصل إلى مراكز السلطة فيها الرقيق والعبيد (مثل المماليك وكافور الإخشيدي).

الثاني: تحريم الخمر، وقد لا يدرك الكثيرون قيمة التحريم بالنسبة للحضارة[1].

ويستخلص من دراسته للحضارات أنه يمكن تفادي تدهور الحضارة وتخطي مرحلته إذا ما استطاع المجتمع أن يوحد صفوفه ويقضي على الشقاق الدّاخلي، ويواجه التحدي الخارجي، أى أن دور الإنسان ويقظته وإفادته من الأخطاء، وإصراره على المضي في الطريق يلعب دورًا كبيرًا في علاج مرحلة

= من مظاهر الصحوة الإسلامية، فبعد أن كان هناك نحو ١٦٠ مسجدًا فقط في أنحاء الجمهوريات ذات الأغلبية المسلمة تاريخيًّا فى بداية التسعينات، وصل عددها خلال عشر سنوات بعد الاستقلال إلى عشرة آلاف مسجد كما تضاعفت أعداد المدارس الدينية ص١٦٣ نفس المصدر.

(١) د/ أحمد صبحى (فى فلسفة التاريخ)ص ٢٥٨.

التدهور[١].

ويرى أن هناك ست حضارات ما زالت قائمة، كمجتمعات حية، وهي: الحضارة الهندية والحضارة الإسلامية، وحضارة الشرق الأقصى، والحضارة البيزنطية، والفرع الروسي من هذه الحضارة، والحضارة الغربية[٢].

ويعتقد بأن الحضارة الإغريقية هي السلف الحقيقي للحضارة الأوروبية الحديثة، وهذا تطبيقًا لنظريته بأن الحضارة لا تموت بالمعنى العضوي، ولكن تختفي ثم تعود للظهور[٣].

* * *

(١) لمعي المطيعي (أرنولد توينبي) ص١٣- ١٤.دار الكاتب العربى بالقاهرة العدد١٤٨ سنة ١٩٦٧م.

(٢) نفسه ص١١، ص ٢٩.

(٣) نفسه ص١١، ص ٢٩.



[٢]

انتشار الصحوة الإسلامية وقيادتها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

إن أمام شباب ثورة ٢٥ يناير الفرصة سانحة لنهضة كبرى ـ لا لمصر وحدها، بل للأمة الإسلامية بكاملها؛ لتستعيد حضارتها وتتبوأ مكانتها الجديرة بها بين الأمم في العصر الحديث، وما على الشباب إلا أن يخطو إلى الأمام لقيادة الصحوة الإسلامية التي شملت كافة العالم الإسلامي.

إن المتتبع لتاريخ الحضارة الإسلامية يلاحظ أنها كانت نتاج غرس الإسلام- عقيدة وشريعة وقيمًا - وسنّة الأمم في نهضتها أنها لا تزدهر إلا إذا كانت وليدة روحها وثمرة عقائدها؛ لكي تترسخ وتستمر، بعيدًا عن التقليد والمحاكاة بغيرها من الأمم.

وقد قطعت الأمة الإسلامية شوطًا بعيدًا في تقليد الغرب بعد أن فُرض عليها الاستعمار بنوعيه العسكري والثقافي وكانت نتيجته الفشل والإخفاق في كافة نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية والعسكرية، ومن هنا ظهرت حركة اليقظة الإسلامية التي وصفها الباحث الأمريكي هنتيجتون بأنها حدث تاريخي بالغ الأهمية.

وقد أخذ العصر طابع الإحياء الديني الذي يحدث في أجزاء كثيرة من العالم، وبعد فرض الماركسية الإلحادية على شعوب الاتحاد السوفيتي السابق، ظهر تغلغل الدين وانتشاره جليًا، وتدفق دعاة الإحياء الديني من ألبانيا إلى فيتنام، وفي روسيا حدثت صحوة كبرى للأرثوذكسية وفي سنة ١٩٩٤م أعلن

٣٠٪ من الروس تحت سن الخامسة والعشرين أنهم تحولوا من الإلحاد إلى الإيمان بالله. عدد الكنائس العاملة في منطقة موسكو زاد من ٥٠ في سنة ١٩٨٨م إلى ٢٥٠ في سنة ١٩٩٣م، القادة السياسيون أصبحوا يحترمون الدين، والحكومات تدعمه.

وفي الوقت نفسه اجتاحت آسيا الوسطى صحوة إسلامية، ففي سنة ١٩٨٩م كان يوجد في آسيا الوسطى ٦٠ مسجدًا عاملًا ومدرسة إسلامية واحدة، وفي أوائل ١٩٩٣م كان العدد قد أصبح عشرة آلاف مسجد وعشرة مدارس [١].

وفازت الجماعات الإسلامية في بعض الانتخابات التي تمت في الدول الإسلامية، وكانت قاب قوسين أو أدنى من السلطة في الجزائر، لو لم يقدم العسكر على إلغاء الانتخابات ١٩٩٢م [٢].

وجاءت ظاهرة العودة إلى الدين مفاجأة للنخب المثقفة التي افترضت أن التحديث الاقتصادي والاجتماعي يؤدي إلى ذبول الدين كعامل مهم في وجود الإنسان، ولم يلقوا بالًا للمحافظين الذين أبدوا منذ البداية انزعاجهم من العواقب الوخيمة لاختفاء المعتقدات والمؤسسات الدينية والهداية الأخلاقية التي يقدمها الدين والمتعلقة بسلوك الفرد والجماعة، وكانوا يحذرون من إشاعة الفوضى والفساد وتقويض الحياة المتحضرة [٣].

وقد سجّل الباحث الفرنسي (جيل كيبل) فشل الحداثة مع عزو انتكاسها ونهايتها إلى البعد عن الله، ولم تعد القضية قضية تحديث، وإنما قضية (أنجلة ثانية لأوروبا) أي: العودة إلى الإنجيل [٤].

---

(١) صامويل هنتنجتون (صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي) ص (١٥٩) ترجمة طلعت الشايب، تقديم د/ صلاح قنصوة ط. سطور بالقاهرة ١٩٩٨م..

(٢) نفسه ص (١٥٦).

(٣) نفسه ص (١٥٧).

(٤) نفسه ص (١٥٨).

ويقررّ هنتنجتون أن المسيحية والإسلام واليهودية والهندوسية والبوذية والأرثوذكسية كلها حدثت فيها صحوة في الالتزام والاقتراب والممارسة من قبل الذين كانوا يعتنقونها في السابق، وجميعها ظهر في حركات أصولية ملتزمة بتنقية عنيفة للمعتقدات والتقاليد والعادات الدينية وإعادة تشكيل السلوك الشخصي والاجتماعي العام بما يتفق مع العقائد الدينية [١].

وقد صدق الرئيس علي بيجوفيتش رحمه الله عندما قال: (إن العودة إلى الدين أصبحت ظاهرة عالمية في كل مكان قمع فيه الشيوعيون الدين على مدى خمسين إلى سبعين سنة-، نعم هناك أسلمة في البوسنة، وهي صحوة إسلامية بقدر ما فيها من صحوة أرثوذكسية وكاثوليكية، ولكن الفرق هو أن عودة المسيحيين إلى دينهم لم تلفت انتباه أوروبا المسيحية ـ وهو أمر أفهمه ولا ألومها عليه ـ أما عودة المسلمين إلى دينهم فقد اعتبرته أمرًا مفزعًا)[٢].

وربما أصاب الباحث الألماني شمتز في كتابه: (الإسلام قوة الغد العالمية) في التعبير عن هذا الانزعاج بقوله: (إن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوروبا، وهتاف يجوب آفاقها يدعو إلى التجمع لمواجهة **هذا العملاق الذي بدأ يصحو وينفض النوم من عينيه**) [٣].

وسبب الانزعاج أن (الوطن العربي ـ وهو قلب العالم الإسلامي ـ يشكل كتلة متراصة مترابطة ممتدة من المحيط إلى الخليج، تشرف على الخليج والمحيط الهندي وتحيط بالبحر الأحمر وتتحكم فيه من كل الجهات، ولها نصف شواطئ البحر الأبيض المتوسط وتطل شواطئها على المحيط الأطلنطي،

---

(١) نفسه ص (١٥٨).

(٢) مجلة المختار الإسلامي القاهرة ربيع الأول ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م ص (٩٥).

(٣) د/ دهام العزاي، مقال بعنوان:(صورة الإسلام في الغرب) ص(١٨٢) مجلة شئون عربية شتاء ٢٠١٠م العدد ١٤٤.

ولديها أكبر مخزون من البترول والغاز)[١].

وقد كانت الصحوة الإسلامية موضع اهتمام من الباحث الأمريكي هنتنجتون، وخصّها بعناية كبيرة واصفًا إياها في مستوى الثورة الأمريكية، إذ يرى أنها حدث تاريخي بالغ الأهمية يؤثر على خمس البشرية أو يزيد.

ويعرِّفها بأنها الجهد الذي يبذله المسلمون لإيجاد حل، ليس في الأيديولوجيات الغربية وإنما في الإسلام، ورفض الثقافة الغربية والعودة إلى الالتزام بالإسلام كدليل حياة في العالم الحديث[٢].

ويذكر أن الصحوة تيار عام وليست تطرُّفًا، ويرى أن هناك تشابهًا بينها وبين الإصلاح البروتستانتي في الغرب، كلاهما رد فعل لفساد وكساد المؤسسات القائمة، كلاهما يؤيد العودة إلى صيغة أنقى ومطلوبة من الدين، تدعو للعمل والنظام والانضباط، كلاهما يستهدي أبناء الطبقة المتوسطة النشطة[٣].

وهي نتيجة انهيار وقوّة الغرب.. فمع فقدانه لسطوته، فقدت مُثُله ومؤسساته بريقها[٤].

ولكن جانبه الصواب عندما طبّق ملاحظته على حركات الإحياء الديني على الإسلام بقوله: (فإن أي إحياء ديني ـ أو حركة ثقافية ـ لا يمكن أن يستمر إلى ما لانهاية، وعند نقطة ما سوف تخمد الصحوة الإسلامية وتذوب في

---

(١) السفير أمين يسري، مقال بعنوان: (اتجاهات الانفصال وممارسات التقسيم في المنطقة) ص (٦٧) نفس المصدر وتبلغ مساحة العالم الإسلامي ما يقرب من ربع مساحة اليابسة، وبذلك يكون أكبر وحدة في العالم تشترك بوحدة روحية فكرية وتصورات واحدة: (محمود شاكر (سكان العالم الإسلامي) ص (٩) مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

(٢) صامويل هنتنجتون (صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي) ص (١٨٠ - ١٨١) ط. سطور بالقاهرة ١٩٩٨م وهذا ما لاحظه مترجم الكتاب الأستاذ طلعت الشايب.

(٣) نفسه ص (١٨٢).

(٤) نفسه ص (١٩١).

التاريخ)[١].

وعذره أنه يجهل دور الركائز التي تدعم الصحوة الإسلامية - بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ ولم يُعن بتتبع تاريخ الحضارة الإسلامية الذي تعاقبت عليه فترات ضعف وقوة، ولم يدر بخلده عناية الله ﷻ بأمة الإسلام كما ورد بحديث رسول الله ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها**».

ويشرح ابن تيمية الحديث بقوله: (فالتجديد يكون بعد الدروس، وذلك هو غربة الإسلام، ثم يحاول إدخال الطمأنينة على النفوس لأن الحديث يفيد المسلم أنه لا يغتم بقلّة من يعرف حقيقة الإسلام، ولا يضيق صدره بذلك، ولا يكون في شك من دين الإسلام كما كان الأمر حين بدأ)[٢].

ولذلك ظلّت الحضارة الإسلامية باقية وتغلبت على ما صادفها من عراقل واتسمت بطابع الاستمرارية، فإن (الفارق الجوهري بين الحضارة الإسلامية وأي حضارة أخرى هي أن تاريخها لم ينقطع، وأن التطورات المتعاقبة رغم تميزها وانفرادها لم تمنع من أن خط التراكمات المتتابعة، ومن المنطلق الحضاري القومي الذي ظل دائمًا ثابتًا لم تصادفه القطيعة حتى اليوم)[٣].

ويقول الدكتور حسين مؤنس رحمه الله: إننا قصرّنا في أداء الرسالة التي نيطت بنا بعد النبي ﷺ (ولكننا لسنا بعد في آخر الزمان، ولازالت أمة الإسلام بخير، والله سبحانه وتعالى يبعث في قلوب أهلها الغيرة والحمية، وفحولة الأجيال الأول فتواصل الدعوة التي تحقق الرجاء، ونلقى ربنا يوم المعاد، وقد قمنا بحق الله علينا، حتى لا نقف صامتين، وقد أظلنا الخزي عندما نذكر قول الله تعالى:

---

(١) نفسه.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ص (١٨، ٢٩٨، ٢٩٩).

(٣) د/ حامد ربيع (سلوك المالك في تدبير المالك) جـ١ ص (٢٢) دار البعث بالقاهرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٦].

ويمضي قائلًا:

ورأيت الإسلام منذ أكرم الله الأرض به فاتحًا مظفرًا، يجد طريقه إلى القلوب كما يناسب الماء الطيب في الأرض، فيحييها، فتخضر وتخرج ثمرًا زكيًا)[١].

* * *

(١) د/ حسين مؤنس (الإسلام الفاتح) ص (٩) الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.



[٣]

فشل المشروع القومي

*** فشل المشروع القومي (البديل للجامعة الإسلامية):**

إن المشروع القومي كان أساسه تاريخيًا الانسلاخ من الخلافة العثمانية والاستقلال عنها بزعم إقامة (خلافة عربية)، وشجّعت إنجلترا على إقامتها، فقد رحّب (كتشنر) بها ووعد بحمايتها من الهجوم الخارجي، ولكن الحقيقة التي أسفرت عنها النتائج بعد ذلك أن إنجلترا كانت تعد بمساندة (فكرة ميّتة)؛ لأنها كانت (تعلم بلا شك أن الطامحين إليها كثيرون، بل تدفع نفسها بآخرين إليها، وإذا اتفق العرب على الخلافة فلن يتفقوا على الخليفة)(١).

ونحن لا نستغرب قيام الإنجليز بوضع بذور الانشقاق بين حكام العرب، فقد كان الشريف حسين يخشى العزل من الدولة العثمانية، (ويخشى العداء من خلفه من ابن مسعود الذي يحرّضه (مكتب الهند) البريطاني).

ويعلل مؤلف كتاب (المشروع القومي الذي لم يتم) الفشل بتقاعس همم العرب عند الخيار المطلوب، فكان هذا القاتل الذي موّه المشاعر (شعوب متحفزة ثائرة وقيادات متهالكة مساومة)(٢)، لأن الثورة العربية آلت إلى (إقامة

---

(١) د/ ذوقان قرقوط (المشروع القومي الذي لم يتم - بحث في نزعات التوحيد ١٩١٣م-١٩٥٢م)

ص (٢٣١) مكتبة مدبولي ٢٠٠٦م.

(٢) نفسه ص (١٣٤).

عروش في الحجاز والعراق والأردن. ولم يبدر من هذه العروش حركة واحدة باتجاه تحقيق الأماني العربية)[١].

وقد أخذ مؤلف الكتاب يفند في الفصل السابع من الكتاب بعنوان: (**بلاد مستباحة وشعوب واحدة، ذاهلة وضائعة**) أسباب النشاز في صفوف العرب، فيقول:

(فبدلًا من أن تواجه البلاد في الثلاثينات الاستعمار والصهيونية، موحدة كما واجهتها مباشرة في العشرينات قامت فيها أحزاب إقليمية وطائفية تبذر الشكوك بقومية البلاد وانتمائها العربي الإسلامي، وبوحدتها. فالحزب السوري القومي الذي أكرهته المستجدات على تبديل اسمه مرات، يلبي بفذلكته الاجتماعية سايكس بيكو، والحزب الشيوعي نشأ نشأة أجنبية مرتبطًا بنشر فكرة الشيوعية، ومعاداة الاستعمار قبل اهتمامه بمصير البلاد)[٢].

وعندما شُكلت الجامعة العربية في مارس ١٩٤٥م تطلعت الأنظار إليها لتحقيق الوحدة العربية المرجوة.. ولكن ماذا كانت النتيجة في الواقع المرير؟.

(انتهى الأمر فتمخضت الآمال الكبار العظام في تشكيل جامعة (دول عربية) لتبصم على ضياع فلسطين من جهة، ولتحمي الكيانات الإقليمية، وتحول دون وحدة حقيقية من جهة أخرى)[٣].

والباحث في نتائج أعمال جامعة الدول العربية يرجّح الرأي القائل بأنها من بنات أفكار (إيدن) الذي أراد بها قطع الطريق أما حركة قومية عربية أصيلة (تحقيق مراميها بدون وجود أثر لصنائع النفوذ الأجنبي)[٤].

ونرى أن إيدن ومن ورائه الغرب أراد قطع الطريق أمام قيام حركة (الجامعة

(١) نفسه ص (١٣٦).
(٢) نفسه ص (١٠٩).
(٣) نفسه ص (١٦١).
(٤) نفسه ص (١٦١).

الإسلامية) فلم يكن من المعقول أن يسهم الغرب بجيوشه للقضاء على الخلافة العثمانية، ثم يسمح بتحقيق كيان وحدوي آخر يهد مصالحه. فلم تنجح ثورة العرب الكبرى في وجه الخلافة العثمانية، إلا بمساعدة الأسطول الإنجليزي الذي كان عمادها.. فقد نزلت جنود إنجليزية وفرنسية في ثغور جدة ورابغ وينبع والوجه وغيرها من سواحل الحجاز... وإن الطائرات الإنجليزية هي التي كانت تستطلع مواقع الترك في المدينة وفي سواها من مدن الحجاز)[١].

كذلك لا ينبغي نسيان أول عمل منظم في حركة القومية العربية يرجع إلى عام ١٨٧٥م (عندما قام خمسة شباب من الذين تلقوا العلم في الكلية البروتستانتية في بيروت – الجامعة الأمريكية – بتشكيل جمعية سرية قبل تولي السلطان عبد الحميد بسنتين)[٢].

وحتى بعد أن وقعت كارثة فلسطين عقب كارثة سقوط الخلافة، لم يعِ قادة العرب الدرس واستمر مسلسل الهزائم.

يقول د/ ذوقان قرقوط: (وبعد كارثة فلسطين، والمهازل التي انكشفت في مواقف الحكومات العربية، من عجزها بل وعقمها، بات مطلوبًا بإلحاح للنهوض من الكبوة ولرد التحدي واسترداد الكرامة ورأب الجرح، التغيير: تغيير الحكم للوقوف في وجه الفساد والإفساد)[٣].

وبدأت سلسلة الانقلابات في البلاد العربية بدءًا بسوريا، وانتهاءً بليبيا في خلال أعوام متقاربة، وكان أحد أسباب الفشل في استرداد أرض فلسطين المغتصبة هو غياب فكرة الجامعة الإسلامية.

ويضيف إلى ذلك أن الحكومات العسكرية التي أقيمت بعد الانقلابات

---

(١) نفسه ص (١٣٥- ١٣٦).

(٢) نفسه ص (٧).

(٣) نفسه ص (١٦٥).

ألحقت الأضرار بالبلاد كما يرى الدكتور أحمد شلبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ويبدأ الضرر بالعسكريين الذين يقومون بالانقلابات، إذ سرعان ما يضرب بعضهم بعضًا مما يؤكد أن الصحبة بينهم قصيرة العمر، فشركاء حركة الانقلاب تقفز العداوة بينهم بمجرد نجاح الانقلاب، ثم يتجه الضرر للمدنيين في البلاد، وهذه النتيجة لم تتخلف على الإطلاق... لقد حدث هذا بوضوح في أمريكا اللاتينية، وحدث في بعض البلاد العربية ومن بينها مصر، وحدث في الباكستان وأفغانستان وأوغندة وإفريقية الوسطى واليونان)[١].

ويُلحق بفكرة القومية فكرة الوطنية إذ نجحت أبواق الاستعمار من خلال قنوات التعليم والإسلام والأذناب في تحويل الآراء إلى الاتجاه المعاكس فبشهادة الأستاذ محمد جميل بيهم (وكان المصريون جميعهم من دعاة الجامعة الإسلامية على اعتبار أن مصر إسلامية في دينها وحضارتها، وهي جزء من عالم إسلامي يلتف حول الخلافة، وتجمع بين أجزائه الأخوة الدينية).

ولكن بسبب انتشار الفكرة القومية في العالم الغربي روّج لها من يؤيدها في الأوساط المثقفة بمصر، فبرز أنصار الفرعونية (ومن ورائهم دولة الحماية[٢]، أي: إنجلترا وقامت بمصر بلبلة في الأفكار وتشتتت في المقاصد وذلك خلال الصراع الذي حدث بين جامعة إسلامية تتنكر لكل قومية، وبين قومية فرعونية تجاري النزعات القومية وتكافح كل كتلة دينية)[٣].

---

(١) د/ أحمد شلبي (موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية) ص (٩) - دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصرة ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم ص (٨٠١)، مكتبة النهضة ١٩٧٩م ويُنظر كتاب توفيق الحكيم (عودة الوعي) دار الشروق ٢٠٠٦م).

(٢) وهي لا زالت تسعى إلى الآن (عام ٢٠٠٦م) مع حليفتها الولايات المتحدة إلى تكريس المزيد من تفتيت البلاد العربية (السودان - العراق).

(٣) محمد جميل بيهم (العروبة والشعوبية الحديثة) ص (١١)، نقاش مع الأساتذة (أنطوان سعادة، كمال جنبلاط، سلامة موسى، د/ أمير بقطر)، ط. دار الكشاف - بيروت شعبان

ويضيف الدكتور محمد حسين بدقة كيف غَالى دعاة الفرعونية في مصر في دعوتهم فيقول: (إنها قد أصبحت دعوة انفصالية تنزع نحو الأنانية والانطواء على النفس، وتعارض الجامعة الإسلامية والجامعة العربية، وترى أن جامعة الوجود المكاني التي تربط بين من يعيشون على هذه الأرض اليوم وبين من عاشوا عليها منذ آلاف السنين، هي أقوى وأحق من الجامعة الزمانية التي تربط بينهم وبين أبناء جيلهم ممن يعيشون في غير مصر، وهي أقوى وأحق بالرعاية من الجامعة الروحية التي تربط بينهم وبين أبناء دينهم، ومن الجامعة العقلية والثقافية التي تربط بينهم وبين أبناء لغتهم)(١).

ولكن كان هناك تيار آخر يُمثله حزب مصطفى كامل باشا، الذي جمع بين بعث الوطنية المصرية، والدعوة إلى الجامعة الإسلامية التي تنتظم فيها الأقطار والوطنيات والقوميات... والوطنية بهذا المفهوم ترى الجامعة الإسلامية سياجها الإقليمي.. (ولم تكن وطنية سعد زغلول باشا التي تنفض اليد من الدائرة العربية والإسلامية يأسًا وقنوطًا)(٢).

وانتمى إلى مدرسة مصطفى كامل الدكتور عبد الرزاق السنهوري الذي كان يحلم منذ صغره بالجامعة الإسلامية، ويتمنى قيام جمعية أممية شرقية إلى جانب جمعية الأمم العربية(٣) وكتب يقول: (إن دول الشرق لا يمكن أن تجتمع على شيء واحد غير دين الإسلام... ولقد كنت أحلم صغيرًا بالجامعة الإسلامية... وكلما تقدمت في السن ازداد إيماني وتعلقي بقيام الشرق

= ١٣٧٦ هـ - مارس ١٩٥٧م.

(١) د/ محمد حسين (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) ط٢، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م جـ ٢ ص (١٤٠) مكتبة الآداب بالجماميز - القاهرة.

(٢) د/ محمد عمارة (إسلاميات السنهوري باشا) جـ ١ ص (٩٥) دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

(٣) نفسه ص (٩٦).

الإسلامي... وبجمعية أمم شرقية... فالشرق الإسلام، والإسلام الشرق.. إنهما شيء واحد.. وإذا تحدثت عن أحدهما فكأني أتحدث عن الآخر)(١).

ويتضح من هذه العجالة الخطأ الكبير الذي وقع فيه قادة العرب وعلى رأسهم الشريف حسين إذ أغفلوا حقيقة إرادة شعوب المنطقة التي لم تكن تقبل بغير حكم إسلامي، وهو ما أثبته الباحث دافيد فردمكين حيث قال:

(إن البريطانيين في القاهرة عند تقويمهم للتقارير التي تحدثت عن استياء الحكم العثماني في بعض أقسام الإمبراطورية، قد أخطئوا في فهم إحدى الخصائص البارزة للشرق الأوسط الإسلامي، أي أن هذا الشرق بقدر ما كان له من وعي سياسي، لم يكن مستعدًا للقبول بغير حكم إسلامي)(٢).

ثم توالت الثورات – أو بالأصح الانقلابات العسكرية – في المنطقة وكلها أغلقت أو على الأقل لم تلق بالًا إلى الخصائص البارزة لشعوب الشرق الإسلامي، وألقت وراء ظهرها فكرة (الجامعة الإسلامية) بينما كانت البديل الشرعي للخلافة العثمانية.

أضف إلى ذلك أن انفراط عقد الأحزاب والتكتلات في الأقطار العربية يرجع إلى عاملين:

الأول: إن مبادئها غير مستمدة من التراث الإسلامي فهي إما قومية عربية منسلخة من الإسلام، أو فلسفة شيوعية تتناقض مع عقائد الأمة وقيمها.

---

(١) نفسه ص (٩٣). ويذكر الدكتور محمد عمارة أن أهل القانون المصري توّجوا السنهوري إمامًا لفقهاء القانون الحديث... كما أن فقهاء القانون في أوروبا – وخاصة من إنجلترا وفرنسا – فقد أدركوا رسوخ قدم السنهوري في الشرعية الإسلامية والفقه الإسلامي، فأطلقوا عليه لقب (الإمام الخامس) بعد الأئمة العظام للمذاهب الإسلامية الأربعة ص (٦) نفسه المصدر. مع العلم بأن السنهوري باشا كتب كتابًا بعنوان: (الخلافة الإسلامية وتطورها لتصبح هيئة أمم شرقية) ص (٧٧) نفس المصدر.

(٢) (المشروع القومي الذي لم يتم) ص (٢٥).

الثاني: لم يكن القادة على مستوى تحمل المسئولية لتفشي الانتهازية لديهم[١].

ونستخلص من قراءة صفحة تاريخنا المعاصر، ودراسة أسباب الهزائم، أن زعماء العرب منذ زوال الخلافة العثمانية، وحتى الانقلابات العسكرية في البلاد العربية، افتقدوا النظرة الصائبة للمعركة مع الصهيونية بأبعادها التاريخية والدينية، ولم يفطنوا إلى أنها معركة الإسلام الكبرى في هذا العصر، وهي امتداد لمعارك صلاح الدين ونور الدين الشهيد)[٢].

وإذا درسنا أسباب نكبة فلسطين لوجدنا أن أحدها يرجع إلى تحويل القضية من بعدها الإسلامي إلى نطاق القومية العربية الضيق، فسلبها قدرات الأمة الإسلامية الهائلة، وأفقدها القيم المعنوية العليا التي ينبغي الدفاع عنها.

ويرى الشيخ محمد الصوّاف رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان لابد أن (ننقل قضية فلسطين من نطاقها العربي الضيق إلى نطاقها الإسلامي الواسع، ونستثير الشعور الديني لدى المسلمين في كل مكان، ونشعرهم أن معركة الإسلام الكبرى في هذا العصر، وإن العمل لها جهاد في سبيل الله)[٣].

ويعلل الهزائم المعاصرة للأمة بأنها شقيت (برجال عبدوا المناصب من دون الله، وضحوا في سبيلها بكرامة الأمة وبشرف الإسلام)[٤].

أما كون قضية فلسطين قضية إسلامية فلأن (مصير بيت المقدس والأرض المقدسة مرتبط بمصير الإسلام ووحدة دوله... ولأن العدوان الصهيوني على

---

(١) نفسه ص (٣٠) ونخالف المؤلف الفاضل بوصفه للمبادئ بأنها كانت صحيحة.

(٢) محمود محمد الصواف (نداء الإسلام) ص (١٣٥)، دار العلم – عمان، ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م.

(٣) نفسه ص (١٥٦).

(٤) نفسه ص (١٢٣)، بينما مرت الأمة في تاريخها بكوارث أشد هولًا مما تعانيه الآن ولكن قادها إلى الانتصار قادة مخلصون.

وينظر كتابنا (نكبة فلسطين من منظور فقه التاريخ) ط. دار الخلفاء الراشدين بالاسكندرية.

فلسطين عدوان على العالم الإسلامي باعتبار أن فلسطين هي الخط الأمامي له، وتشتمل على قبلة المسلمين الأولى وعلى مسرى ومعراج الرسول الأعظم ﷺ، وإن اقتطاع فلسطين من الجسم الإسلامي نذير خطر محدق بالأقطار الإسلامية)[١].

وقد أحيت فاجعة فلسطين في القلوب رابطة الانتماء الإسلامي، وارتفعت بمستواها عن الانتماء الوطني، فكتب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللَّهُ بأسلوب أدبي رشيق يقول: (يا فلسطين! إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحًا دامية، وفي جفن كل مسلم جزائري منتحلًا عبارات هامية، وعلى لسان كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة هي: فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير، قبل أن تكون قطعة من وطني العربيِّ الصغير)[٢].

وخلاصة القول فبعد فشل المشروع القومي الذي كان سببًا في الهزائم المتتالية؛ لم يبق إلا الالتجاء إلى الوحدة الإسلامية، حتى في شكل الغير كاملة حسب وصف الدكتور السنهوري، إذ يجوز تعدد الخليفة للضرورة (ولكن الخلافة هنا تكون خلافة غير كاملة، على أن الخلافة الكاملة يمكن تحققها إذا اجتمعت كلمة المسلمين، لا على أن تكون له حكومة مركزية واحدة، فذلك قد يصبح مستحيلًا، بل يكفي، على ما أرى أن تتقارب حكومات الإسلام المختلفة وأن تتفاهم بحيث يتكون فيها هيئة واحدة شبيهة (بعصبة الأمم المتحدة) تكون على رأس الحكومات، وتكون هي هيئة الخلافة، ولا سيما إذا ألحق بهذه الهيئة مجلس مستقل عنها، ويكون مقصورًا على النظر في الشئون الدينية للمسلمين)[٣].

(١) محمد دياب (الإسلام والمواجهة الشاملة) ص (٧٠) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة العدد (١٤٩) شعبان سنة ١٣٩٣ هـ- سبتمبر ١٩٧٣م.

(٢) محمد البشير الإبراهيمي (عيون البصائر) ٢ ص (٤٩١)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر بدون تاريخ نشر.

(٣) د/ محمد عمارة (إسلاميات السنهوري باشا) جـ١ ص (٣٣٠).

وعلى إثر إخفاق القومية العربية ومعها الماركسية في بلاد المسلمين لحل المشكلات الناجمة عن الاستعمار الغربي واليأس الاقتصادي والثقافي، برزت الأسئلة التالية لدى كثير من المؤمنين (ما ديني؟ وما أهميته؟ وكيف يكون سلوكي محكومًا بعقيدتي الدينية؟)[١].

ويعلق ديل إيكلمان على هذه الظاهرة الملفتة للأنظار بقوله: (وأنا أزعم أن تلك الأسئلة حديثة وأنها تحكم أقوال المسلمين وأفعالهم بطريقة مطردة)[٢].

وأخيرًا نترك الكلمة للأستاذ السيد ياسين في حكمه على التيار الليبرالي العربي المعاصر إذ يقول: (غير أن التيار الليبرالي العربي الذي خفت صوته في مرحلة الخمسينات والستينات تحت وطأة ثقل الخطاب الاشتراكي والقومي، والذي عاد في العقد الأخير وارتفع صوته، يتسم بكونه أقل التيارات السياسية العربية إبداعًا في المجال الفكري، فليست هناك أعمال فكرية ذات بال أصدرها أنصار هذا التيار، بالإضافة إلى أن هناك عددًا كبيرًا من أنصار هذا التيار قنعوا بالانضواء تحت شعارات (الليبرالية الجديدة) التي تقودها وتروج لسياستها الولايات المتحدة الأمريكية)[٣].

ونحن نأمل – بعد هذا العرض الموجز لفشل تجربة المشروع القومي – والتجربة أقوى الأدلة في رأينا، نأمل من مثقفينا المتغربين مشاركتنا الرأي في أنه لم يبق لنا سبيلًا للنهوض ومقاومة العولمة إلا المشروع الإسلامي الذي اقترحه الدكتور السنهوري لتحقيق وحدة الأمة.

---

(١) مقال بعنوان: (التوسع في التعليم العالي وأثره في الفكر الديني في المجتمعات العربية المعاصرة) بقلم ديل إيكلمان ص (٢٣٦)، من كتاب (الكتاب في العالم العربي) تحرير جورج عطية، وترجمة عبد الستار الخلوجي، من سلسلة (عالم المعرفة) بالكويت – أكتوبر ٢٠٠٣م.

(٢) السابق.

(٣) السيد ياسين، مقال بعنوان: (توجيهات متناقضة ووعي اجتماعي مشتت) جريدة الأهرام بتاريخ ١٢ رجب ١٤٢٨هـ – ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٧م، ص (١١).

*** ظاهرة تبعية بعض المثقفين للغرب (السبب والعلاج):**

رسم الاستعمار والنصرانية صورة سيئة للإسلام خلال قرون من العداء والصراع مع الحضارة الإسلامية، كما يذكر الدكتور إدريس الكتاني، ثم يشرح حقيقة (المفهوم) الكامل للإسلام في الغرب حيث تندمج فيه معاني (الرجعية، والتخلف، والبداوة، والقسوة، والعنف، والقبلية والطائفية)، ويؤيد ذلك الأبحاث التي تم القيام بها أخيرا في المواد المدرسية ومناهجها التاريخية والجغرافية والحضارية في بعض الدول الأوروبية، وفي الولايات المتحدة الأمريكية نفسها تأكيدًا على هذه الحقيقة، بل إن الكتب والمناهج التعليمية التي ورثناها في المغرب الإسلامي عن الاستعمار مليئة بخطوط ومحتويات هذه الصور السيئة.

ويستطرد في تصوير انتقال هذه الصورة إلى الأجيال العربية الإسلامية فيقول:

(على أن هذا (المفهوم) لم يقتصر على شعوب الغرب وحده، فالأجيال العربية الإسلامية التي تعلمت في الغرب، أو درست في أوطانها في المدارس الغربية أو طبق المناهج الغربية وهي التي تتصدر الشرائح العليا في أغلب البلاد العربية الإسلامية هذه الأجيال إن لم تكن هي نفسها تؤمن بهذا المفهوم بنسبة ثمانين أو تسعين في المائة، فهي على أحسن تقدير واقعة تحت تأثيره الفكري الثقافي بنسبة خمسين بالمائة وهذا هو سر انسياقها وتبعيتها، بوعي أو بدون وعي للتيارات المادية للفكر اللاديني الغربي، ووقوفها من قضية الدين ببلادها موقف الحياد أو اللامبالاة)[1].

---

(١) إدريس الكتاني مقال بعنوان: (كيف نفهم التطرف الديني) ص (٧٢)، كتاب العربي: (المسلمون والعصر) الكتاب الرابع عشر، ١٥ يناير سنة ١٩٨٧م.

*** علي بيجوفيتش حجة على المثقفين المتغربين:**

لقد نشأ في قلب نظام شيوعي مستبد ولكنه لم يستسلم له، بل ظل مُعْتزًّا بإسلامه بعد أن نال نصيبه من السجن لمدة خمس سنوات، وحمل على أكتافه عبء إنقاذ الأجيال الجديدة من شباب المسلمين المعرّضين لفقد هويتهم الإسلامية والمحاصرين فكريًّا ووجدانيًّا، إما بالإلحاد الروسي أو الكاثوليكية الكرواتية أو الأرثوذكسية الصربية.

وتتضح نظرته الإسلامية المرتبطة بالواقع عندما يعلل هزائم العالم الإسلامي في العصر الحاضر، فيعلّلها بتفتيت وحدة الأمة بفكرة القومية - وهي فكرة دخيلة أجنبية، وبُعد المسلمين عن الإسلام، وعدم الاستغلال للقدرات الإسلامية في البلاد، ثم يوضّح الطريق الصحيح للانبعاث الإسلامي الذي يشترط له أمرين:

الأول: تنفيذ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾.

[الرعد: ١١]

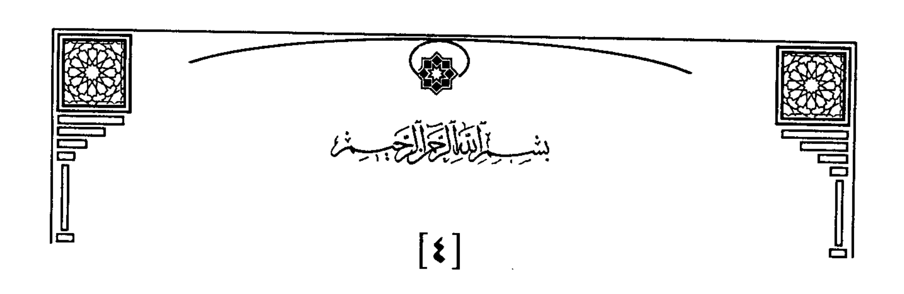
الثاني: اتباع النموذج القانوني الاجتماعي الإسلامي في تجربة الإسلام الأولى، وكفاح الرسول ﷺ.

أجل، لقد كانت الحياة الإسلامية مجسّدة في حياة النبي ﷺ فبرهن على أن الإسلام وحدة طبيعية: من الحب والقوة، المتسامي والواقعي، الروحي والبشري، هذا المركّب المتفجر حيوية من الدين والسياسة يبث قوة هائلة في حياة الشعوب التي احتضنت الإسلام في لحظة واحدة بحيث يتطابق بعد الإسلام مع جوهر الحياة. ويرى أن الصحوة الدينية أساس التقدم في العالم الإسلامي[١].

* * *

---

(١) علي عزت بيجوفيتش (الإسلام بين الشرق والغرب) صفحات ٣٤، ٣٥٦، ٣٧٣، ترجمة محمد يوسف عدس، توزيع دار الشروق بالقاهرة رجب ١٤١٤ هـ - يناير سنة ١٩٩٤م.



[٤]

الغزو الثقافي وخططه

لما كان الغزو الثقافي هو الأداة الرئيسة للغرب بعد انحسار الغزو العسكري، فإننا سنعرض لخططه وتطوراتها:

وإذا كانت خطط الغزو العسكري تبدأ بفتح الثغرات والنفاذ إلى تحصينات العدو المحكمة، ثم تتقدم بعدها بأسراب الطائرات لدك الحصون وتفتيت خطوط الدفاع، ثم تأتي قوات المشاة لاحتلال الأرض والسيطرة عليها للتمكين من البقاء فبالمثل تدرجت مراحل الغزو الثقافي على شكل خطوات تدريجية وتنوعت واتخذت عدة طرق، ونجحت بعمليات (غسيل المخ) أن تربي أجيالًا جديدة قبلت ما كان يرفضه الآباء والأجداد عندما اصطدموا بالاستعمار، ثم جاءت أجيال جديدة بعد حركات الجهاد أقل قدرة على المقاومة.

ويمكن القول أيضًا أن الأسلحة العسكرية والتهديد بغزو الجيوش أصبحا من مخلفات القرون الماضية في السيطرة وامتلاك النفوذ، وأصبح البديل هو السيطرة السياسية والثقافية والاختراق الإعلامي لعقول الشعوب وهذه الأدوات يملكها الغرب كلها الآن ويحسن استخدامها ولا يلجأ للغزو العسكري إلا عند الضرورة القصوى، وخير مثال هو حرب الخليج.

وقد اتَّخذ الغزو الثقافي شتى الأساليب وتدرج على مراحل، ثم أحكم أخيرًا قبضته على العالم الإسلامي بواسطة البث الفضائي الرهيب[1] فتحول من

(١) تقول الباحثة الأمريكية (ماري ون) في كتابها (المخدر الكهربائي): (من أهم الآثار التي نتجت =

احتلال الأراضي إلى احتلال الفضاء للتحكم في الأفكار والنفوس، وتوجيهها كيفما يشاء.

أولا: خطط الغزو الثقافي:

إن هذه المخططات كما يحصيها الشيخ محمد محمود الصواف رحمه الله تعالى (١) تتضح في الأساليب الآتية:

١- فتح المدارس الأجنبية في ديار المسلمين وتكثيرها وتنويعها وإرسال القُسسُ والرهبان ليشرفوا على هذه المدارس ويربوا أجيال المسلمين على الولاء لهم.

٢- إرسال البعوث إلى بلاد المسلمين وتكثير الإرساليات التبشيرية لتنشر مكامن التبشير في كل مكان وتشكك المسلم في دينه وعقيدته ومن وسائلهم فتح المستشفيات والمستوصفات، ودور التمريض لنفس الغرض(٢).

٣- إرسال البعثات إلى ديار الغرب لينهلوا من ثقافته ويعودوا إلى ديارهم وقد ودّعوا هناك دينهم وخلقهم ومبادئهم.

= عن التلفاز هي التغريب، واللإنسانية والفراغ الفكري والفساد الخلقي، وأهم من ذلك تفتت العلاقات الاجتماعية والسياسية وهو أخطر على الصغار من الكبار) د/ محمد السيد الشاهد (رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم) ص (...) دار المنتخب العربي/ بيروت ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(١) مخطط استعمار العالم الإسلامي طبعة دار الثقافة بمكة المكرمة ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م.

(٢) ويذكر روبرت كابلان أن الأمريكيين نجحوا في التبشير بالتعليم، وقد أنشأ دانيال بليس (وهو مبشر) الكلية البروتستانتينية في بلاد الشام عام ١٨٥٥م لتمرير خلاصة القيم الغربية إلى العالم العربي عبر الزمن ثم أصبحت الجامعة الأمريكية في بيروت وأن أول جهد منظم في حركة القومية يمكن إرجاعه إلى عام ١٨٧٥م عندما قام خمسة شباب تعلموا في هذه الكلية بتشكيل جمعية سرية. وأصبح خريجوها من الطلبة المسلمين في مواقع القيادة في مجتمعاتهم. (كتاب الحملة الأمريكية – متعربون وسفراء ورحالة) ترجمة محمد الخولي كتاب الهلال يونيو ١٩٩٦م صفحات (٧٠/ ٨٢/ ٨٧).

٤- نشر الكتب المفسدة العابثة التي تشغل الشباب عن ثقافتهم الأصلية وتلهيهم بالعبث والخيال الماجن.

٥- السيطرة قدر المستطاع على برامج التعليم في الديار الإسلامية وتوجيه التعليم توجيهًا علمانيًّا.

٦- نشر المجلات الخليعة والسينمات المسمومة وبرامج التليفزيون المشحونة بما يثير غرائز الشباب ويشغلهم عن التفكير في مصالح أمتهم ومستقبل بنيهم.

٧- فتح نوافذ للحضارة الغربية والثقافة الغربية وتمجيدها والدعاية لها، لينظر منها شباب الإسلام فيقتني مناهجها وتأخذه مظاهرها الخلابة، فيبدأ بأخذ ثقافتها ويعجب بحضارتها ويحتقر بعد ذلك أمته وبلاده لسوء حاضرها الماثل أمام عينيه.

٨- تمجيد وإحياء الحضارات القديمة كالحضارة الفينيقية والحضارة الفرعونية وتسليط الأضواء عليها؛ لينبهر بها الشباب المسلم وينسى حضارته الإسلامية الأصلية وقد طمسوا عنه أخبارها، وشوهوا له حقائقها، وفتحوا عينيه على حضارتهم وأمجادهم ومدنيتهم الحاضرة.

٩- العمل على إلغاء المحاكم الشرعية والسيطرة على أوقاف المسلمين ونشر القوانين الوضعية ودراستها حتى أنشئت كليات للحقوق في أكثر البلاد الإسلامية تدرس القانون الروماني والقانون الفرنسي وغيرها من القوانين الأجنبية ولا تدرس الشريعة الإسلامية إلا في زاوية من زواياها وهي الأحوال الشخصية فقط.

١٠- إضعاف سلطان الإسلام في نفوس المسلمين ويعتمد هذا الأسلوب على السخرية بعلماء الدين وتصويرهم بصورة الجامدين الجاهلين تارة، والمنافقين المستغلين لسلطان وظائفهم تارة أخرى، وبث الإشاعات ونشر الاتهامات المختلفة حولهم لتقليص نفوذهم وسيطرتهم على نفوس المسلمين.

١١- تشويه حقائق الإسلام ووضع الإسلام في قفص الاتهام والتركيز على القرآن الكريم وتوجيه الهجوم عليه.

١٢- توجيه الأدب والأدباء والصحافة وجهة علمانية لا دينية والسيطرة على دور النشر والتوزيع وإنشاء دور ضخمة للطباعة والنشر والتأليف تتولى نشر ما يريده الاستعمار وترويجه في أوساط المسلمين.

١٣- تشويه التاريخ الإسلامي والتشكيك في حوادثه وإبراز الجوانب الضعيفة أو المؤسفة فيه حتى يتشبع شبابنا بالحقد على الإسلام والنفور من تراثهم وتاريخهم.

١٤- إنشاء المبادئ والمذاهب الهدامة كالماسونية والبهائية والقاديانية وغيرها وإشغال المسلمين بها وإخراجهم من دينهم بواسطتها وإنشاء الأحزاب السياسية المتناحرة والمختلفة المبادئ والاتجاهات بزعامات يوجهها رجال من الشرق والغرب.

١٥- إلغاء الخلافة الإسلامية وتفريق كلمة المسلمين وجعلهم أممًا وشعوبًا مختلفة بعد أن كانوا تحت لواء الخلافة أمة واحدة.

١٦- العمل على إفساد المرأة المسلمة ثم إخراجها باسم الثقافة والحرية والديمقراطية سافرة ومتبرجة وجعلها أحبولة الفساد ومن ثم تعطيل الأسرة وهي كيان المجتمع الإسلامي.

١٧- محاربة اللغة العربية الأصلية والدعوة إلى العامية لقطع الصلة بين ماضي المسلمين وحاضرهم.

١٨- وضع قدم الاستعمار في فلسطين في قلب البلاد الإسلامية بواسطة اليهود[١].

---

(١) باختصار من كتاب (مخططات استعمار العالم الإسلامي) ط. دار الثقافة بمكة المكرمة ١٣٨٤ هـ- ١٩٦٥م.

ويتحقق آخر صورة من صور الغزو الثقافي في مجال عرض الغزو الإعلامي الواسع في إفريقيا إذ أن البث المباشر باللغات الأجنبية هو من أخطر الأسلحة لتوجيه الرأي العام، وهو يوظف الكلمات والصور في صناعة العقل والفكر على مختلف مستويات الحياة في هذه المجتمعات وهو مؤثر فعال في تغيير الثقافات واللغات وأساليب التواصل بين المواطنين ومنظومة القيم والسلوك التي تحكم حياة البشر خاصة الأجيال الجديدة من الطفولة والشباب.

وتوجد دراسات متخصصة في مجالات الإعلام والاتصال والثقافة تتحدث عن هذه الجوانب، وهي صادرة عن منظمات إقليمية ودولية عديدة بالإضافة إلى مؤلفات وكتابات باللغة العربية وغيرها من اللغات الأخرى.

خلاصة القول في العصر الحاضر: الحرب أولها كلام وآخرها كلام وصور.

ونراها بهذه الصورة أشد فتكًا من غيرها من الحروب، بل إن الحرب الكيميائية وحرب الجراثيم وحرب النجوم لا تعادلها في خطورة جرائمها، فباسم الفن والبث التليفزيوني الحامل للقاذورات والسموم في قنوات متخصصة من عري فاضح، وزنا علني، وشذوذ جنسي، وجرائم قتل واغتصاب، كلها تريد دفع شبابنا دفعًا للتقليد أو الغرق في المياه الآسنة للاتصالات الجنسية المحرمة، فيصبح عبدًا للشهوات، مبدّد القوى، فلا ينهض لعمل منتج، ولا يثور لكرامة، ولا يتحرك لصد معتدٍ أثيم.

ويُلاحظ أن روافد أو خطط الغزو الثقافي في الوقت الحاضر تصب في بئر واحد هو التغريب، فما هو؟ وما هي آخر تطوراته؟.

التغريب كما يعرفه الدكتور محمد محمد حسين رَحِمَهُ اللَّهُ: (يقصد به طبع العرب والمسلمين والشرقيين عامة بطابع الحضارة الغربية والثقافة الغربية، مما يساعد على إيجاد روابط من الود والتفاهم).

ويضيف شارحًا لعمليات التلاعب بالاصطلاحات وهذا الذي نسميه الاستعباد الغربي (تغريبًا) هو ما يسمّيه سماسرة ذلك الاستعباد وصنائعه

(تطويرًا) وهو ما يعنونه حين يتكلمون عن بناء المجتمع من جديد، ثم يحذرنا من الانسياق وراءهم ماضين في الهدم لا يرضيهم إلا أن يأتوا على بنياننا من القواعد، بما يتضمنه من دين وتقاليد وفنون وآداب ولكنهم سوف يعجزون عن البناء سيهدمون مجتمعنا ثم يتركونه وسط أنقاض نظامه القديم في فوضى لا سكن فيها ولا قرار.

وبوادر هذه الفوضى وأعراضها ظاهرة لكل ذي عينين، ذلك؛ لأن المجتمعات لا تُبنى في يوم وليلة، ولكنها في مئات السنين، ولا تبنى في صحف منتشرة أو قاعات مغلقة، ولكنها عملية معقدة أشد التعقيد تتفاعل فيها قوى المجتمع كله، ويستمر التفاعل أجيالًا تتمخض عن هذه القواعد وهذه الأشكال، بما تتضمنه من التقاليد والقوانين وأساليب الذوق والتفكير).

ولشرح آخر مراحل التغريب والقفزات الهائلة التي قفزها حتى وصلنا إلى واقعنا المعاصر فإن ذلك يتطلب عرض موجز لكتاب (تغريب العالم)[1] الذي يصور لنا آخر مراحل الغزو الثقافي، محددًا وظائف أجهزته، وجنسياتها وأهدافها في تشكيل رغبات وحاجات المستهلكين وأشكال سلوكهم وعقلياتهم.

يقول مؤلفه:

(ينطلق فيض ثقافي بمعنى فريد من بلدان المركز ويجتاح الكرة الأرضية ... تتدفق صور، كلمات، قيم أخلاقية، قواعد قانونية، اصطلاحات سياسية، معايير كفاءة، من الوحدة المبدعة على بلدان العالم الثالث من خلال وسائل الإعلام: صحف، إذاعات، تليفزيونات، أفلام، كتب، اسطوانات، فيديو، دش) ويتركز الجانب الأكبر من الإنتاج العالمي للمعامل في الشمال، أو يصنع في معامل يسيطر عليها حسب معاييره ومواصفاته.

---

(١) تغريب العالم، سيرج لاتوش، تعريب خليل كلفت، ط. دار العالم الثالث بالقاهرة ١٩٩٢م.

ولنلاحظ اعتراف المؤلف للحيوية الطاغية للمجتمعات العالمية التطور التي تحقق كل إبداع ثقافي لدى الأسرى السلبيين للرسائل.

ثانيًا: آخر مراحل التغريب ووسائله:

(تغريب العالم): صدر حديثًا كتاب بهذا العنوان وسنعرض الأفكار التي عالجها الكتاب؛ لأنه يتضمن آخر التطورات التي تفتقت عنها أذهان المخططين للتغريب منذ الحروب الصليبية كهدف رئيسي لها.

إنه يرى أن أروع ما حققه الاستعمار هو **مهزلة تصفية الاستعمار**، لقد انتقل البيض إلى الكواليس، لكنهم لا يزالون مخرجي العرض المسرحي.

ويقصد أحيانًا بالتغريب (الاستعمار) وسيادة الرجل الأبيض فإن الهدف من الاستعمار ظل ثابتًا أي: التبشير وغزو الأسواق والتزود بالمواد الأولية والبحث عن أراضي جديدة والحاجة إلى الأيدي العاملة.

ويستثني المؤلف اليابان من سيطرة الرجل الأبيض فيقول: (يشكل النجاح الأكيد لليابان، الذي خلص آسيا من أسطورة الرجل الأبيض، تحديًا رهيبًا لتفوق العرق الأبيض).

والكتاب بمحتواه ربما يكون أحد أدوات الحرب النفسية إذ يعرض لخطط سحق القوى التي تقاوم حضارة الرجل الأبيض ولهذا يهدف إلى بث اليأس في قلوب سكان العالم الثالث - ونحن منهم- بإقناعنا بأن العالم تغرب ولا فائدة من المقاومة.

ولكنه في الوقت نفسه يلقي الضوء على الطريق إلى مستقبل أفضل حيث ينقل عن غيره من الباحثين حركات نهوض الحضارات المضطهدة ضد حضارة الرجل الأبيض ويرى أن **الصراع سيكون طويلاً ومرعبًا**.

وباستخدام عناصر الإمبريالية الثلاثة: (العسكريون، التجار، المستشرقون) وضع الغرب يده على الكرة الأرضية نهائيًا ففي سنة ١٨٠٠ ميلادية كانت

أوروبا تسيطر نظريًّا على ٥٥٪ من الكرة الأرضية وتستغل فعليًّا ٣٥٪، من مساحتها، تحققت الأحلام التي صاحبت تاريخ الغرب (يحلم نابليون بأن يحذو حذو الإسكندر فيزحف على مصر، وباستيلائه على مدينة الجزائر يستأنف شارل العاشر الحرب الصليبية).

أي: كأنه استأنف مهمة شارل العاشر.

ويحدثنا عن آخر ما وصلت إليه مراحل الغزو الثقافي فيقول تحديدًا:

(ينطلق فيض ثقافي بمعنى فريد من بلدان المركز ويجتاح الكرة الأرضية. وسوق المعلومات شبه احتكار لأربع وكالات: أسوشييدبرس ويونايتدبرس (الولايات المتحدة) رويتر (بريطانيا) فرانس برس (فرنسا). ويتدفق ٦٥٪ من المعلومات العالمية من الولايات المتحدة.

هذا الفيض من المعلومات لا يمكنه إلا أن (يشكل) رغبات وحاجات المستهلكين، أشكال سلوكهم، عقلياتهم، مناهج تعليمهم، أنماط حياتهم).

وتحت عنوان (**تحت راية الصليب**) يتساءل المؤلف: هل يمكننا أن نستوعب الغرب في كيان ديني؟ ويجيب أنه في كثير من الأحيان يقترن الغرب بنعت المسيحي وأن الهداية **بالسيف والإيمان** أساس من أسس التوسع الغربي (ولكنه يقرر الواقع فيرى أن حالات دخول الإسلام أكثر عددًا بكثير في الوقت الحاضر من حالات التنصير وتبدو أكثر صلابة).

كذلك فإن العالم المسيحي الغربي الكاثوليكي دعم حقًّا توسعة الموجة الأولى وحتى الثانية من الاستعمار.

ويقول المؤلف بمناسبة النشاط الإحساني والعقلاني إنه ليس سوى مظهر، ومظهر جذاب للغرب، ثم يعلن رأيه بصراحة: (لكنني أعتقد أن الغرب يتمثل في ذلك أيضًا. وحتى في الوقت الحاضر، ينشأ الجانب الأكبر من مشروعات التنمية كقاعدة في العالم الثالث، على نحو مباشر، **تحت راية الصليب**).

ويشرح (**الخصوصية الغربية**) إذ يرى أن الغرب ليس مجرد كيان ديني، أو أخلاقي، أو عرقي، أو حتى اقتصادي، إن الغرب كوحدة تركيبية من هذه التجليات المتباينة أي: كيان (ثقافي) وظاهرة حضارية.

ويرى ضرورة الاتفاق على معنى الألفاظ، ومنها لفظ cultre (ثقافة، حضارة.... إلخ).

وينتقل بنا إلى تفاصيل كثيرة ويغرقنا باصطلاحات وتعريفات عن أنواع الثقافة، ثم يأتي إلى أهم ما يثير الفزع والرعب من هذه الحضارة عندما نراه يشرح بصراحة لا لبس فيها أنه (**بمحو ثقافة شعوب العالم الثالث** يحولها التغريب على هذا النحو إلى جماهير أمية. وتغدو تلك الثقافة إخراجًا من أجل مستهلكين سلبيين غرباء على ثقافتهم الخاصة).

ولعل الطريقة السحرية في محو ثقافة العالم الثالث تكمن في عملية التنمية، إذ ربما لأول مرة يعرف أن الثقافة في هذه الحالة ليست بُعدًا من أبعاد التنمية، بل إن التنمية هي التي تغدو بالعكس بُعدًا من أبعاد (الثقافة الغربية الوحيدة).

ويوافق المؤلف على تعريف الحضارة بأنها:

(الطريقة التي نولد بها، ونحيا، ونحب، ونتزوج، ونفكر، ونؤمن، ونضحك، ونتغذى، ونلبس، ونبني منازلنا، وننظم حقولنا، ويتصرف بعضنا إزاء بعضنا الآخر).

وعن نظرة الغرب للحياة الدنيا، يحدد المؤلف أولوية هذه الحياة (والواقع أن الغرب، عندما يفك سحر العالم، يجعل من الحياة الدنيوية القيمة الأولى بلا منازع، وعندما لا يعود المرء يجد الخلود أمامه، تغدو الحياة نضالًا قلقًا ضد الزمن).

ويقر المؤلف أننا الأسبق في التمدن إذ كانت بغداد والقاهرة مدنًا ضخمة عندما لم تكن لندن وباريس سوى بلدتين ونيويورك غابة عذراء.

ويرى أن أروع نجاحات التغريب في انتشار أدوات السلطة مستدلًا على ذلك بما لاحظه كاستور باديسي بفطنة ثاقبة عن تقنيات السلطة، أي: تقنيات **الخبل الجماعي** (هناك مكبر صوت في كافة القرى يبث خطاب الزعيم، هناك تليفزيون يقدم نفس الأخبار... إلخ، وتنتشر هذه التقنيات بسرعة النار في الهشيم، وقد اجتاحت الأرض بأسرها:

وسرعان ما انتشر ذلك في كل مكان إن **أو نباشي** في أي بلد من بلدان العالم الثالث يحسن استخدام سيارات الجيب، والرشاشات، والبشر، والتليفزيون والخطب وكلمات (الاشتراكية) والديمقراطية والثورة وكل هذا، **قمنا نحن بمنحه لهم وتلقينه إياهم بسخاء بالغ**).

أي أنها مجرد شعارات ولافتات خادعة قد تخفي الواقع المخالف لها تمامًا، وربما لا يسمح الغرب إلا في نطاق ضيق (المكون الآخر من مكونات مجتمعنا، أي قيم التحرر، الديمقراطية، البحث الحر، الاستقصاء الحر)... إلخ.

ويرى أن الطريق المختصر لنشر الحضارة وتحويلها إلى العالمية هو استخدام الشرطة والجيش فيقول: (وإذا كان للحضارة أن تختزل إلى الشرطة والجيش، فإن العالمية متحققة إذن منذ الآن).

ويستخدم المؤلف ألفاظ: التقدم والتنوير والتحديث كمرادفات، ويعرف الحداثة بأنها (مشروع شامل يفسح للاقتصاد مجالًا واسعًا، في حين أن التنمية ليست فقط سياسية اقتصادية بل هي أيضًا إصلاح للمجتمع بأسره).

وفي سباق التنمية بين بلدان العالم الثالث يعزز من جديد السعي الإلزامي وراء لحاق مستحيل (بالغرب) في سياق محاكاة معممة.

ويقول: (أما وعد الغرب، الوعد بالثروة والرخاء، فيغدو من الناحية الفعلية: **الفقر واجتثاث الجذور، والإقصاء وليس هذا بصفة انتقالية بل بصفة نهاية تزداد تأكيدًا على الدوام**).

ويمضي فيقرر أن نتائج سير عمل الغرب الفعلي في سياق عملية تغريب العالم وبأية وسائل يتحقق هذا الاجتثاث للجذور على مستوى الكرة الأرضية.

ويصبح ما هو مطروح على سكان العالم الثالث عند إحلال هويتهم الثقافية المفقودة يتمثل في هوية قومية مجردة وانتماء زائف إلى جماعة عالمية.

ويغدو إنسان (الجنوب) مُغرَّبًا بحكم تطلعاته وإحالته وكثافة ضغط المدينة وأنماط استهلاك المركز على حياته اليومية.

وتحت عنوان (محور الحدود الإقليمية) والتحول القومي الثقافي يبدأ بمقدمة يسجل فيها السذاجة البالغة لنص الميثاق الذي يعلن أن الشركات المتعددة الجنسية لا يجوز لها أن تتدخل في الشئون الداخلية للبلدان التي تعمل فيها.

وشرح سذاجة هذه المقولة يقتضي تسجيل حقيقة هذه الشركات عبر القومية التي تخضع لمنطق الربح أكثر من السعي وراء السلطة، ولكنها في الواقع تزعزع بلا تعمد السلطات القائمة وتخلق على نحو خبيث علاقات ولاء جديدة لحسابها الخاص... وتم إحلال أجهزة إدارية محل المؤسسات السياسية وبذلك تفرغ الدولة الأم من جوهرها.

وفيما يتعلق بالثقافة فإن الأمر يبدو أكثر تعقيدًا إذ تنجلي دفعة واحدة (إمبريالية) ثقافية غربية وبالأخص أنجلو سكسونية، وكذلك تصنع الثقافة باستخدام وسائل الإعلام (صحف، كتب، اسطوانات، كاسيتات، إذاعات، أفلام، تليفزيون) يشبه احتكار لبلدان الشمال، وتجري عملية غزو ثقافي للجنوب من جانب الشمال، وداخل الشمال من الولايات المتحدة نحو البلدان الأخرى (ومنها فرنسا).

ونحو ما يسميه المؤلف (العوامل المباشرة) التي تتجاوز (النزعة القومية) تشكل التدفقات الإعلامية بواسطة الأقمار الصناعية للاتصالات البعيدة وتقنية معالجة المعلومات بالكومبيوتر تشكل رغبات وحاجات وأشكال سلوك

وعقليات ونظم تعليم وأنماط حياة المتقبلين وينتج عنها **فقدان الهوية الثقافية المؤكد**، كما يسهم في زعزعة الهوية القومية سياسيًّا واقتصاديًّا وحتى ما يتبقى من الإبداعية (القومية) يجد نفسه في حالة تبعية إزاء ثقافة أجنبية.

ويصف أحوال هذه الواقع بقوله: (وبفضل أروع وسائل النشر الممكن، يجري اليوم نشر ثقافة يمكن القول عنها في أفضل الأحوال أنها **غياب للثقافة وتم إنتاجها عشوائيًّا**).

وبعد الانتهاء من عرض موضوع التغريب بتفصيلاته يأتي المؤلف في نهاية المطاف فيلقي بهواجسه إذ يخشى على حضارة الغرب من الانهيار؛ لأنه يرى في نجاحها المتواصل في أعمال التغريب دليل على بقائها كقطب أوحد أما إذا اعترضتها مقاومة (الآخر) من دول العالم الثالث فإن هذا يشكل عنده علامة الخطر ببدء تدهور هذه الحضارة.

وتتضح مخاوفه بالذات مما سماه بحركات الهوية الأصولية الإسلامية مثالها الراهن الأكثر نموذجية، فهو يكتب (والحقيقة أن حركات الهوية التي تعبر عنها الأصولية الإسلامية، مأخوذة ككل، مثالها الراهن الأكثر نموذجية أكثر تعقيدًا.

ذلك أن الصعود المذهل لهذا التيار لا ينبغي أن يخفي ظواهر أخرى من نفس الطراز، مثل التطرف البرهماني في الهند أو مختلف مطالب الهوية مثل صعود النزعة الإقليمية (حتى في البلدان العجوزة في أوروبا) وكافة هذه الحركات أحدثها إخفاق التحديث، وتنتج عن تشويهات ناشئة عن هذا الإخفاق ذلك أن الجماهير العربية التي يؤثر فيها الإخوان المسلمون والحركات الشيعية في الوقت الراهن، كانت ناصرية أو بعثية منذ عشرين سنة، أي أنها عقدت آمالها آنذاك على التحديث وآمنت بتواليف ممكنة بين التراث العربي والحداثة. ويسمح بعضها الراهن بتقدير مدى فداحة خيبة أملها).

ولكنه تجاهل التاريخ الصحيح للأمة الإسلامية بإنكاره أن المجتمعات العربية لم تجعل من الدين في يوم من الأيام مبدأها الوحيد لتحقيق الهوية الاجتماعية.

وبالرغم من انطلاق اسم العصر الذهبي للإمبراطوريات العربية الكبرى ولكنه يصفه بالفساد والهرطقة والزندقة.

ويُزّور التاريخ بقوله: (ولم تكن الشريعة الإسلامية في يوم من الأيام القانون المدني) منكرًا أنها ظلت حاكمة لنحو أربعة عشر قرنًا.

وبإشفاقه على عملية التغريب بسبب العائق الديني وهو الإسلام وما يسميه: (الرابطة الدينية المجردة ويخص بالذكر الممارسات الدينية الشعبية كالمرابطين).

ثم يضع العالمية الغربية في مواجهة مع عالمية عنيفة وارتدادية تمامًا، وينبه إلى أن معاداة الغرب لدى هذا التيار معلنة أكثر مما هي عميقة، ولكنه يعترف بأنه يؤدي وظيفة تدميرية على التغريب ويكتب: (ويمكننا أن نقرأ هذه الأعراض لسقوط التغريب، على نحو سلبي تمامًا، على أنها دليل على الإخفاق الكلي للحضارة، لأنه لا يمكن أن تكون هناك حضارة أخرى سوى الغرب).

أي: أن الهدف الحقيقي هو تحطيم غيرها من الحضارات.

ثالثًا: الوجه الآخر لحضارة الغرب:

استطاع الفكر الإسلامي في العصر الحديث مواجهة الحرب الثقافية المعلنة والخفية، فكشف عن الوجه الحقيقي لحضارة الغرب أمام المفتونين بها وهم في الحقيقة ضحايا كما تصدى للثغرات التي نفذ منها الغزو الثقافي للشخصية الإسلامية كما سيتضح لنا في هذا البحث.

ولعل أول ملامح الوجه الخفي لحضارة العصر هو التفرقة العنصرية.

فإن الناظر للحضارة الغربية والباحث في تاريخها أو في واقعها يصطدم بظاهرة لا يمكن التغاضي عنها وهي التفرقة العنصرية لأنها من ملامحها البارزة

كالمرأة القبيحة تعجز عن ستر قبح وجهها حتى ولو غطته بالمساحيق وأدوات التجميل المصنعة فإذا ألقيت على وجهها كوبًا من الماء لأزال عنه الصباغة وظهر سافرًا يثير في الناظر إليه النفور والاشمئزاز.

ويؤرخ الدكتور إبراهيم مدكور لهذه الظاهرة فيذكر أنها ترجع إلى اليونان إذ اعتمدتها فلاسفتهم وعلى رأسهم أرسطو بالمقولة المشهورة (كل ما وراء أثينا بربر).

(وجاراهم الرومان الذين كانوا يعتزون بعنصريتهم كل الاعتزاز، وقد أقاموا عليها تفرقة في تشريعهم وقوانينهم بين الرومان وغير الرومان) إلى أن يقول: (وكم قاسى زنوج أمريكا من هذه النظرة العنصرية التي كانت تعدها الكنيسة أمرًا واقعًا لا مفر منه، ولم يخفف من وقعها أخيرًا إلا قانون الحقوق المدنية، الذي ساوى بين البيض والسود، ولا يزال لهذا الأمر رواسب وذيول في دولة عظمى لها نظمها وشرائعها.

ويبدو أن هذا التمييز العنصري جعل العقل الغربي المعاصر أيضًا لا يتصور أن هناك طريقًا غير طريقته، ولا أساليب سوى أساليبه، ولم تستطع الحضارة الغربية الانفتاح على غيرها من الحضارات، طوال تاريخها وأظهرت دائمًا استعدادها للاستغناء عن ما عند الآخر، كان الغير عند الرومان هم البرابرة، وعند الفرنجة هم الشياطين، ولم يستطع العقل الأوروبي في القرنين التاسع عشر والعشرين أن يسبغ على المستعمرات سوى وصف (الأهالي).

ويعقد مقارنة في قضايا الإنسان والحياة والقيم في الفكر الإسلامي:

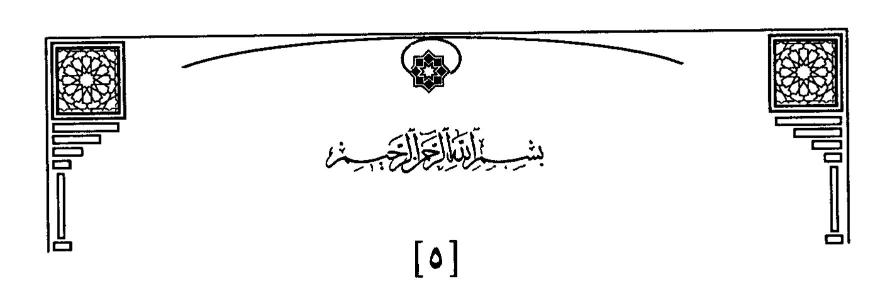
يشرح الدكتور مدكور كيف كرم الله تعالى الإنسان في القرآن الكريم فأنزل آيات بينات في تفضيل الإنسان على غيره من الكائنات ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]

وفي شرح الآية يحصي الدكتور إبراهيم مدكور المنازل الدالة على هذا التكريم وبخاصة في موقف آدم من الملائكة فهو أكثر علمًا، وأعلى منزلة ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣١- ٣٣]. ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨- ٢٩].

وأكد القرآن حرمة الإنسان ونادى بحقن الدماء فحرم وأد البنات وقتل الأولاد خشية الإملاق، وقرر القصاص والحدود والدية والجزية حقنًا للدماء وحفظًا للأرواح، ولا يُعتدى على ابن آدم بغير حق ولا يُعذب ولا يُمثل به ولا يُعرَّض لهوان يتنافى وكرامة الإنسان، والحرب والسلم في ذلك سواء، ولا يؤخذ الخصم في الحرب على غرّة، ولا ينكل به، ويعامل الأسير معاملة كريمة، ويستطرد الدكتور مدكور مقارنًا بين نماذج القيم الإنسانية التي أشاد بها الإسلام فيتساءل: (فأين حضارة القرن العشرين من هذا؟ وفيها تعذيب وتمثيل يعود بنا إلى وحشية القرون الأولى، وكلّنا يذكر ما كان يجري في معسكرات الاعتقال أثناء الحرب العالمية الماضية، ولا نزال نقرأ ونسمع عما يلجأ إليه من وسائل التنكيل في بعض السجون والمعتقلات، وقدم لنا العلم الحديث طرقًا وأدوات نستخدمها دون شفقة أو هوادة في إذلال الإنسان وإهدار كرامته)[1].

* * *

(١) في الفكر الإسلامي – للدكتور إبراهيم مدكور ص (١٦١) سميركو للطباعة والنشر القاهرة.



[٥]

آثار الغزو الثقافي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

بعد تناول وسائل الغزو الثقافي تفصيلًا، رأينا أن الغرب طور أساليبه مستغلًّا التقدم التكنولوجي للإسراع في تحقيق أهدافه بأفضل الطرق، وبعد أن كانت أساليب الغزو الثقافي تؤثر في شرائح خاصة من شرائح المجتمعات وتؤتي ثمارها على المدى البعيد أصبح من الميسور مخاطبة الجماهير على اتساع الكرة الأرضية بشكل مباشر والنفاذ إلى قلوبها وعقولها في وقت وجيز للإلحاح على ترديد الأفكار وبثها بصور متنوعة ومتلاحقة.

ويبدو أن دراسات بعض المستشرقين وبحوث المراكز الدراسية التي تضع شعوب العالم تحت مجاهر التنقيب والتحليل، يبدو أنها أيقنت أن نظم الحكم الديمقراطي (ولو بشكلها الصوري الساري في العالم الثالث) بطيئة الأثر في تحقيق التغريب المطلوب فاستبدلت بها قيادات عسكرية تقوم بحركات انقلابية وتوهم الجماهير بأنها ثورية تسعى لتحقيق آمالها في الحرية والتنمية والرخاء، وهناك من يرى أن التغريب هو الخطوة الأولى للتنصير، إذ يذكر سيرج لاتوش الكاتب الفرنسي (أن الهدف من الاستعمار ظل ثابتًا أي: التبشير وغزو الأسواق والتزود بالمواد الأولية والبحث عن أراضي جديدة والحاجة إلى الأيدي العاملة)[١].

ويقول اللواء أحمد عبد الوهاب: (التغريب حرب صليبية مستعرة الأوار، مجهودها الرئيسي موجّه إلى تنصير العالم وخاصة العالم الإسلامي، وما

(١) لا توش (تغريب العالم) تعريب خليل كلفت – دار العالم الثالث بالقاهرة ١٩٩٢م.

يستتبع ذلك من عواقب خطيرة، أبسطها طمس الهوية وخلق مسخ من البشر بعد تدمير كيانها العقائدي والفكري، وتبديل نظم حياتها وأنماط سلوكياتها)(١).

وقد نجح الغزو الثقافي في تشويه بعض الأعضاء (إذا شبهنا الأمة بالجسد الواحد كما قال النبي ﷺ) ولكنه لم يفلح من سلخها من جلدها الذي تحتمي به أي: تراثها الإسلامي الأصيل.

وبعد الانتهاء من عرض وسائل الغزو الثقافي لنا وقفتان:

الأولى: ليس من الصعب إنقاذ الأمة من آثار الغزو الثقافي، فهي قوية ومتشعبة استطاعت جذب أجيال تتجه إلى الغرب تقليدًا له واعتناقًا لقيمه، وربما أصبح البعض منهم أداة طيّعة لمؤسسات غربية ثقافية وسياسية جندته لتنفيذ مخططاتها الهدامة لوطنه وبني جنسه.

ينبغي الاعتراف بهذه الحقائق المرّة، ولكننا لا نفقد الأمل في علاج بعض أو كل التدمير الذي حدث لأمتنا، والدليل أن تركيا، وهي أول بلد إسلامي تعرض لأشد ألوان الغزو الثقافي طوال نحو ثمان عقود متصلة أخذ الآن يسترد عافيته، وينضم إلى أمته الإسلامية، ويزيل آثار جرائم أتاتورك، صحيح أن الطريق طويل ولكنه الوحيد للإنقاذ، وقد قيل: إن الألف ميل يبدأ بخطوة واحدة، بشرط المثابرة والتنفيذ والتصميم والعمل بروح التفاؤل المستمدة من الاقتناع بأن ذلك الغزو أمر عارض؛ لأن أمتنا ظلت طيلة ثلاثة عشر قرنًا من الزمان تعيش تحت مظلة الإسلام عقيدة وشريعة ونظمًا وقيمًا أخلاقية راقية.

الثانية: في ظل نظام (العولمة) والتكتلات السياسية والاقتصادية والعسكرية (الاتحاد الأوروبي كمثال) فإن من واجبات الصحوة الإسلامية الملحة إعادة تحقيق وحدة الأمة مرة أخرى بعد أن فتّتها قوى الاستعمار الغربي، وقد تتدرج

---

(١) لواء أحمد عبد الوهاب (التغريب، طوفان من الغرب) ص ١٤ مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

مراحله من وحدة اقتصادية (سوق مشتركة) إلى وحدة سياسية (مجالس نيابية) إلى وحدة ثقافية كتوحيد نظم التعليم في المدارس ومناهج الجامعات يتفق عليها بواسطة خبراء في حقول التربية والتعليم.

ولن تتحقق النهضة المرجوة إلا في ظل الوحدة حتى توظف الأمة قدراتها لفرض احترام العالم بدلًا من التشتت في كيانات وطنية أضعف من شأنها وجعلها في موضع الاستهانة لأنها من دول العالم الثالث.

يقول روبرت أ. باستور أستاذ العلاقات الدولية بجامعة إيموري: (وينظر إلى قوة الدولة من خلال القوة المادية، القوة العسكرية والسكان والاقتصاد. والأراضي والثروة الطبيعية، وميزة متغيرات (القوة المادية) فهو يرى أنه يمكن قياسها ويعترف بها عالميًّا على أنها مؤثرات للقوة)(١).

كذلك يستند إلى تعريف القوة (بأنها القدرة على إجبار الآخرين بالقيام بشيء لم يكونوا يرغبون في القيام به)(٢).

ولكنه لا يغفل ما يسمّيه بالعوامل غير المادية مثل القوة القومية ويستطرد قائلًا: (وكما أثبت الفتناميون والأفغان، يمكن أن تكون العوامل غير المادية على درجة من القوة بحيث تكفي لهزيمة أكثر الآلات العسكرية ضخامة)(٣).

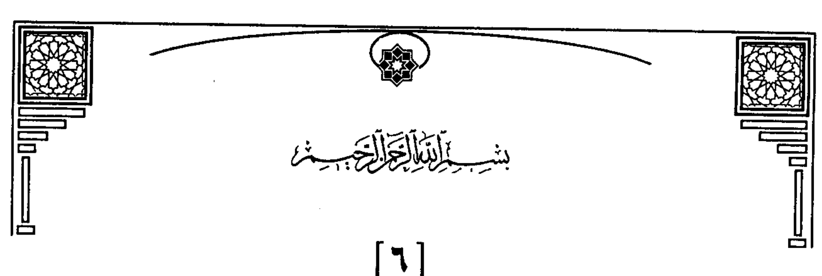
والمثالان ها هنا يعبِّران عن واقعتين أثارا دهشة العالم: إحداهما: انتصار الفتناميين على الولايات المتحدة الأمريكية، وانتصار الأفغان على الاتحاد السوفيتي، ولكن الفارق بينهما أن عقيدة الفتناميين ربما كانت (القومية) أو (الوطنية)، ولكن عقيدة الأفغان كانت (الجهاد).

---

(١) روبرت أ. باستور، مقال بعنوان (الدول الكبرى في القرن العشرين من البزوغ إلى الأفول) ص (٣٤) كتاب بعنوان (رحلة قرن – كيف شكلت القوى العظمى بنية النظام الدولي الجديد) إعداد روبرت باستور – ترجمة هاشم أحمد محمد، إصدار المركز القومي للترجمة ٢٠١٠م.

(٢) نفسه ص (٣٤).

(٣) نفسه ص (٣٤).



[٦]

التصدي للغزو الثقافي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

كان من أوليات مهام علماء الإسلام في العصر الحديث هو التصدي للغزو الثقافي، إذ أن الغرب بعد انسحابه العسكري عن بلاد المسلمين الذين قدموا الشهداء تلو الشهداء في سبيل الحرية والاستقلال، استطاع (أن يثبت ركائزه وحرابه المسمومة في جسم الأمة الإسلامية عن طريق ما نعرفه من مؤامرات الغزو الفكري الثقافي للإسلام وأقطاره، وهذه هي أخطر مشكلة يواجهها الإسلام المعاصر)(١).

ولم يقتصر الغزو الفكري كما يرى أستاذنا محمد علي أبو ريان على العلم والتربية والثقافة والفن فحسب، بل حمل معه تيارات مسمومة من التبشير المسيحي وموجات عارمة من الإلحاد والدعوة إلى معارضة الأديان والعلمانية، فضلًا عن تسريب حثالة فكره الهابط، مع حرمانه العالم الإسلامي للأسس الهامة لحضارة الغرب العلمية)(٢).

وقد غرس الغزو الثقافي أنيابه في جسد الأمة الإسلامية بواسطة تلاميذ الغرب المتخرجين من مدارس الاستعمار، أو التي يصنع مناهجها المستعمرون.

ومنهم الحكام والوزراء وأصحاب السلطة والنفوذ الذين يعملون (في

---

(١) د/ محمد علي أبو ريان (الإسلام في مواجهة تيارات الفكر الغربي المعاصر) ص ٥٢ دار المعرفة الجامعية- سوتر - الإسكندرية ١٩٩٥م.

(٢) نفسه ٢٥.

أجهزة الحكم والإدارة والثقافة في البلاد العربية إلى عصرنا هذا، وقد يرجع الكثير مما نشعر به اليوم من بلبلة فكرية واغتراب ثقافي ودمار اقتصادي وتخلف سياسي وعدم الاتفاق على كلمة واحدة بين العرب خاصة والمسلمين بصفة عامة إلى هذا الانتماء البغيض، أي: إلى مدارس الاستعمار وأسلوبه وثقافته، فلا يستطيع جمهرة الحكام من أصحاب السلطة أن يتخلوا مثلًا عن التعايش مع الصهاينة ورجال الغدر في فلسطين، وأصبح الشغل الشاغل لهذه القيادات المهزوزة في الغالبية العظمى من البلاد الإسلامية حرق البخور للحكام ولأمريكا أو الاتحاد السوفيتي قبل انهياره، والتمرغ على عتباتهم وانتظار فائض حسناتهم واصطناع ديماجوجية دعائية حولهم خالية من المضمون)(١).

ويشكل أولئك جميعًا تكتلًا قويًّا معارضًا لمشروع النهضة الإسلامي منذ سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م وأحدثوا خلخلة في الأمة بين قوميين وشيوعيين وعلمانيين وملاحدة وعملاء للغرب، وهم في مجموعهم يتعاونون على إجهاض أي حركة إسلامية تحت شعارات رفض الحكومات الدينية، أو الادِّعاء بقصور الشريعة الإسلامية عن مواكبة العصر والتحذير من تطبيقها إذ ستؤدي بنا إلى العصور الوسطى، متأثرين بمزاعم المستشرقين من اليهود والنصارى بحملاتهم العدائية ضد التراث الإسلامي.

ويختلف المفهوم الشامل للثقافة الإسلامية عن مفهومها في حضارة الغرب اختلافًا جذريًّا والنموذج الذي سنسوقه ليس من عندنا، ولكن من بنات أفكار الدكتور بيكتهول، فقد أجرى (مقارنة طريفة رائعة موضوعية بين المفهوم الإسلامي للثقافة ومفهوم الغرب لها، فيروي ملخص مناقشة جرت في الصحف البريطانية منذ بضع سنين وكان موضوع المناقشة كما يلي:

---

(١) نفسه ٢٥- ٢٦. ويضرب أستاذنا رحمه الله مثالًا على الاغتراب الثقافي واتخاذ الدين لهوًا وعبثًا، بما حدث في تونس أيام بورقيبة من إباحة الفطر في رمضان لزيادة الإنتاج، وهي جرأة على العبث بموازين الدين والجهل بأركانه وأصوله (ص ٣٣).

لنفرض أن تمثالًا يونانيًا على جانب عظيم من الجمال لا مثيل له ولا يمكن أن يُعوَّض موضوع في غرفة واحدة مع طفل حي، ولنفرض أن النار اندلعت في الغرفة ولم يكن بالإمكان إلّا إنقاذ واحد منهما، فأيهما يجب أن نُنْقذ؟!.

وأكمل الدكتور بيكتهول القصة، فروى أن كثيرين من المراسلين ومن رجال الفكر والمناصب الرفيعة اختاروا إنقاذ التمثال وموت الطفل بحجّة أن ملايين الأطفال يولدون كل يوم بينما تلك الرائعة الفنية القديمة لا تُعوَّض!.

وعلق في النهاية على هذا الرأي بقوله: (ولعمري إن هذا الرأي لم يكن بوسع أي مسلم أن يبديه فهو آخر شكل من أشكال عبادة الأوثان المهذَّبة)[1].

ويرى لاتوش – مؤلف كتاب (تغريب العالم) أن أروع ما حققه الاستعمار هو (مهزلة) تصفية الاستعمار، لقد انتقل البيض إلى الكواليس، لكنهم لا يزالون مخرجي العرض المسرحي[2].

كانت أكبر خدعة في رأيه إدخال الفكر في القلوب بأن الاستعمار قد ولى لأن الواقع بأنه بانتهاء الاستعمار العسكري حل محله استعمار أشد وطأة وهو الاستعمار الثقافي والسيطرة على العقول والأفئدة وتغريب الشعوب الإسلامية ونزعها من أصالتها وهويتها.

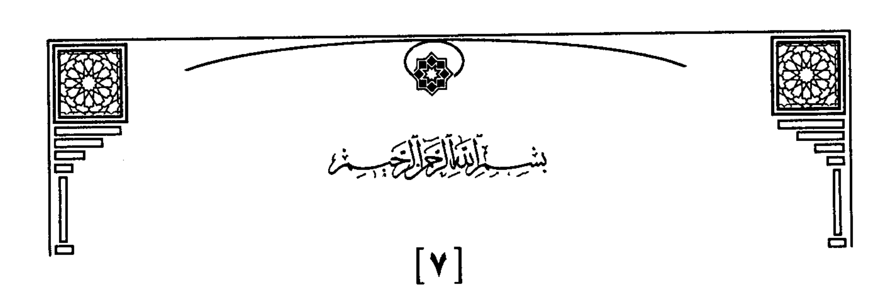
ويضيف أن الاستعمار العسكري لم يرحل إلا بعد أن مكن لاستعمار آخر أكثر إجرامًا وأشد وحشية وهو الاستعمار الاستيطاني أي: استعمار إسرائيل لفلسطين وهي بمثابة غرس خنجر في خصر الأمة الإسلامية.

ومن قبيل التلاعب بالعقول إيهام الشعوب بأنها تحررت وأصبح زمام الأمور بيدها بينما الاستعمار يبقى من وراء الستار يحرك عملاءه لضمان استمرار تحقيق مصالحه التي تتعارض مع مصالح الشعوب.

---

(١) د/ مصطفى الشكعة (معالم الحضارة الإسلامية) ص ٣٧- ٣٨ دار العلم للملايين بيروت – نوفمبر ١٩٧٨م.

(٢) سيرج لاتوش (تغريب العالم) تعريب خليل كلفت ط. دار العالم الثالث ١٩٩٢م.



[٧]

المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

دعائم المشروع الإسلامي:

يقول الدكتور محمد حسين: (إن وظائف الدين إصلاح المجتمع، فإن الشريعة منزَّلة من عند الله سبحانه وتعالى وهو العليم الحليم الذي لا يعزب عن علمه شيء، لا يعتريه شك في صلاحية ما شرع لخير الإنسان وهو أعلم به في كل زمان وفي كل مكان، ثم إن الذي يؤمن بالكتاب كله وفيه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

ويؤلف الدين بين الناس عن طريق توحيد شعائرهم وأعيادهم وأساليب حياتهم ومعاملاتهم وتشريعهم المدني والجنائي)(١).

ونحن نتطلع بعد النجاح الباهر الذي حققته ثورة ٢٥ يناير في تحقيق العدالة وإعادة الحرية والكرامة لأهل مصر ، نتطلع للأخذ بيد مصر أيضًا - وهي قلب العالمين العربي والإسلامي - إلى أعلى مستوى لترتفع الأمة الإسلامية برمتها ولكي تستأنف رسالتها باعتبارها خير أمة أخرجت للناس، ونحن نستنهض همم الشباب الذين أثبتوا علو الهمة، والطريق واضح خطّه أجدادكم المخلَصون في التاريخ القريب أي: منذ انقطاع رابطة الوحدة الإسلامية بنهاية

---

(١) د/ محمد محمد حسين (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) جـ ٢ ص ٢٩٦ مكتبة الآداب بمصر ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م.

الخلافة العثمانية في القرن الماضي، حيث اجتمعوا على فكرة بديلة وهي الجامعة الإسلامية التي سيأتي التعريف بها بعد هذا البحث.

أما التاريخ البعيد فقد سجلت مصر أروع الصفحات فقد كانت طوال (عصر الأيوبيين والمماليك في صورة حصن الإسلام الحصين، وموكب المقاومة الإسلامية، وقلعة الصمود في حركة الجهاد الإسلامي، والمخزن الكبير الذي استمد منه المجاهدون إمداداتهم البشرية والمادية في حروبهم الطويلة وبخاصة ضد الصليبيين والمغول).

كذلك أدى انتقال الخلافة العباسية بعد سقوطها على أيدي المغول (٦٥٩هـ ١٢٦١م) غدت مصر محل سكن العلماء ومحط رحال الفضلاء على حد قول السيوطي [١].

وفيما يلي نتناول الدعامات الثقافية لمشروع الجامعة الإسلامية، وهو البديل الوحيد للمشروع التغريبي الذي أدى إلى انحدار الأمة وتراجعها إلى ذيل الأمم بعد أن كانت في مقدّمتها، وقد أصبحت الوحة في ظل أوضاعنا الحالية ضرورة ملحّة لإنقاذ القدس من براثن اليهود، وإعادة الحقوق لأهل فلسطين، حيث يقول المؤرخ البريطاني توينبي [إنني أظن أن لا شيء يمكن أن يخدم قضية عرب فلسطين كحركة تعمل في سبيل قيام اتحاد وثيق وفعّال للعالم العربي كله .. والواقع أنني أعتقد أن هذا الصوت العربي الموحّد سيكون أكثر فعالية في تقصير أن الفترة التي يعاني فيها الفلسطينيون العرب من الظلم الواقع عليهم الآن][٢].

---

(١) كتاب (تاريخ مصر الإسلامية) بقلم د/ سيدة كاشف، د/ جمال سرور، ود/ سعيد عبد الفتاح عاشور ص ١٩٤٩ – الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩٣م.

(٢) لمعي المطيعي (أرنولد توينبي: عرض ودراسة) ص ١٢٧. دار الكاتب العربى بالقاهرة سنة ١٩٦٧م.



[٨]

الدعامات الثقافية لمشروع الجامعة الإسلامية

١- وحدة الأمة تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله وعملًا بقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٢- الوقوف صفًّا واحدًا لصد عدوان الهجمة الصليبية في العصر الحديث ممثلة بجيوش الاستعمار الغربي.

٣- المحافظة على أصالة أمة الإسلام في مواجهة محلات الغزو الثقافي التي تقتلع شريعة الإسلام وقيمه وتستبدل بها قوانين أوروبا ونظمها في التعليم والتربية والاقتصاد والسياسة والاجتماع مع إحلال الفلسفة الغربية محل الثقافة الإسلامية، والعمل على فتنة الأجيال الجديدة بالوجه الظاهر لحضارة العصر في العلوم الذي يخفي القبح فيها بالفنون الهابطة والانحطاط الأخلاقي والمفاسد المتغلغلة في العادات والسلوك الاجتماعي.

٤- ضرورة ارتباط الإصلاح السياسي بالإصلاح الديني، فقد كان رأي الأفغاني أنه بعد أن استيقظ المسلمون في جانب دعاة الإصلاح فإنهم لن يستطيعوا النهضة الحقيقية إلا (إذا صار الإصلاح السياسي جنبًا إلى جنب مع الإصلاح الديني، وإلا إذا اتخذ المسلمون أولًا، وعادوا إلى دينهم الحق المجرد من عناصر الشرك ومن عقيدة التواكل، ومن عادات التخاذل والشقاق، فالإصلاح السياسي رهن بالإصلاح الديني، وكلاهما في الحق مكمل للآخر)[١]

---

(١) د/ محمود قاسم (الإسلام بين أمسه وغده) ص(١٣٥- ١٣٦) الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩م.

التعريف بالجامعة الإسلامية

(إن الجامعة الإسلامية بمعناها الشامل ومفهومها العام إنما هي الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى التي لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الإسلامي.

وهي قديمة بأصلها ومنشئها منذ عهد صاحب الرسالة ﷺ وقد أدرك ﷺ خطورة الجامعة وعلو منزلتها في المسلمين حق الإدراك فغرس غريستها بيديه في نفوسهم وكر عليها أكثر من ثلاثة عشر قرنًا فما أوهن كرور هذه القرون من الجامعة الإسلامية جانبًا)[١].

والسبب في ذلك أيضًا أنه ليس من دين من الأديان في الدنيا جامع لأبنائه بعضهم البعض وموحد لشعورهم نحو الجامعة الإسلامية والاستمساك بعروتها كدين الإسلام)[٢].

ولم تكن الجامعة الإسلامية حركة سياسية دفاعية محمولة على الغرب ردًّا لاعتدائه فحسب، بل إن منشأها الأصل هو المشاعر النفسانية الوجدانية العميقة في المسلمين لصيانة الوحدة[٣].

وكذلك كان لها غاية اقتصادية أيضًا وهي المحافظة على ثروة المسلمين، وثمرات التجارة والصناعة في جميع المعمور الإسلامي، هي لهم يتنعمون بها وليست لنصارى الغرب يستنزفونها، وهي نفض اليد من رؤوس المال الغربية والاستعاضة عنها برءوس مال إسلامية[٤].

---

(١) شكيب أرسلان (حاضر العالم الإسلامي) (١/ ٢٨٧، ٢٨٨) دار الفكر بيروت ط ٣. ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه ص (٣١٩).

(٤) نفسه ص (٣٢٨).

وكان من دعاة الجامعة الإسلامية أمثال الأفغاني ومحمد عبده، ومصطفى كامل، ورشيد رضا، وشكيب أرسلان[١].

وقد كشف رشيد في مجلة (المنار) عن موقف اللورد كرومر الذي كان يخشاها ويحذّر أوروبا منها[٢].

ولحق به بعض السياسيين حيث أخذوا ينادون بخطر الجامعة الإسلامية[٣].

ولا عجب من موقف الغرب العدائي للوحدة الإسلامية الذي رأى فيها عائقًا شديدًا لأهدافه الاستعمارية في بلاد المسلمين، **فأصَّر على إجهاض كل حركة تسعى لإحيائها.**

وبعد انحسار الاستعمار أرادت هذه الأمة التي عاشت في تاريخها الطويل الانتصارات التي مكّنتها من السيطرة على العالم، أرادت أن تستعيد مجدها وتتغلب على عوامل الهزائم العسكرية والاقتصادية والسياسية لتسترد مكانتها.

وبخبرتها الطويلة في الجهاد تأكد لديها أنه لا انتصار إلا بعودة الاستمساك بالإسلام كدين وحضارة.

ذلك لأن الإسلام (ليس دينًا خالصًا وإنما هو نظام اجتماعي كامل، وإنه ليس مجموعًا من الطقوس والعبادات التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه، وإنما هو مجموع من القواعد والأنظمة التي يستطيع الناس أن يعيشوا بمقتضاها، ومن هنا كان الإسلام حضارة كاملة، ونظامًا جامعًا، استطاع أن يمد بلاد الشرق بكل مقوّمات الدول وأساليب السياسة والحياة والتشريع والحضارة مدى بضعة قرون)[٤].

---

(١) محمد عبد الله السمان مقدة كتاب (الجامعة الإسلامية وأوروبا) ص (٩) سلسلة الثقافة الإسلامية (٤٣) ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٩م.

(٢) أنور الجندي (المنار) ص (٢٠٥) دار الأنصار بالقاهرة ١٩٨٣م.

(٣) رفيق العظم (الجامعة الإسلامية وأوروبا) ص (٥٩).

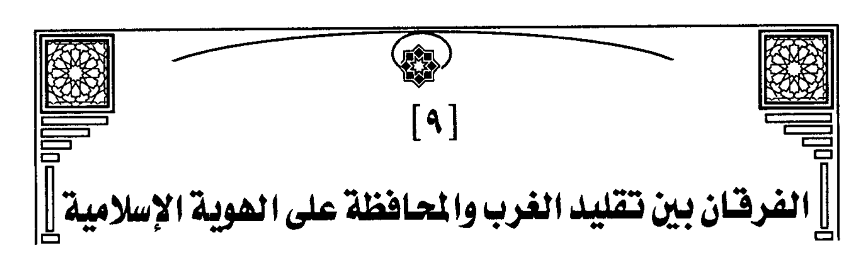
(٤) د/ حسين مؤنس (المشرق الإسلامي في العصر الحديث) ص (٩) مكتبة الثقافة الدينية بمصر

ونحن الآن في حاجة ملحة للجامعة الإسلامية لمواجهة إسرائيل حيث مُنيت الدول العربية بالهزائم منذ سنة ١٩٤٨ م بسبب الفرقة، ومن ثمَّ فالجامعة الإسلامية هي الوسيلة الفعالة لاستثارة الدعوة إلى التضامن في قلوب المسلمين تحت راية الدين الإسلامي بمفهومه الشامل كما أسلفنا[1].

❊ ❊ ❊

= صفر ١٣٥٨٧ إبريل ١٩٣٨م.

(١) د/ سليمان صالح (الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد) ص (١٥٠) الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٧م.



[٩]

الفرقان بين تقليد الغرب والمحافظة على الهوية الإسلامية

إذا أردنا تصوير النزاع الذي حدث بين الاتجاهين: التغريبي والإسلامي فسنجده ممثلا في موقفين:

أحدهما-: موقف الدكتور (طه حسين) في مستهل حياته الأدبية والعلمية (وقبل الرجوع في نهاية حياته عن بعضها).

والثاني-: موقف الإمام حسن البنّا المعبر عن الأصالة والمحافظة على التراث الإسلامي وشخصية الأمة.

كان الدكتور طه حسين رَحِمَهُ اللهُ في بداية حياته على رأس المنادين بالتغريب والسير سيرة الأوروبيين (فنسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحبّ منا وما يكره وما يحمد وما يعاب، ومن زعم لنا غير ذلك فهو مخادع أو مخدوع)(١).

وفي موضع آخر من كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) يقول:

(ولا ينبغي أن يفهم المصري أن الشرق الذي ذكره كيبلنج في بيته المشهور (الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا)يصدق على وطنه العزيز.. أو الكلمة التي قالها الخديوي إسماعيل وجعل بها مصر جزءًا من أوروبا كلون من المدح، وإنما كانت مصر دائمًا جزءًا من أوروبا، في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية، على اختلاف فروعها وألوانها)(٢).

وكان رَحِمَهُ اللهُ على علم بحجج المعارضين لرأيه فقال:(هم يرون ويسمعون أن في الحياة الأوروبية كثيرًا من الآثام وفنونًا من الموبقات واستباحة لأشياء لا

---

(١) د/ طه حسين (مستقبل الثقافة في مصر)ص٣٩ طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٩٦م.

(٢) نفسه ص٢٨.

يبيحها ديننا الحنيف. فيقولون في أنفسهم: إن الدعوة إلى الاتصال بالحياة الأوروبية على هذا النحو خليقة أن تغري بما في الحياة الأوروبية من إثم، وتورط فيما فيها من موبقة، وتحرض على ما فيها من مخالفة للدين)[١].

وكان أيضًا على بيّنة من أثر الاتصال بأوروبا من الخطر على (شخصيتنا القومية وعلى ما ورثناه عن ماضينا المجيد من هذا التراث العظيم)[٢].

ولذلك فقد حرص على ألا نفنى في الأوروبيين، فقال: (وأنا إنما أدعو إلى أن نثبت لأوروبا ونحفظ استقلالنا من عدوانها وطغيانها ونمنعها من أن تأكلنا)[٣].

وما كان يتوقع منذ ذلك الزمن البعيد أن أوروبا ستنجح في تغريبنا إلى الحد الذي كان يتصوره، بل نقلت إلينا الكثير من الآثام وفنون الموبقات التي لا يبيحها -حسب قوله- ديننا الحنيف، بل عجزنا عن منعها من أن تأكلنا حسب تعبيره!

ولا نشك في إخلاصه في النصح وهو يظن أن السبيل لنهضة بلاده في تقليد أوروبا. [٤].

وقد انتهز الدكتور طه حسين إحدى الفرص ليعلن أن الإسلام ليس معرضًا للخطر مهما تعرض لأقوال القائلين، وتمنى أن يقيض الله للإسلام من يدافع عنه، كما دافع هو عنه وأن ينشره.

---

(١) د/ طه حسين (مستقبل الثقافة في مصر)ص٤٣.

(٢) نفس المصدر ص٤٩.

(٣) نفس المصدر ص٤٩.

(٤) أما النية السيئة لبعض الأوروبيين فقد اتضحت في استغلال كتابه الشعر الجاهلى للإساءة للإسلام، يقول المهتدى للإسلام إبراهيم خليل أحمد: (استفادت الكنيسة من الكتاب مائة في المائة وكان طلاب كلية اللاهوت يعتبرونه من الكتب الأساسية لتدريس مادة الإسلام وعلى هذا المنهج - أى إبراز النقاط السوداء في تاريخ المسلمين- كانت رسالتى في الماجيستير تحت عنوان «كيف ندمر الإسلام بالمسلمين» سنة ١٩٥٢م ص١٠٨ من كتاب (سر إسلام رواد الفكر الحر في أوروبا وعلماء الدين المسيحي الأجلاء) إعداد وجمع محمد عبد العظيم على -دار المنارة بالمنصورةسنة ٢٠٠٢م.

وكان الإمام (حسن البنا) رَحِمَهُ اللَّهُ يتابع المناقشات التي دارت بين الدكتور طه حسين ومعارضيه، ثم رأى بارقة أمل في أقواله بمناسبة الاحتفال بتعيينه مراقبًا للثقافة العامة فكتب مقالًا بمجلة التعارف سنعرضها بنصها نقلًا من كتاب الأستاذ أنور الجندي (طه حسين: حياته وفكره في ميزان الإسلام): ص٨٦/ ٨٩ - دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٦م.

«وقد أقام الأساتذة والطلاب المناصرون للدكتور طه حسين بكلية الآداب حفلًا تكريمًا لحضرته بمناسبة تعيينه مراقبًا للثقافة العامة وكان مما قال الدكتور في هذا الحفل:

[ثم أريد أن أنتهز هذه الفرصة أيها الأصدقاء لأقول ما قلته ألف مرة وما سأقوله ألف مرة فقد يظهر أننا هنا لا نسأم من القول والتكرار هو أن الإسلام أثبت مكانه في قلوب المسلمين وفى قلبي أنا كذلك من أن نتعرض لخطر لأن فلانًا أو علانًا لم يحسن القول.

أيها الأصدقاء أرجو أن نكون أحسن ظنًّا بالإسلام وأحسن ظنًّا بأنفسنا وأن نكون أحسن ظنًّا بالله من أن نظن أن الإسلام معرض لأي خطر لأن فردًا يرى هذا الرأي أو ذاك وأتمنى أن يقيض الله للإسلام من يدافع عنه كما أدافع أنا عنه وأن ينشره ويحببه للناس كما أبشر به أنا وكما أحبب مبادئه للناس].

وقد عقد الأستاذ حسن البنا في مجلة التعرف فصلًا تحت عنوان:

(إذا كان هذا صحيحًا يا دكتور فقد اتفقنا).

قال فيه: إذا صح ذلك يا دكتور فقد اتفقنا كل الاتفاق، واعتبرنا أيها الداعية المسلم من جندك منذ الساعة فإنا للإسلام نعيش وله نحيا وفى سبيل الدعوة إليه شهداء. صدقنى يا دكتور طه من غير أن أقسم لك وإن شئت فأنا أقسم على هذا، أننى لأتمنى من كل قلبى مخلصًا أن أرى ذلك اليوم الذي تدعو فيه أنت للإسلام وتيسره بين الناس وتحبب تعاليمه إليهم.

فإنك رجل جريء لك قلم ولك لسان ولك تلامذة معجبون وأصدقاء مخلصون، وفيك دأب ونشاط وإنتاج خصيب وما نحسدك على هذا ولكنا نتمنى أن يكون ذلك في ميزان الإسلام لا عليه ولا في كفة الخصومة له ولا تهين أمره بطريق غير مباشر فهل يجيء حقًّا ذلك اليوم.

أسألك يا دكتور مخلصًا لأطمئن لا متصديًا لأتعنت. إن لك تلاميذ قد اختصصت بهم واختصوا بك فأيهم ظهر أثر دعوتك فيه فكان لسانًا إسلاميًّا أو قلمًا إسلاميًّا أو صفحة من صفحات الفكرة الإسلامية أو مظهر من مظاهر التمسك بالإسلام؟ وإنك قد ساهمت في خدمة كثير من القضايا الاجتماعية وحضرت كثيرًا من الاحتفالات والمؤتمرات في داخل القطر وخارجه ففي أى من هذه جميعًا نطقت باسم الإسلام أو دعوت إلى تعاليمه؟

وأنت يا دكتور أستاذ في الجامعة منذ أنشئت فأنشدك الحق هل تذكر في دروسك ومحاضراتك ما يلفت أنظارهم إلى جلال هذا الدين وروعته ونقاء تشريعه؟ هذا والمادة التي اختصصت بتدريسها ألصق مواد الدراسة بالإسلام وكتاب الإسلام، ولا أحرجك فأقول:

وأنشدك الحق أفتحيا أنت في حياتك اليومية على نمط إسلامي وتطبع أسرتك كرب بيت بهذا الطابع؟ ودع البيت وما فيه، أتقوم أنت في حياتك الشخصية بواجبات الرجل المسلم فضلًا عن الداعية الذي يتمنى أن يقيض الله للإسلام من يدافع عنه؟!

لا أحرجك بهذا السؤال الأخير ولا أطالبك بجوابه فأنتم معشر الدعاة العصريين تفرقون بين الحياة الشخصية والحياة العامة، كأن واجبات الفضيلة وتعاليم الإسلام لا تتناولهما جميعًا وكأن الحياة العامة للفرد ليست مرتبطة بحياته الخاصة كل الارتباط.

وبعد يا دكتور طه: فهل من الدعوة للإسلام أن تعرض للنظر في القرآن

بالأسلوب الذي اخترته لنفسك من قبل ؟ ولعلك عدلت عنه من بعد-وهو ما أسر له- حتى مع تسليم الدعوى بأن البحث علمي بحت. وهل من الدعوة للإسلام أن تقف وقفتك المعروفة في شأن الكتابين الإنجليزيين وما كان عليك ولا على الجامعة ولا على حرية الفكر من بأس أن تستجيب لأبناء مؤمنين من تلامذتك رأوا في هذا الكتاب طعنًا في مقدساتهم فلجؤوا إليك بالطريق القانوني في هدوء وأدب أو ما كان أولى بالداعية إلى الإسلام أن يشجع هذه الغيرة وييسر لها وتعطف كل العطف على القائمين بها؟!

وهل من الدعوة للإسلام أن تنادي في صراحة لا تعد لها صراحة أنه لا سبيل لنا إلى الرقي إلا إذا قلدنا أوروبا وسلكنا مسلك الأوروبيين لنكون لهم شركاء في حضارتهم خيرها وشرها، حلوها ومرها، نافعها وضارها، ما يحب فيها وما يكره وما يمدح فيها وما يعاب، ومن زعم لك غير ذلك فهو خادع منها أو مخدوع؟!

ولعلك تقول كما قلت: إنما أريد الدعوة إلى العلم وإلى القوة وإلى الخلق وإلى النظام وهذا حسن جميل، ولكن أفترى أن الإسلام لم يأمر بها ولم يسلك المسلمين السبيل إليه قبل أن تخرج أوروبا من ظلمات جهلها بمئات السنين فلم تدعونا إلى القوة والعلم والخلق والنظام باسم أوروبا الناشئة المتخبطة ولا تدعونا إلى ذلك باسم الإسلام الثابت الدعائم الراسخ الأركان؟!

وهل من الدعوة الإسلامية يا دكتور أن تخلط بين الفتيان والفتيات، هذا الخلط في كلية الآداب فتحذوا حذوها غيرها من الكليات وتبوء أنت بإثم ذلك كله؟!

وتريد للفتيات في صراحة هذا الاختلاط وتحثهن عليه وتدعوهن إليه ولا تقل أن هذا من عمل غيرك تحمس لهذا ودعا إليه وحمل لواءه واستخدم نفوذه في تحقيقه أحد كما فعلت ذلك أنت، ولعلك تعتبر هذا من مآثرك ومفاخرك ولكنني أخالفك يا دكتور وأصارحك بأن هذا الاختلاط ليس من الإسلام وقد

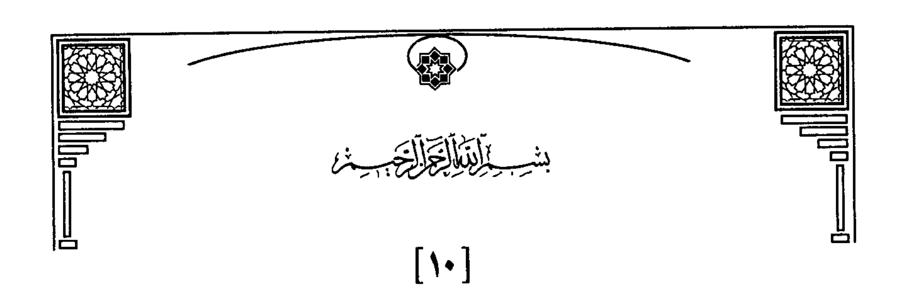
رأينا وسنرى ما كان وما سيكون له من آثار؟!

هذه هي صحيفتك يا دكتور للدفاع عن الإسلام والدعوة إليه فهلا نراك بعد هذا الحساب اليسير غير العسير الذي كانت المناقشة فيه بلا قسوة وبلا عدوان مصرًّا على أن يقيض الله للإسلام من يدافع عنه كما تدافع عنه ومن ينشر ويحبب تعاليمه إلى الناس كما تفعل؟!

على أننا على استعداد لأن ننسى الماضي جميعه ونأخذ في جديد مثمر منتج على الأساس الذي وضعته أنت وارتضيناه نحن أن تثبت في نفوسنا ونفسك مكانة الإسلام وأن تدافع عنه وأن تنشر تعاليمه وأن تحببه للناس وعلى أن يكون هكذا الإسلام هو كما تفسره اللغة العربية الواضحة وسنة رسول الله ﷺ الثابتة الصحيحة كما فهمها السلف الصالحون رضوان الله عليهم.

فهل يضع الدكتور طه يده في أيدينا على هذا الأساس ثم نعاهد الله جميعًا على أن نكون أمناء له مخلصين له مجاهدين في سبيله؟ وكلمة أخيرة يا دكتور لقد قلت وقولك حق: إن حياتنا موقوتة وكل ما فيها موقوت وأن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يسترد المنحة التي منحها لنا وهى الحياة في أى لحظة وهو قادر على أن يسترد ما يمنحنا أثناء الحياة.

ما أجمل هذا الإيمان.أذكّرك هذه الكلمات وأذكرك أنك الآن رجل قد جاوزت سن الآمال الخلب وصرت إلى الآخرة أقرب وأسال الله الكريم يطيل حياتك خادمًا مخلصًا للإسلام وأن هذا الشعب شعب كريم طيب القلب سرعان ما تنسيه الحسنة الواحدة كثيرًا من السيئات وأن الله تعالى واسع المغفرة عظيم الفضل عفو كريم فلا عليك يا دكتور أن تختم المطاف بتوبة صادقة وبتجرّد للإسلام ولخدمة الإسلام ولنشر الإسلام ولتحبب تعاليمه بحق إلى الناس فتفوز بخير الدنيا وسعادة الآخرة ذلك ما نرجوه منك ولك وقلوب الناس بيد الله يصرفها كيف يشاء ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ [الأنعام: ١٢٥] »اهـ.



[١٠]

مكانة مصر في العالم الإسلامي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

كتب العلامة الجزائري الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يقول عندما اندلعت الثورة بمصر عام ١٩٥١م مطالبة الإنجليز بالجلاء، كتب تحت عنوان (يا مصر) نسميك بما سماك الله في كتابه، فكفاك فخرًا أنه سماك بهذا الاسم الخالد.

وأخذ يقول: (وجمعية العلماء تحيي جهود الشعب المصري المجاهد في سبيل حريته، وتدعو له بالثبات في سبيل المعترك الضنك، وأن الشعب الجزائري حين يظهر بهذا الإحساس الشريف الطاهر نحو أخيه الشعب المصري إنما يقدم جهد المقل من قلوب ملؤها الحب لمصر، وإنه يعتقد أن كل مصري يخرج عن إجماع مصر فهو مدخول العقيدة، مغموز النسب، وأن كل عربي لا يؤيد مصر فهو عاقٌّ للعروبة، ناكث لعهدها، وأن كل مسلم لا يعين مصر بما يملك فهو مارق من الأخوة الإسلامية الشاملة)[١].

وفي مقال آخر بعنوان: (يا مصر....) يقول: (وأنت اليوم قبلة المسلمين يوّلون إليك كلما حزبهم أمر، أو حلت بهم معضلة، وينفرون إلى معاهدك، يمتارون العلم منها، وإلى كتبك يصححون الفكر والرأي عنها، وإلى علمائك يتلقون الفتيا الفاصلة في الدين والدنيا عنهم، فلك بذلك على كل مسلم حق،

(١) محمد البشير الإبراهيمي (عيون البصائر – ٢) ص ٥٥٩ الشركة الوطنية بالجزائر بدون تاريخ.

وهذا أوان الحاجة إليك). إلى أن يقول: (وإنك قادرة على إعادة الإسلام إلى رسومه الأولى... ولو فعلت **لقُدت المسلمين بزمام، ولكنت بهم للعالم كله إمام أيّ إمام**)(١).

ويقول أيضًا: (إن قلبي يحدثني حديثًا كأنما استقاه من عين اليقين، وهو أنك فائزة منتصرة ظافرة في هذه المعركة لأنك استعملت فيها سلاحًا كنت تنشدينه فلا تجدينه، وهو الإرادة يحدوها التصميم، يمدها الإيمان الحق، يربط ثلاثتهما الإجماع على الحق.

إنك فائزة في هذا اليوم بالأمنية التي عملت لها قرونًا، وإن فوزك للعرب وللإسلام والشرق، **فيا ويح دعاة الوطنية المحدودة**)(٢).

إلى أن يختم مقاله بالعبارة الآتية **وكأنه يخاطبنا الآن عقب نجاح ثورة يناير ٢٠١١م**: (نعمة من الله عليك أن امتحنك بهذه المحنة في مفترق الطرق، ولو تأخرت المحنة قليلًا لخشينا أن تسلكي أضل السبل.. فرصة من فرص الدهر، هيأها لك القدر للرجوع إلى هدي محمد ﷺ ومحامد العرب، وروحانية الشرق، **فإن انتهزتها محوت آية الغرب، وجعلت آية الشرق مبصرة**)(٣).

* * *

(١) نفسه ص ٥٦٣.

(٢) نفسه ص ٥٦٤.

(٣) نفسه ص ٥٦٦.



استمرار دور مصر التاريخي

والحق أن مصر لم تقصر طوال تاريخها في أداء واجباتها نحو الأمة الإسلامية وربما كان آخر أدوارها محاولة إعادة الخلافة الإسلامية من جديد بعد إلغاء الخلافة العثمانية.

وإذا حصرنا دراستنا في العشرينات من القرن الماضي، فسيتضح ظاهرة كثرة أعداد الجمعيات الإسلامية معبرة عن نبض الشعب المصري وعمق تدينه واستمساكه بالإسلام جيلًا بعد جيل دون انقطاع.

وإن كان غرض (الإخوان المسلمون) أمر معروف منذ تبنى الإمام حسن البنا للفكرة ولكن الجديد في الأمر ما اكتشفه الدكتور علي شلبي في دراسته الموسوعية لحزب مصر الفتاة فقد أورد نصًّا لأحمد حسين يقول فيه: «إن الخلافة هي نشدة المسلمين جميعًا، وهي معقل آمالهم والمسلمون بدون خليفة صالح كالقطيع ... وما كان لمسلم أن يعتز بإسلامه إلا معتمدًا على سيف مسلول يشهره في سبيل الله. فإننا بخلق جيش مصري كامل العدد والعدة، ونفخ الروح العسكرية في جميع المصريين، وبعث روح الجهاد في صفوفهم نخطو الخطوة الحاسمة لإعادة الخلافة».

وعلى الرغم من الحرب العنيفة التي شنها الإنجليز وأتباعهم من المفتونين بالغرب الذين جمعهم الاتجاه الليبرالي الذي رعاه طه حسين بكتابه (في الشعر الجاهلي) وعلي عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) ولكن الاتجاه الليبرالي تراجع أمام مواقف أمثال الأفغاني والشيخ محمد عبده ورشيد رضا

الذي كان له الأثر الأكبر بتقوية الاتجاه الإسلامي.

ويتكاثف المسلمون من كافة المذاهب للدفاع عن الإسلام وأضفت مؤلفاتهم على الدين صبغة قومية كان لها أثرها على الحياة السياسية في مصر، كما أثرت على التكوين العقلي والنفسي والخلقي للشباب، وجاءت أولى نتائجها في ظهور العديد من الجمعيات الدينية التي لعبت دورًا يتزايد مع الأيام في أوساط الطبقة المتوسطة ومنها جمعية الشبان المسلمين، وجمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، ثم لم تلبث أن نشأت جمعيات أخرى لها طابع مزدوج ديني وسياسي في الوقت نفسه مثل (جماعة الإخوان المسلمون) وجمعية مصر الفتاة التي تأثرت بهذا الاتجاه منذ البداية فقامت بحملات صاخبة لإغلاق حانات الشرب وتحريم البغاء، وظلت تواصل نشاطها الديني حتى أعلنت عن تحولها إلى الحزب الوطني الإسلامي فأخذ نشاطها يطفو على السطح.

* * *



[١٢]

حقيقة الصراع بين الحضارات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد؛

فمن الكذب المفضوح وصف علاقتنا بالغرب بأنه صراع حضارات، إنه ليس صراع حضارات، بل صراع بيْن قوى الاستعمار العالمية ممثلة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا والكيان الصهيوني، وشعوب الشرق الأوسط المغلوبة على أمرها، حيث تسلطت عليها قوى الغرب؛ لإذلال شعوبها، ونهب ثرواتها وبخاصة البترول؛ لأنه عصب الحياة الصناعية.

إن لفظ «الصراع» يتطلب توازن أو تقارب القوتين المتصارعتين؛ بينما الواقع الراهن يخالف هذا التصور، فإن الغرب يملك مِن الجيوش برًّا وبحرًا وجوًّا باشتراك حلف الأطلنطي - والولايات المتحدة- ما يجعله صاحب اليد الطولى، وبين يديه الأسلحة الذرية التي تمكنه مِن تدمير الكرة الأرضية.

ويتغافل «هنتجتون» -صاحب نظرية «صراع الحضارات»- عن أن الاستعمار ما زال جاثمًا على صدور الشعوب المقهورة بأسلوب آخر وهو النظام العالمي الجديد.

وفي هذا الصدد يقول الباحث الفرنسي سيرج لاتوش: «إن أروع ما حققه الاستعمار هو **مهزلة تصفية الاستعمار**، لقد انتقل البيض إلى الكواليس، لكنهم لا يزالون مخرجي العرض المسرحي، فإن الهدف مِن الاستعمار ظل ثابتًا أي: التبشير وغزو الأسواق، والتزود بالمواد الأولية والبحث عن أراضٍ جديدة

والحاجة إلى الأيدي العاملة»[١].

يقول نعوم تشومسكي: «فالنظام العالمي الجديد الذي تحدث عنه جورج بوش، والذي لم يكن مفهومًا بدرجة كافية في بدايته، لم يترك أي غموض في أعقاب حرب الخليج، أو بالأحرى في أعقاب مذبحة الخليج، فكلمة حرب لا تنطبق على مواجهة يقوم فيها طرف بذبح الطرف الآخر، وهو في مكان آمن ذابحًا السكان العزل».

وعلقت صحيفة التايمز الهندية على هذه الحرب بقولها: «إن السلوك الغربي كشف عن أسوأ جوانب الحضارة الغربية ألا وهي شهوتها الجامحة للسيطرة، وافتتانها المرضي بامتلاك الأسلحة عالية التقنية، وعدم احترامها لثقافات الغير»، واستنكرتها دورة شهرية ماليزية فوصفتها بأنها «أكثر الحروب التي شهدها كوكبنا خسّة».

ووصفتها إحدى الصحف البرازيلية الواسعة الانتشار بأنها «بربرية محضة، ومِن السخرية أن يتم تنفيذها باسم الحضارة»[٢].

ودول العالم الثالث -ونحن منها- معرضة لافتعال أسباب؛ لتبرير حرب جديدة بنفس الخسّة دون مبالاة لأي اعتبارات إنسانية بالرغم مِن (حقوق الإنسان التي يتشدق بها ساسة الغرب نفاقًا وخداعًا.

ولا نجاة لبلادنا مِن مصير العراق البائس إلا بالوحدة السياسية والتكامل بيْن الجيوش والاستعداد اليقظ لدفع أي اعتداء، بل إن الإعداد بالتنسيق بين جيوشنا وما أكثرها ووضعها تحت قيادة واحدة، هذا الإعداد وإظهار القوة كفيل في حد ذاته بردع الغرب وامتناعه مِن تكرار تجربة حرب العراق.

(١) سيرج لاتوش «تغريب العالم الإسلامي» تعريب خليل كلفت ط. دار العالم الثالث الثقافية بالقاهرة ١٩٩٢م.

(٢) نعوم تشومسكي «النظام العالمي القديم والجديد» ص (١٦-١٧) مكتبة الأسرة بمصر - ٢٠١٠م



المتحررون من الغزو الثقافي

نرى أنه من أفضل أساليب إقناع المصرِّين على المضيّ قُدما في تقليد حضارة الغرب، نرى متابعة الأدوار التي مر بها بعض الصفوة من علمائنا ومفكرينا وأدبائنا – الذين سلكوا طريق التغريب في بداية مراحل حياتهم الثقافية ثم عادوا إلى المطالبة بإحياء تراثهم الإسلامي عن اقتناع بأفضليته!

كانت موجة الغزو الثقافي الغربي كاسحة منذ الاستعمار البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م وتخرّجت أجيال بالنهج الذي خططه القسيس الإنجليزي (دنلوب) الذي خلع لباس الكهنوت وأصبح وزيرًا للمعارف بمصر عام ١٨٩٧م، واستهدف من التعليم تخريج الموظفين الصالحين لأعمال الدواوين وخلق طبقة متعلمة ولكن غير مثقفة ولا متينة الشخصية حتى تكون آلات فقط في أيدي الرؤساء.

ومن الأسباب التي أدت إلى المضيِّ قُدُمًا في تيار التغريب قيام المبعوثين العائدين من أوروبا بتبنِّي فلسفاتها وأفكارها وإعلانها وتربية تلاميذهم عليها[(١)].

وقد حرمت هذه المناهج أكثر الأجيال الماضية من الانتماء إلى وطنهم والتشبع بثقافتهم العربية الإسلامية، بل إن بعضهم أصبح ناقدًا للتراث ومفضلًا

---

(١) قال أحمد لطفي السيد – وقد أطلقوا عليه صفة «أستاذ الجيل» [إن الأوربيين هم أساتذتنا وعلينا أن نتتلمذ عليهم]!

د/ أحمد فضل (علم البديع – رؤية جديدة) صـ١٠٧.

الدار العربية للتوزيع بالإسكندرية ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.

ثقافة الغزاة عن ثقافة الآباء والأجداد! (والإنسان عدو ما يجهل)، مع نقد مظاهر الحياة بمصر، وأصبح التلاميذ بالمدارس يرتبطون ارتباطًا وثيقًا بالثقافة الغربية، بعد أن قطعت مناهج التعليم الصلة بينهم وبين ماضيهم اجتماعيًا وثقافيًا ولغويًا إلا فيما ندر وبصور مشوّهة ومزوّرة للتاريخ.

ويرى الأستاذ محمود شاكر أن النظرية التي وضعها المستعمرون في نظم التعليم ما زالت سارية المفعول حتى اليوم[1].

أما في الجامعات فإليكم:

نبذة مختصرة عن نشأة الجامعات المصرية ودور صانعي حركة التغريب

إن حركة إحياء التراث الإسلامي ـ وهو مرآة حياتنا العظمى ـ تقتضي أن تحتل مكانته في الجامعات ويتطلب تضافر الجهود والتخطيط وفق مناهج علمية تربوية؛ لإزاحة الكم الهائل من آثار مناهج التغريب التي نبعت من جامعتنا، إذ أُنشئت في الأغلب بواسطة المستشرقين الذين صبغوها بصبغة الثقافة الغربية، وعلى رأسها الفلسفة[2] واستمر تلاميذهم في أداء أدوارهم.

وقصة إنشاء جامعتنا ودورها التغريبي العلماني يحتاج إلى دراسة مستقلة لنعرف مدى العبء الذي يجب أن يقوم به علماؤنا المخلصون لإزاحة الركام

---

(١) سامح كريم (قمم وأفكار إسلامية) ص (٢٥٨) دار الوفاء بالقاهرة ١٩٨٤م.

(٢) بعد أن عرض الدكتور التفتازاني رحمه الله الصراع بين المذاهب الفلسفية، قال: (وهكذا ينقل الأساتذة الصراع الأجنبي حول الآراء والمذاهب إلى أرض العروبة والإسلام، وكان تخصصهم الجامعي في هذا الميدان من الدراسات يفرض عليهم فرضًا ألا يغفلوا ذاتيتنا وتراثنا الفلسفي عند تقييم ما درسوه ويدرسون، لهذا ليس بدعًا أن نؤكد ذاتيتنا بإزاء فكر العصر).
بحث بعنوان: (منهج إسلامي في تدريس الفلسفة الأوروبية الحديثة والمعاصرة في الجامعة) ص (٣٦٥) مجلة (الجمعية الفلسفية المصرية) العدد الرابع ـ السنة الرابعة ـ يناير سنة ١٩٩٦م.

الثقافي الغربي الدخيل، ولكننا سنكتفي بسرد الوقائع كلمحات نستخلص منها نتائج ذات مغزى.

يصف دونالد مالكوم جامعة القاهرة عند إنشائها بأنها مؤسسة تعليمية تزهو بما تراه في نفسها من عصرية علمانية [1] وقد تولى المستشرقون وغيرهم من الأساتذة الأوروبيين إلقاء الكثير من المحاضرات في هذه المؤسسة الناشئة وهي تشق طريقها بصعوبة في سنواتها الأولى.

وكان بعضهم يقوم بتدريس الفلسفة الإسلامية والأدب العربي، وقد كرس المستشرقون خبراتهم لخدمة الإمبراطورية الغربية وقد قام كل من نالينو وفين وماسيتزن، وكريزويل وسناوك وهرجرونج، بمعاونة حكوماتهم على محاربة المسلمين والسيطرة عليهم [2].

وقامت جامعة فاروق (الإسكندرية حاليًا) بالتركيز على دراسة الحضارة الإغريقية، والرومانية والتاريخ الأوروبي الحديث، وكانت جامعة عين شمس تعكس أوضاع العصر باتباع بعض التوجهات الأمريكية[3].

ومنذ الخمسينات فصاعدًا، لقيت الجامعة الأمريكية اهتمامًا من الدوائر الرسمية المصرية والأمريكية معًا، وكان رئيسها السابق (جون بادو) عضوًا سابقًا في بعثة تبشيرية ويجيد الحديث بالعربية.

وعاد المصريون الذين تخرّجوا في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية إلى جامعة القاهرة حاملين في أذهانهم النموذج الأمريكي.

ولكن أعينُ علماء الإسلام المخلصين كانت ترقب ما يدور داخل أروقة الجامعة يقول المؤلف:

---

(١) دونالد مالكوم ريد. ترجمة إكرام يوسف. دور جامعة القاهرة في بناء مصر الحديثة ص (٩٥). مكتبة الأسرة ٢٠٠٧م.

(٢) نفسه ص (٢٠١).

(٣) نفسه ص (٢٠٥).

(فقد هاجم النقاد - خاصة من الأزهر - طه حسين بسبب اقتباسه من الغربيين في أمور شديدة الصلة بالهوية الدينية والقومية، كما اتهموا المستشرقين بالتحالف مع الإرساليات التبشيرية لهدم الإسلام، ومن ثم استنكروا إقبال الجامعة على تعيين المستشرقين وحلفائهم من المصريين الذين تدرّبوا على أيديهم.

كما ثار جدال حول القضية نفسها في عدة منابر مهمة من بينها مجلة رشيد رضا (المنار) و(مجلة الأزهر) ومجمع اللغة العربية.

كذلك دفع الإخلاص والبحث عن الحق بعض المتأثرين بالثقافة الغربية إلى استكمال ثقافتهم بالاطلاع على التراث الإسلامي بعد بداية ظهور تدهور في الحضارة الغربية باعتراف بعض فلاسفتها.

وبدأ بعض الصفوة من العلماء والأدباء والمفكرين والمثقفين البحث والدراسة العميقة المتأنية وأعلنوا العودة إلى أحضان حضارتهم.

وسنختار اثنين هما:

١- الدكتور زكي نجيب محمود.

٢- الدكتور طه حسين.

١- الدكتور زكي نجيب محمود

كانت حملة التغريب مكثّفة وطاغية كما يتضح من عرض تاريخ إنشاء الجامعات المصرية، مما يجعلني لا أقلل من أثرها على أجيال مضت والبعض من مثقفي الجيل الحالي، ولكن أراني بصدد ظاهرة تستحق الدراسة، وهي تبشّر بانحسار موجة التغريب واستعادة الأمة لعافيتها بالعودة إلى تراثها، كما إنني أرصد هنا التحولات في أفكار بعض كبار علمائنا ومثقفينا، ونذكر منهم: الدكتور زكي نجيب محمود، الذي انتهى بالانتماء إلى الاتجاه الإسلامي وَتَرَكَ مؤلفات تصوّر هذا التحول، ونؤرّخ لحياته العلمية منذ شبابه الباكر حتى

المرحلة الأخيرة من عمره؛ عنيت ببحث هذه الظاهرة بإيجاز، مع وضعها في حجمها القابل للاتساع[1].

إن تحول زكي نجيب من الاتجاه التغريبي إلى أحضان الإسلام، والدفاع عنه، وبيان محاسنه، والاقتناع بأنه يقدّم حلولًا لمشكلات العصر، هذا الموقف يذكرنا بمقولة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ المشهورة: (إنما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية) [2].

رجوع الدكتور زكي نجيب محمود بعد خوضه لتجارب ثقافية حافلة:

إن كتاباته في نهاية حياته تمثل تحولًا ثقافيًّا له دلالته، حيث رجع إلى التراث الإسلامي قارئًا ودارسًا وباحثًا فيه عن حلول لمشكلاتنا ومشكلات العصر..

وتمهيدًا لهذا العرض الموجز لتحوله..فقد وصف نفسه بأنه كان واحدًا من آلاف المثقفين العرب الذين ما إن فُتحت عيونهم على فكر أوروبي قديم أو جديد، حتى سبقت إلى خواطرهم ظنون بأن ذلك هو الفكر الإنساني الذي لا

---

(١) ونقترح عمل دراسة شاملة لتسجيل ظاهرة رجوع بعض كبار مثقفينا، نذكر منهم:

١ - د. عبد الرحمن بدوي بكتابيه: (الدفاع عن القرآن ضد منتقديه)، و(دفاع عن محمد ﷺ ضد منتقصي قدره).

٢ - د. عبد الوهاب المسيري. ٣- د. عبد العزيز حمودة.

٤- د. محمد عمارة. ٥ - د. محمد حسين هيكل.

٦- خالد محمد خالد. ٧- منصور فهمي.

٨- د. مصطفىٰ محمود.

٩- الكاتب الصحفي الأستاذ محمد جلال كشك.

١٠- الأستاذ طارق البشري. ١١- الأستاذ عادل حسين.

١٢- الدكتور طه حسين. ولا نغفل أن هناك هيئات غربية الصبغة، كانت من صنعه وهي تؤدي وظائفها بنشاط كالمجلس الأعلىٰ للثقافة والمسارح، والسينما، ولها مؤتمراتها ومهرجاناتها وندواتها وبرامجها.

(٢) د. محمد علي الصلابي (فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ شخصيته وعصره) ص (١٩) دار ابن كثير- دمشق/ بيروت ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

فكر سواه؛ لأن عيونهم لم تفتح على غيره لتراه.. ويقول: (ولبثتْ هذه الحال مع كاتب هذه الصفحات أعوامًا بعد أعوام: الفكر الأوروبي دراسته وهو طالب، والفكر الأوروبي تدريسه وهو أستاذ، والفكر الأوروبي مسلاته كلما أراد التسلية في أوقات الفراغ، وكانت الأعلام والمذاهب في التراث العربي لا تجيئه إلا أصداء مفكّكة متناثرة، كالأشباح الغامضة يلمحها وهي طافية على أسطر الكاتبين.

استيقظ صاحبنا - كاتب هذه الصفحات - بعد أن فات أوانه أو أوشك، فإذا هو يحس الحيرة تؤرقه، فطفق في بضعة الأعوام الأخيرة التي قد لا تزيد على السبعة أو الثمانية يزدرد تراث آبائه ازدراد العجلان) [١].

ووصف الجماعة المستغربة بأنها تنظر إلى الأمور بعين أوروبية أو أمريكية ولكنها تكتب باللغة العربية وقد تمثلت ثقافة الغرب وعرضته بأسلوب حي في روحها وشخصيتها [٢].

ووصف الحضارة الغربية بأنها غازية غالبة متسلطة [٣] كما حكم على عصرنا بأنه أدى بشبابه إلى حالة من التمزق والتفسخ والضياع، ثم تقدم مقترحًا الحل بقوله: (**فلو استطعنا أن نقدم للعالم مجموعة متسقة الأجزاء من القيم الهادية للإنسان على طريق الحياة، كان هذا دورنا في بناء الحضارة المعاصرة**) [٤].

ويقدّم منظومة من القيم، لم تعرف بها أمة كما عرفنا، ويعني بها القيم المتمثلة في أسماء الله الحسنى، وتوجه مجرى الحياة إلى أهداف تليق بالإنسان

---

(١) د. زكي نجيب محمود (تجديد الفكر العربي) ص (٥، ٦) دار الشروق - القاهرة ١٩٨٢م.
ويقول في مقدمة كتابه (عن الحرية أتحدث): (والمطلوب هو عودة الضال إلىٰ طريق آبائه، وليس من شك في أن الأصيل عائد إلىٰ أصله كما يكون للشمس شروق جديد بعد كل غروب، وبالله التوفيق) ص (٧) ط. دار الشروق، نوفمبر ١٩٨٦م.

(٢) د. زكي نجيب محمود (ثقافتنا في مواجهة العصر) ص (١٦) دار الشروق يناير ١٩٧٦م.

(٣) نفسه ص (٣٠).

(٤) نفسه ص (٩١).

كما تصوره الثقافة الإسلامية العربية (هي صفات تكون مطلقة بالنسبة إلى الله سبحانه، ومنقوصة متدرجة نحو الكمال بالنسبة إلى الإنسان [1] فلو استطعنا ـ عن طريق التربية بصفة خاصة وعن الفكر والنشر بصفة عامة ـ لو استطعنا ألا نجعلها مجرد ألفاظ نرددها على حبات المسابح، بل نجعل منها معايير حية

---

(١) يبدو أن الدكتور زكي نجيب محمود تأثر بعبارة من يقول: (يتخلق بأسماء الله)، وهي في رأي الإمام ابن القيم ليست بعبارة سديدة، وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبيه بالإله على قدر الطاقة.. وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن، وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال، وعلى هذا يكون الدعاء من العبادات التي توظف كل اسم بمقتضاه حيث يدعو الداعي بالاسم الذي يلائم الطلب والمسألة، ويتوسل إلى الله بذكر هذه الأسماء وما تضمّنته من كمال الأوصاف وجلالها (ابن القيم بدائع الفوائد).

وقد اختلف العلماء في معنى الإحصاء الوارد في بحديث رسول الله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة**» متفق عليه. واختار الإمام ابن القيم أن الإحصاء على ثلاثة مراتب هي:

١- إحصاء ألفاظها وعددها ٢- فهم معانيها ومدلولها ٣- دعاؤه بها.

وقال الشيخ ابن عثيمين في الفتاوى:

وليس معنى أحصاها أن تكتب في رقاع ثم تكرر حتى تحفظ، ولكن معنى ذلك:

أولًا: الإحاطة بها لفظًا. **ثانيًا**: فهمها معنى.

ثالثًا: التعبد لله بمقتضاها ولذلك وجهان:

الوجه الأول: أن تدعو الله بها لقوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ بأن تجعلها وسيلة إلى مطلوبك، فتختار الاسم المناسب لمطلوبك، فعند سؤال المغفرة تقول: يا غفور اغفر لي، وليس من المناسب أن تقول: يا شديد العقاب اغفر لي، بل هذا يشبه الاستهزاء، بل تقول: أجرني من عقابك.

الوجه الثاني: أن تتعرض في عبادتك لما تقتضيه هذه الأسماء، فمقتضى الرحيم الرحمة، فاعمل العمل الصالح الذي يكون جليًّا لرحمة الله، هذا هو معنى أحصاها، فإذا كان كذلك فهو جدير لأن يكون ثمنًا لدخول الجنة.

(يُنظر كتاب (المجلى شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى) للعلامة محمد صالح العُثيمين) تأليف كاملة الكواري ص (١٣٨، ١٣٩) دار ابن حزم ـ بيروت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

نابضة نترسمها ونهتدي بهديها، إذًا لكانت بين أيدينا منظومة منسقة كاملة من القيم التي تضاف إلى دنيا الواقع فتخرج الإنسان الكامل المتكامل من وجهة نظر إسلامية، وفي ظروف هذا العصر، عصر العلم والصناعة[١].

وتوطئة لاقتراحه العمل بهذه القيم يقرر أولًا بأن الفكر لا يستحق أن يكون فكرًا بمعناه الصحيح، إلا إذا رسم الطريق المؤدي إلى التغيير، وهي حقيقة التقت عندها كل مذاهب العصر[٢] ثم يسأل: وهل في هذا الذي يتطلبه منا العصر شيء جديد كل الجدّة على ما ورثناه عن تراثنا الفكري من مبادئ؟

إن القرآن الكريم كلما وجّه الخطاب إلى (الذين آمنوا) أضاف إلى ذلك قوله: (وعملوا الصالحات) [٣].

كأنّ الإيمان لا يكون إيمانًا كاملًا إلا إذا اقترن بالعمل الصالح، وصلاحية العمل إنما تكون بالنسبة إلى الهدف المنشود... فالسياسي لا يكون صالحًا إلا إذا رسم لقومه خطة للعمل الناجح، والاقتصادي لا يكون صالحًا إلا إذا عرف الطريق الذي ينقذنا من التخلف، وهكذا؛ كل هؤلاء عاملون للصالحات ـ التي وإن بدت بدنيا الناس ـ فهي الطريق إلى مرضاة الله [٤].

* * *

(١) نفسه ص (٨٩).
(٢) نفسه ص (٥١).
(٣) نفسه ص (٥٣).
(٤) نفسه ص (٥٣).

تحويل طريق المسلمين الفكري منذ الغزو الاستعماري

في إحدى مقالات الدكتور زكي نجيب محمود عالج فيه قضية ضرورة الانتماء إلى منابعنا ـ أي تراثنا الإسلامي ـ فبدأ بالتقسيم التاريخي لطريقنا الفكري منذ الغزو الاستعماري ويتضمن مرحلتين:

الأولى: منذ جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨م، كنا في هذه المرحلة على صلة وثيقة بما ينتجه الغرب من علم وأدب وفن، وكان أعلام هذه المرحلة يسرفون بالتباهي بثقافة الغرب وحضارته، (وكان الصوت الأعلى هو لأصحاب الثقافة المنقولة عن الغرب، وكان الشعور بالنقص هو من درس الكنز الموروث مكتفيًا به، وهو موقف فيه هزال المريض، وضعف الذليل، لا سيما إذا تذكّرنا أن بلادنا في قبضة المستعمر، الذي هو صاحب تلك الثقافة، التي ينقلها ناقلوها ثم يفاخرون الناس بما نقلوا) [١].

وبكلمات صريحة تشير بصدق قائلها، وتلخّص نقده للمستغربين الذي حكم عليهم بالانتحار الحضاري لأنهم عزفوا عن (الغذاء) الذي يزيد من شعورنا بهويتنا الأصلية، ثم استطرد قائلًا: (**ولقد كنت لفترة طويلة واحدًا من أولئك الذين ضلّوا سبيل الحق في هذا الصدد، فبالغتُ كما بالغوا، حتى أراد لي الله رؤية أهدى**) [٢].

المرحلة الثانية: وهي التي نحياها اليوم وتتلخص في إصرارنا على تحقيق ذواتنا بالانتماء الصحيح إلى منابعنا، ولكن العيب في أبناء هذه المرحلة أنهم لا يريدون أن يسمعوا إلا صوتًا واحدًا، ويتمثل في سؤال سألني السائل سؤاله: (ألا يكفينا إسلامنا ويغنينا عن الغرب بكل ما فيه) [٣]. وقد دُهش للسؤال وكانت إجابته تتلخص في أن دعائم هذا العصر وحضارته هو العلم بقوانين الطبيعة في

(١) زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص (١٣٦) مكتبة الأسرة، سنة ١٩٩٩م.
(٢) نفسه ص (١٣٦).
(٣) نفسه ص (١٣٨).

مختلف ظواهرها، وقد حض الإسلام على طلب العلم، بدليل أنه بالرجوع إلى معجم القرآن الكريم يتضح أن لفظ (العلم) ومشتقاته جاء فيما يزيد على سبعين صورة من الألفاظ الدالة على (العلم) في آيات القرآن الكريم (فإذا ضممنا هذا القدر الهائل إلى قدر هائل آخر من مادة (فكر) وما يشتق منها علميًا، فإننا أمام كتاب جعل للعلم والفكر منزلة هيهات أن تجد لهما منزلة أعلى منها في أي مصدر آخر، إنه لم يرد للإنسان علمًا مجردًا بل أراد له (رسوخًا) فيه، وهداه إلى وجوب التفرقة بين العلم والظن)(١).

ويرى الدكتور نجيب أن هناك من الآيات القرآنية التي تحض المسلم على التفكير في خلق السماوات والأرض ولكنه مطالب بعدم الوقوف عند التلاوة وحدها مجردة عن التنفيذ، بل يجب التنفيذ لمضامينها للظفر بالعلم المطلوب، ويقول (فانظر إلى النقلة الكبرى التي نتعلمها إذا نحن قرأنا كتاب الله قراءة نقفز بها إلى آفاق العمل والتطبيق)(٢).

إنه يضع شرطًا ضروريًا لقراءة القرآن الكريم لتؤدي إلى النتائج التي حققها السلف الذين قاموا بتنفيذ أمر الله تعالى بالتفكير في خلق السماوات والأرض (ولقد اضطلع السلف بكثير من التفكير في الكون وكائناته وظواهره. فكان منهم علماء فلك وعلماء الطب وعلماء الكيمياء وعلماء الطبيعة في هذه الظاهرة أو تلك، كما كان منهم علماء الحيوان وعلماء الطبيعة)(٣).

أما عن صلة المسلمين بحضارة العصر، فإنه يبسط الفكرة ويغذيها بمن سماه (المسلم الجديد) و(المسلم القديم)، فإن المسلم الجديد المطالب كما طولب المسلم القديم بالتصدي لعلوم عصره، (إنه مطالب بقراءة الكون فيما يعرضه أمام حواسنا من صفحات، لكنها كُتبتْ بلغة الصوت والضوء

---

(١) زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص (١٣٩).
(٢) نفسه ص (١٤١).
(٣) زكي نجيب محمود (عن الحرية أتحدث) ص (٨٨).

والمغناطيسية والكهرباء)[١].

ويرسم الطريق للمسلم، فيرى أن الانطلاق من كتاب الله ﷻ يجعله يشارك بقوته التي يستمد منه في هذه الحضارة (مشاركة الأنداد فتكون له السيادة كما كانت لأسلافه)[٢].

وحجته أن الإسلام أراد للمسلم أن يكون قويًا، قوته في علومه، ومن واجب المسلم الجديد ألا يكتفي بنقل علوم الآخرين، بل نصيبه من البحث العلمي الأصيل الذي يقدمه إلى الدنيا قائلًا هاأنذا[٣].

الرد على العلمانيين

(الإسلام دين ودولة)

يعرِّف الدكتور زكي نجيب محمود الإسلام من حيث هو دين (له أركانه الخمسة التي يعرفها كل مسلم ويلتزمها)، فهو يؤكد فكرة الالتزام بأركانه، ومن حيث الشريعة له أحكامه التي يفصلها لنا علماء الفقه، فنعتز بها أحكامًا تضبط مناشط حياتنا، أي أنه لا يقتصر على العبادات فحسب[٤].

وقد توسّع في عرض تنظيم الدولة في الإسلام فذكر القطاع الحربي وفيه (أمراء القتال وجنده) وكتّاب الجيش، وفارضو العطاء، والعرفاء رؤساء الجند... إلخ.

وعلى النواحي كان هناك ولاة وأمراء الأقاليم، وفيها كان القضاة وعمال الجباية والخراج.. والقائم على الحمى.. وصاحب المساحة، وعمال الزكاة والصدقات، والخارصون للثمار، كما كان هناك (فارضو المواريث) و(فارضو النفقات).. إلخ.

(١) زكي نجيب محمود (عن الحرية أتحدث) ص (٨١).

(٢) نفسه ص (٩٠).

(٣) نفسه ص (٩٠).

(٤) زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص (١٧٢) مكتبة الأسرة، سنة ١٩٩٩م.

كذلك كان هناك من يقوم بمهمة (المحتسب) و(صاحب العسس)، و(متولي حراسة المدينة)، و(العين: الجاسوس..) و(السجان) و(المنادي) و(مقيم الحدود) و(متولي التطبيب والعلاج) إلخ.

وعند الغزو، كان هناك (أمراء الجهاد) و(المستخلفون على المدينة) ومن (يستنفر الناس للقتال) و(صاحب السلاح) و(صاحب اللواء) و(أمراء أقسام الجيش الخمسة)، و(حراس القائد) عليه الصلاة والسلام و(القائمون على متاع السفر)، ومن (يخذلون الأعداء). ومن (يبشرون بالنصر) إلخ.

ويبدو من اطلاعه الواسع على كتب التراث، أنه استخرج مثل هذه الوظائف من بطون الكتب وربما كدنا ننساها بسبب غياب تطبيق الشريعة، ويظهر من التعقيب على كل وظيفة بكلمة (إلخ.. إلخ..) ـ وكان حريصًا على أن يذيّل بها الوظائف ـ ليعرف القارئ أنه اختصر في عرضها ولم يتحدث إلا عن أهمها، إذ يستطرد قائلًا:

(وكثير من هذه الوظائف الإدارية كان لها أربابها الذين عيّنهم الرسول ﷺ فيها ابتداء..

فنحن أمام (دولة) اكتملت لها المعالم والمقومات.. نشأت كضرورة اقتضاها الدفاع عن حرية العقيدة الجديدة وحرية الدعوة والدعاة للدين الجديد.. وكضرورة لإقامة شريعة الإسلام، وتنظيم المجتمع الذي قام بالمدينة بعد هجرة الرسول ﷺ)[1].

ونراه قد أجاد في تصور الجهاد في الإسلام لتحقيق الحرية للناس في اعتناق الإسلام أمام قوى البطش التي تريد استعباد الشعوب وإذلالها لتحول بينهم وبين اختيار العقيدة التي تحقق لهم القيم والفضائل والحياة الإنسانية الطيبة، ولا نستبعد أنه استوحى مثل هذا التصور من اطلاعه الواسع، وقد سبقه إلى هذا التفسير أيضًا المهتدي للإسلام (محمد أسد) إذ علل الفتوحات الإسلامية

---

(١) زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص (٤٦، ٤٧).

بقوله: (ولم يكن يحفز المجاهدين الأولين إلى الجهاد طمع في خفض العيش ورخائه على حساب الناس الآخرين، ولم يقصد منه إلا بناء إطار عالمي لأحسن ما يمكن للإنسان من ارتقاء روحي، كما أن العلم بالفضيلة حسب تعليم الإسلام يفرض على الإنسان تبعة العمل بالفضائل.. ويستطرد قائلًا: (فإن الفضيلة ـ كما يقول الإسلام ـ تحيا إذا جاهد الإنسان لبسط سلطانها على الأرض وتموت إذا خذلها وتقاعد عن نصرتها) (١).

ونعود للدكتور زكي نجيب محمود الذي يتساءل بعد عرضه للدولة الإسلامية (فهل هناك بعد هذا الذي قدّمنا مجال لزعم علماني يدّعى أصحابه أن الإسلام (دين) لا (دولة) ورسالة روحية محضة، لا علاقة لها بسياسة المجتمع.. وأن رسولهﷺ ما كان إلا رسولًا، كالذين سبقوه لم يقم دولة، ولم يرأس حكومة، ولم يسيّس المجتمع الذي عاش فيه؟!..) ثم يقرر بحسم وقطع:

(لا نظن أن هناك مجالًا لزعم الذين أجهدوا الحقيقة ليقرروا (علمانية الإسلام).

ولا يفوتنا أيضًا تسجيل رأيه في دولة الإسلام حيث يتميز عن (دولة الكهانة) و(الدولة الدينية) التي عرفتها الحضارات غير الإسلامية، تستبد بها فئة بزعم أنها مفوضة للحكم بالحق الإلهي (٢).

ويستشهد في ذلك بحرب الردة أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليستخلص منها أن وجود (دولة الخلافة يومئذ) ـ كانت ضرورة مدنية وواجب سياسي ـ كان السبيل لتنظيم (الزكاة) التي هي واجب ديني، وركن من أركان الإسلام الدين.. وهذا هو المعنى الحقيقي والعميق لعبارة أبي بكر، التي حسمت الحوار الذي

---

(١) محمد أسد (الإسلام على مفترق الطرق) ص (٢٩) نقلًا عن: الإمام أبو الحسن الندوي بكتابه: (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ص (١٢١) دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

(٢) زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص (٤٧).

دار حول مشروعية قتال هؤلاء المرتدين عن وحدة الدولة الإسلامية: إن الزكاة هي حق لا إله إلا الله. (والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه..) وبهذا المنطق، الذي ربط به أبو بكر (الدين) و(الدولة)شرح الله صدر عمر بن الخطاب لرأي أبي بكر الصديق في هذا الموضوع الخطير.

ويستطرد الدكتور زكي نجيب محمود ليقطع برأي حاسم أمام الذين يخلطون بين الحكومة في الإسلام، والحكومة الدينية التي عرفها الغرب في العصور الوسطى، فيقول:

(بل لعلنا لا نغالي إذا قلنا: إن وجود (دولة الخلافة) التي حماها الصحابة ودعموها بقتالهم للمرتدين - رغم طابعها المدني، وانتفاء وصف (الواجب الديني) والفريضة الدينية، والدولة الدينية عنها - إن وجودها كان السبيل لما هو أكثر من إقامة (فريضة الزكاة الدينية) كركن من أركان الدين.. إذ إنها كانت السبيل لإقامة الإسلام كله كدين.. (فالدولة) هي التي نشرت الإسلام خارج شبه الجزيرة.. بعد أن أعادت رفع أعلامه التي طواها العرب المرتدون.. ولولاها لتهددت الإسلام مخاطر أن يصبح مجرد نحلة من النحل التي عرفها التاريخ، أو ديانة يقف شرف التدين بها عند قلة من الناس.. لقد كانت هذه (الدولة) هي الأداة التي تحقق بها وعد الله سبحانه في قرآنه الكريم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩])[1].

ولم يقف به التصور الإسلامي الشامل إلى بيان صلة الإسلام بنظام الحكم وإقامة العدل، بل امتد ليشمل تحقيقه لرغبات الإنسان في شعب الحياة الإنسانية، فإنه انتهز فرصة لإلقاء محاضرة عن الإسلام في إحدى جامعات أمريكا، وكان يعلم مسبقًا بجهل الأمريكيين بالإسلام مقرونًا في أنفسهم بشعور يميل بهم نحو الحكم الظالم.

وقد استخدم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيلة بارعة في تقديم محاضرته، فلم يصرّح في بداياتها

---

(١) زكي نجيب محمود (عن الحرية أتحدث) ص (٣٩).

بأنه سيتحدث عن الإسلام ـ لأنه يعرف شعورهم نحوه - بل أخذ ـ كما يقول: (أرسم له صورة ثقافية حضارية نتمنى جميعًا أن تتجه الإنسانية إلى تحقيقها، فما صورة الإنسان الفرد كما نريد له جميعًا أن يكون؟ ما هي صورة الروابط التي نتمناها جميعًا أن تربط الأفراد في المجتمع؟

.. وهكذا مضيت في حديثي معهم وكأن موضوعنا هو مستقبل الإنسان ومستقبل الثقافة ومستقبل الحضارة.. حتى إذا ما بلغت بحديثي حدًّا ظفر منهم بالموافقة والرضا؛ قلت لهم:

.. لكن هذه الصورة التي رسمتها لكم أيها السيدات والسادة هي صورة الإسلام!!

فقال أحدهم قولًا شديد الشبه بما قاله مسيو جوردن لمعلمه في مسرحية (موليير)ـ قال: أكنا إذًا طوال زماننا مسلمين ونحن لا ندري؟) (١).

ويضفي على العقيدة أهميتها الخاصة كأداة مقاومة في الحرب مع إسرائيل، إذ يرى أن قوة العقيدة لا تقل شأنًا عن قوة الجيش والطيران والأسطول وقوة السلاح الذري وغير الذري من نتاج العلم التكنولوجي الجديد، فإذا وازن بين طرفين أحدهما هو قوة الوسائل المادية، والآخر هو قوة العقائد والأفكار، كان السداد في اختيار الطريق الثاني.. (**هذه هي حركة التاريخ، لن يشذ فيها صراع الأمة العربية مع إسرائيل**)(٢).

---

(١) زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص (٣٦٨).

(٢) زكي نجيب محمود (ثقافتنا في مواجهة العصر) ص (٣١٩).

ويرى الدكتور زكي نجيب محمود أن هناك تشابهًا بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، فكلتاهما أرادت أن تنزع شعبًا من أرضه لتأخذ مكانه ـ وفي ذلك أفلحت أمريكا بالفعل ـ وفي ذلك أيضا أرادت إسرائيل أن تفلح.

كذلك يؤيد الرأي القائل بأن الاستعمار الأمريكي الجديد الذي حل محل الاستعمار بصورته الكلاسيكية ولكنه استحدث لنفسه أساليب جديدة ينفذ بها إلى الشعوب الآسيوية الأفريقية وذلك عن طريق السيطرة الاقتصادية والعقلية والجسمية، بواسطة مجموعة صغيرة ولكنها =

ولنقارن بين التصور الإسلامي للإنسان وبين حضارة الغرب.

فيقول د. زكي نجيب محمود:

(وأما عن حياة الروح.. فأهم ما يرد عنها الخاطر، هو عبادة الله جل شأنه، وعلى الرغم من أن العبادة في معظم أركانها تعتمد على الجسد فالشهادة ينطق بها اللسان ومعه سائر أجزاء الجهاز الصوتي، والصلاة وقوف وركوع وسجود ونطق، والحج طواف ووقفة على عرفات وعبارات تقال ورمي للجمرات..إلخ.. وكلها يؤديها الجسد، أقول: إنه على الرغم من أن الجسد أداة ضروزية لأداء العبادات إلا أنه في ذلك مجرد أداة، **وأما الغاية فهي شأن الروح التي لا يعرف أمرها وسرها إلا ربها**)[(١)].

الإسلام يضفي على الحياة المعنى المفتقد في حضارة الغرب:

وفي وصفه لأهل الغرب، يرى أنهم يسعون بلا هدف نهائي وهدفهم الحاضر هو تحصيل لقمة العيش، ومع التقدم العلمي الذي أنتج الآلات ربما سأل سائل: (وماذا جناه الإنسان من العلم وآلاته؟).

وفي غياب الإجابة نشأ في أهل الغرب ما نشأ من قلق ومن شعور بالاغتراب (لأن الواحد منهم يحس كأنه انسلخ عن ذاته ليصنع أشياء الآخرين)[(٢)].

وقد أسهمت المذاهب الفلسفية المعاصرة في الإحساس بالقلق، فهي ذات اتجاهين:

الأول: ينصب على العلم في بنيته ومنهجه، والثاني: يصب اهتمامه على حياة الإنسان نفسه (وكلا الاتجاهين ـ كما نرى ـ لا يفسح مكانًا لما هو وراء هذه الحياة بتاريخها الماضي وعلمها الحاضر، إذ هو لا يهتم بما كان من قبل الحياة

= دخيلة. (المصدر نفسه) ص (٣١٧).

(١) د. زكي نجيب محمود (في مفترق الطرق) ص (٤٥) ط. الشروق ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

(٢) د. زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص (١٣١). الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، مكتبة الأسرة ١٩٩٩م (دار الشروق).

ونشأتها، ولا بما سوف يكون بما بعد فنائها.. فإذا سأل: وماذا بعد؟ فإنه يشعر بالقلق والاضطراب لأنه لا يجد الجواب)[١].

ويقول الدكتور زكي نجيب محمود: (لكن المسلمين عندهم في ديانتهم الجواب، فالصورة في عقيدتهم الدينية لما سوف يكون بعد فناء الأرض وما عليها ومن عليها صورة واضحة بكل تفصيلاتها، فهنالك البعث والنشور، وهنالك الحساب وهنالك الثواب والعقاب.. وهنالك العدالة بأدق موازينها)[٢].

ولم يفته أيضًا الإجابة عن سؤال آخر، وهو (فيم الحياة وشقاؤها؟) فيجيب: (إنك تحيى بأمر الله وتعمل بطاعة الله، وسيكون يوم الحساب موعدًا لإقامة العدل فيما قدمت يداك، وبهذا تنتفي دواعي القلق والاغتراب **وغير ذلك من الحصاد المر الذي تغص به حلوق المعاصرين**)[٣].

وبهذه الإجابة الواضحة يضيف المسلمون إلى حضارة العصر معنى الحياة، ويقول: (**إننا لا نرفض العصر، بل نضيف إليه ما ينقصه**)[٤].

الفروق بين الدين والفلسفة:

ويرى الدكتور زكي نجيب محمود أن الفروق بين الدين والفلسفة واسعة وعميقة، ويعدّد أوجه الخلاف بينهما، فهو اختلاف في المصدر، إذ الدين مصدره وحي يوحى إلى نبي أو رسول، وأما الفلسفة فهي قائمة على رؤى يحدثها إنسان من البشر.. واختلاف أيضًا بينهما في الوظيفة، فالدين منظومة من العقائد والشرائع والعبادات والمبادئ، تتكون منها خطة حياة هنا في هذه الدنيا، وتمهّد للحياة الآخرة يوم يكون الحساب.. بينما الفلسفة تصب فاعليتها على

---

(١) د. زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص (١٣٢).

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

ظاهرة معينة لتكشف عن طبيعتها أولًا، وعن علاقاتها ببقية الظواهر ثانيًا...[(١)].

ويقول في موضع آخر: (فبينما تتعدد البناءات الفلسفية بتعدد الفلسفة، يظل البناء الديني واحدًا لوحدانية الموحى به والموحى إليه، وإذا جعلنا حديثنا هنا مقصورًا عن الإسلام، قلنا: إن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ تتضمن فيما تتضمنه، وحدانية من أوحى بالدين ومن نزل عليه الوحي، وذلك يستتبع أن يظل البناء الديني عند المؤمنين به واحدًا عند الجميع)[(٢)].

وبعد أن يستطرد بشرح أوجه الخلاف بين الدين والفلسفة يقرر في نهاية المطاف حكمه النهائي بقوله: (إنه الخلط الفكري الذي رزئنا به في حياتنا الثقافية، حتى أصبحنا وكأننا في تلك الحياة نخوض في عماء فوقه سحاب أدكن، ويكتنفه ضباب قاتم كثيف)[(٣)].

وقد أصاب بهذا الحكم على الفلسفة، فهي عاجزة عن تحقيق حياة واقعية فاضلة إذ إنه لا بد من الدين - بشريعته وقيمه - في تنظيم حياتنا.

هذا، وقد حجبت الفلسفة الغربية قديمًا وحديثًا بمناهجها ومدارسها وروادها، حجبت الإسلام - بمصدريه: كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ عن الأجيال تلو الأجيال منذ عصر الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين، وهم آلاف المثقفين (الذين ما إن فُتحت عيونهم على فكر أوروبي قديم أو جديد، حتى سبقت إلى خواطرهم ظنونٌ بأن ذلك هو الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه، لأن عيونهم لم تفتح على غيره لتراه)[(٤)].

وتاريخ إدخال الفلسفة الغربية القديمة والوسطى والحديثة إلى جامعاتنا ينم

---

(١) د. زكي نجيب محمود (قيم من التراث) ص (١٢١، ١٢٢) باختصار، مكتبة الأسرة ١٩٩٩م.
(٢) نفسه ص (١٢٠).
(٣) نفسه ص (١٢٣).
وكان في أول المقال قد أبدئ دهشته، إذ رأئ بين صفوة المثقفين من يحسب الدين فلسفة ومن يحسب الفلسفة دينًا. ص (١١٥) وعنوان المقال: (الفلسفة شيء والدين شيء آخر).
(٤) د. زكي نجيب محمود (تجديد الفكر العربي) ص (٥، ٦).

عن إحدى أدوات التغريب لشباب المسلمين، لسلخهم من هويتهم الإسلامية وجعل ولائهم الفكري تابعًا للغرب، وقد نجح الغرب في تحقيق غرضه إلى أبعد حد، فإن واقعنا المتمثل في مناهج التعليم، وجهل أغلب أبنائنا بتراثهم الإسلامي، دليل ساطع على نجاحه.

يقول فنسامي مونتاي الفرنسي ـ المهتدي للإسلام ـ: (إن مثل الفكر العربي الإسلامي المبعد عن التأثير القرآني، كمثل رجل أفرغ من دمه) (١).

وفي الختام فقد اتسمت آراء الدكتور زكي نجيب محمود بدقة الملاحظة والصراحة والحرص على متابعة واقع الحياة ببلادنا لتصحيح ما يراه من انحرافات ربما تخفى عن أعين الكثيرين.

ولعل من أبرزها ما لاحظه في **البلاد النامية** من المفارقات بين القول والعمل، وقد تجسدت الظاهرة في هذه البلاد التي ظفرت بحريتها وتولت الحكم فيه حكومة من أبنائه بعد أن كانت في أيدي أجانب غاصبين، وأخذ يصف الحكام الوطنيين بقوله: (قد ذهلتهم السلطة التي جاءت إليهم فجأة، بكل ما يتبعها من مكاسب، فتأخذهم خشية أن يكون هذا (العز) المفاجئ مصيره إلى زوال مفاجئ أيضًا... فيحاولون جمع أكثر ما يمكن جمعه، وفي أقصر مدة ممكنة، قبل أن يُباغتوا بأحكام القدر. ومن هنا تراهم يقسّمون حياتهم قسمين: **أحدهما في العلن، والآخر في الخفاء، فيبشرون بكل ما يطيب وقعه على الأسماع، لكنهم من وراء ظهر المجتمع يكنزون ويكدسون** (٢).

وربَّما قصد بهذا الحكم الذكي الدقيق، بعض قادة الانقلابات العسكرية في بلادنا.

---

(١) مجدي الهلالي (تحقيق الوصال بين القلب والقرآن) ص (١١٢) مؤسسة اقرأ ـ القاهرة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

(٢) قيم من التراث ص (٣٥٨)، وفي الوصف تعريض بالانقلابات العسكرية التي زعمت خداعًا أنها ثورات.

شهادة الدكتور طه حسين

ورجوعه عن سابق أقواله

كان مؤلف كتاب (دور جامعة القاهرة في بناء مصر الحديثة) قد وصف الدكتور طه حسين بأنه (داعية الحداثة المكافح) [١].

وإن صحّ هذا الوصف في بداية حياته الثقافية، فلا يصح إذا وقفنا على تحوله في نهاية حياته.

وقد نشر الشيخ محمود محمد شاكر رحمه الله شهادة الدكتور طه حسين التي تتضمن النقد لحضارة الغرب إذ رأى أنها حملت إلى عقولنا شرًّا غير قليل، ساخرًا من الذين قلدوها تقليد القردة، مشفقًا على ضحايا الحضارة الحديثة الذين ظنوا أن التجديد في إماتة القديم. وقد وصف أحدهم بقوله: (ينفث السم ويفسد العقول ويمسخ في نفوس الناس المعنى الصحيح لكلمة التجديد) [٢].

وقد سجل الشيخ شاكر اعتراف الدكتور: بتصحيح مواقفه السابقة، فقال: (قد بينت في بعض مقالاتي أن الدكتور طه، قد رجع في أقواله التي قالها في الشعر الجاهلي، بهذا الذي كتبه، وببعض ما صارحني به بعد ذلك وصارح به آخرين، من رجوعه عن هذه الأقوال، ولكنه لم يكتب شيئًا صريحًا يتبرأ به مما قال أو كتب... وهكذا كانت عادة (الأساتذة الكبار)! يخطئون في العلن ويتبرءون من خطئهم في السر [٣].

---

(١) دونالد مالكولم ريد (دور جامعة القاهرة في بناء مصر الحديثة) ص (٩٥) ترجمة إكرام يوسف. مكتبة الأسرة ٢٠٠٧م.

(٢) محمود محمد شاكر (رسالة في الطريق إلىٰ ثقافتنا) ص (٢٤٥)، كتاب الهلال - مصر. العدد ٤٨٩ صفر - سبتمبر سنة ١٩٩١م. وقد علق الشيخ شاكر علىٰ الشهادة بقوله: (وأخشىٰ أن أقول إن هذه الصفة تشمل عامة المثقفين في زماننا هذا إلىٰ سنة ١٩٧٧م).

(٣) نفسه ص (٢٤١).

وكان الشيخ شاكر يفضل أن يعلن الدكتور طه حسين عن عودته عن علمانيته جهرًا وبشكل موسع بتأليف كتاب أو نشر ذلك في وسائل الإعلام والتبرؤ من سابق معتقداته.

ولكن يبدو أن الرجل كان محاصرًا، فلم يُسمح له بحرية الحركة والإعلان الموسع عن عودته للحق.

ونرجّح هذا التفسير؛ لأن الدكتور طه حسين عندما أُتيحت له الفرصة عند الإدلاء بآرائه علنًا أمام لجنة الدستور، كان صريحًا وحاسمًا في انحيازه لعقيدة الإسلام وشريعته. ففي الاجتماع الذي عقدته لجنة وضع مشروع الدستور بدلًا من دستور ١٩٢٣م الملغى عقب [ثورة] يوليو، وأثيرت فيه قضية (حقوق المرأة السياسية) - (فلقد طلب طه حسين النص على عدم خروج القوانين على نص القرآن الكريم، فجعل للقرآن حاكمية سائدة على قوانين البلاد).. أما نص عبارته فيقول: (إنه من المقطوع به أن الأغلبية لن تقبل أن تخرج عند وضع الدستور على ما أمر به الإسلام، فلا أظن مثلًا أننا سننص على أن تأخذ المرأة في الميراث نصيبًا كنصيب الرجل، فلن يحدث هذا بالطبع)[1].

كما طالب بالنص في الدستور على عدم السماح لقوانين البلاد - المفصلة والمطبقة للدستور (بأن تَعْدِل عن نص القرآن).. ويستطرد قائلًا: ولكن لا بد لنا من أن نحتاط فنقول: إنه ليس هناك أي مقتضى يسمح لنا بأن نعدل عن نص القرآن[2].

وعارض الدكتور طه حسين التحلل من بعض الضوابط الإسلامية بزعم حرية العقيدة، وطالب أن يكون الالتزام بالإسلام - من منطلق احترام الدين - التزامًا كاملًا بالإسلام.. وليس التزامًا ببعض الكتاب وتحللًا من بعضه الآخر.

---

(١) د. محمد عمارة (الإسلام والسياسة - الرد على شبهات العلمانيين) ص (١٥٩) من سلسلة مجمع البحوث الإسلامية ١٤١٣ - ١٩٩٢م.
(٢) نفسه ص (١٦٠).

وقد علّق الدكتور محمد عمارة بعد سرده لبعض المناقشات بلجنة وضع الدستور بقوله: (بعد هذه العلمانية (التي كان عليها سنة ١٩٣٦م) ـ التي رأت القرآن مجرد (متمم ومصدق للإنجيل) وجدنا طه حسين ـ في سنة ١٩٥٣م ـ وأثناء مداولات غير علنية ـ لا سلطان على المشاركين فيها لغير فكرهم الذي يؤمنون به ـ وجدناه يطلب النص في الدستور على حاكمية النص القرآني على سائر القوانين.. ويقول: إن احترام الإسلام، يقتضي احترامه جملة وتفصيلًا، وذلك حتى لا يكون الإيمان إيمانًا ببعض الكتاب، وكفرًا ببعضه الآخر!.

وهكذا فقدت العلمانية - بعد هجمتها سنة ١٩٢٥م واحدًا من أبرز فرسانها) [(١)].

كذلك سجَّل الأستاذ سامح كُرَيِّم المواقف الدالة على ترجيح الأصالة في فكر الدكتور طه حسين، فعدَّد مواقفه الحريصة على أصالة اللغة العربية والثقافة العربية والحضارة العربية، وفزعه من الانصراف عن هذه الأصالة.. وكان ضمن التمسك بهذه الأصالة، الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بشكل يتيح للقارئ العربي المسلم المعاصر.. أن يعرف أسرار عظمة هذا التاريخ.. المتوارية وراء المتون ومتن المتون.. ووصف الفكر القديم (والغالب أنه الثقافة الإسلامية) مقوّم لشخصيتنا، محقق لقوميتنا عاصم لنا من الفناء في الأجنبي، معين لنا على أن نعرف أنفسنا.. ووصف الحضارة الأوروبية الحديثة بقوله: (والذين يظنون أن الحضارة الحديثة حملت إلى عقولنا خيرًا خالصًا، يخطئون فقد حملت الحضارة الحديثة إلى عقولنا شرًّا غير قليل).

ووصف الأدب العربي القديم بقوله: (ليس الأدب العربي أقل حياة من الآداب الأجنبية مهما تكن، وليس الأدب العربي أقل صلاحًا للبقاء واستحقاقًا

(١) نفسه ص (١٦٣). ولكن المتابع للحياة الثقافية بمصر الآن يلاحظ إعادة طبع كتب طه حسين وعرض آرائه السابقة بإلحاح، ولا نستبعد أن الغرض هو الوقوف في وجه الصحوة الإسلامية المتنامية!.

للعناية الخصبة والدرس المنتج من الآداب الأجنبية مهما تكن، وكل عيب الأدب العربي أنه مجهول لا يُحسنه أصحابه ولا تعمّقوه) [١].

وقد سجّل طه حسين تجربته الحافلة في شكل شهادة لا لبس فيها، نقلها إلينا الشيخ محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ووصفها بأنها شهادة مهمة جدًّا لتاريخ الحياة الثقافية التي امتدت بعده إلى يومنا هذا، قال الشيخ شاكر:

وسأحاول هنا أن ألخص ما قاله الدكتور طه بألفاظه هو، لا بألفاظي لأنها شهادة أستاذ كبير، يقول:

(والذين يظنون أن الحضارة الحديثة حملت إلى عقولنا خيرًا خالصًا يخطئون، فقد حملت الحضارة الحديثة إلى عقولنا شرًّا غير قليل... فكانت الحضارة الحديثة مصدر جمود وجهل، كما أن التعصب القديم مصدر جمود وجهل أيضًا).

(هذا الشاب، أو الشيخ، الذي أقبل من أوروبا يحمل الدرجات الجامعية، ويحسن الرطانة بإحدى اللغات الأجنبية... يجلسُ إليك وإلى غيرك منتفخًا منتفشًا مؤمنًا بنفسه وبدرجاته وبعلمه الحديث، أو أدبه الحديث، ثم يتحدث إليك كأنه ينطق بوحي أبُولُّون، فيعلن إليك في حزم أن أمر (القديم) قد انقضى، وأن الناس قد أظلهم عصر التجديد، وأن الأدب القديم يجب أن يُترك للشيوخ الذين يتشدقون بالألفاظ، ويملئون أفواههم بالقاف والطاء وما أشبهها من الحروف الغلاظ، وأن الاستمساك بالقديم جمود، والاندفاع في الحياة إلى أمام هو التطور، وهو الحياة وهو الرقي، هذا الشاب وأمثاله ضحية من ضحايا الحضارة الحديثة؛ لأنه لم يفهم هذه الحضارة على وجهها، ولو قد فهمها لعلم أنها لا تنكر القديم ولا تنفر منه ولا تنصرف عنه، وإنما تحببه وترغّب فيه وتحث عليه؛ لأنها تقوم على أساس منه متين..

---

(١) سامح كريّم (قمم وأفكار إسلامية) ص (٢٧٠) دار ألفا للنشر، دار الوفاء للنشر سنة ١٩٨٤م.

هذا الشاب ضحية من ضحايا الحضارة الحديثة، أو من ضحايا جهل الحضارة الحديثة، وشره ليس مقصورًا عليه، وإنما يتجاوزه إلى غيره من الناس. فهو يتحدث، وهو يعلم، وهو يكتب، وهو في هذا كله ينفث السم، ويفسد العقول، ويمسخ في نفوس الناس المعنى الصحيح لكلمة (التجديد). فليس التجديد في إماتة القديم، وإنما التجديد في إحياء القديم، وأخذ ما يصلح للبقاء.

وأكادُ أتخذ الميل إلى إماتة القديم أو إحيائه في الأدب مقياسًا للذين انتفعوا بالحضارة الحديثة أو لم ينتفعوا بها، فالذين تلهيهم مظاهر الحضارة عن أنفسهم حين تلهيهم عن أدبهم القديم، لم يفهموا الحضارة الحديثة، ولم ينتفعوا بها، ولم يفهموها على وجهها، وإنما اتخذوا منها صورًا وأشكالًا وقلدوا أصحابها تقليد القردة، لا أكثر ولا أقل !!.

والذين تلفتهم الحضارة الحديثة إلى أنفسهم، وتدفعهم إلى إحياء قديمهم، وتملأ نفوسهم إيمانًا بأن لا حياة لمصر إلا إذا عُنيت بتاريخها القديم وبتاريخها الإسلامي، وبالأدب العربي قديمه وحديثه، عنايتها بما يمس حياتنا اليومية من ألوان الحضارة الحديثة هم الذين انتفعوا، وهم الذين فهموا، وهم الذين ذاقوا، وهم القادرون على أن ينفعوا في إقامة الحياة على أساس متين [1].

من آثار القومية العربية:

حُولّت قضية فلسطين من منظور الصراع الحضاري مع الغرب إلى مجرد نزاع بين العرب وإسرائيل، فأفقدت القضية المخزون الهائل المستمد من الأمة الإسلامية ووقائع التاريخ المعاصر تحكي أنه في سنة ١٩٠٧م عقد مؤتمر أوروبي كبير، ضم أضخم نخبة من المفكرين والسياسيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح: (إن الحضارة الأوروبية مهددة بالانحلال

(١) محمود محمد شاكر (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) ص (٢٤٢- ٢٤٤) كتاب (الهلال سبتمبر ١٩٩١م.

والفناء، والواجب يقضي علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعّالة، تحول دون انهيار تلك الحضارة).

وبعد أشهر من الدرس والنقاش توصل المؤتمرون إلى خطة تقضي بالعمل المشترك على منع أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط؛ لأنها تشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوروبا، وأن الوسيلة لذلك إنشاء قومية غربية معادية شرق قناة السويس، وبذا أرست بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية [1].

ويقول الأستاذ سعد جمعة:

(على أن هدف الاستعمار الغربي وامتداده إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط، هو تدمير الحضارة الإسلامية، وتقويض التراث الإسلامي، وإن قيام إسرائيل ـ كظاهرة استعمارية عنصرية نازية غريبة ـ في قلب العالم العربي والإسلامي هو جزء من ذلك المخطط العريق وقاعدة عدوانية تضرب من خلالها الحضارة الإسلامية. وإن ذلك المخطط هو **استمرار للحروب الصليبية** ـ في لبوس جديد ـ لنفس الغرض ولنفس الأهداف) [2].

وإزاء هذه النكبة الحالة ببلادنا كانت المجابهة تحتم استدعاء المخزون الثقافي للأمة الإسلامية وعلى رأسها الوحدة والجهاد، ولكن استوردنا بعض التجارب الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في شكل الاشتراكية المنقولة من الاتحاد السوفيتي ورفعنا راية القومية العربية، ورفعنا قامات الزعامات المضلّلة ـ في مصر وغيرها ـ وأخذت وسائل الإعلام الخادعة الكاذبة توهم الجماهير بأن ما تقوله وتفعله هو القدر الحاكم والويل لمن يقف في

---

(١) سعد جمعة (رئيس الوزراء الأردنية ووزير الدفاع أيام هزيمة يونيو سنة ٦٧) كتابه بعنوان (المؤامرة ومعركة المصير ـ كيف ولماذا وقعت مأساة يونيو سنة ٦٧) ص (٢٥). كتاب المختار بالقاهرة بدون تاريخ.

(٢) نفسه ص (٩٣- ٩٤).

طريقها (وتم شراء حثالات في كل بلد عربي... ليسيروا في مواكب الهتافة... يرفعون شعارات لا يفهمونها) [١].

وكانت فكرة القومية العربية وافدة - في البداية - من الشام على أكتاف بعض النصارى الذين أسهموا في هدم صرح الخلافة العثمانية، مدفوعين بتعصب ديني، ومموّلين من جهات مخابرات غربية، وهم يمثلون طلائع الغزو الثقافي السام في العصر الحديث لبلاد المسلمين، وفي طليعتها مصر، تحت زعم نزع كل ما له صلة بالأتراك، والعبارة تحمل في طياتها (نزع الإسلام نفسه).

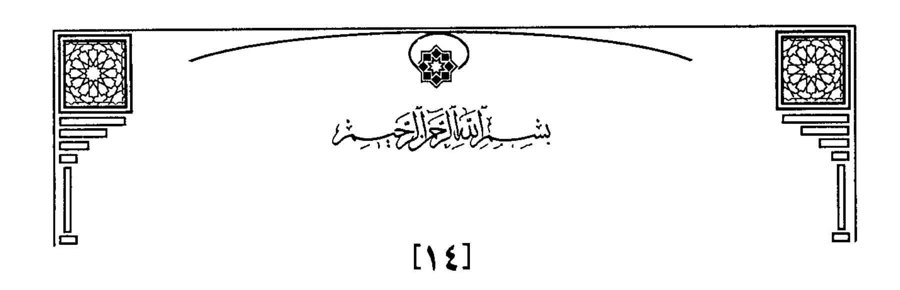
وأفقدت القومية العربية القضية الفلسطينية المدد الإسلامي من المحيط الإسلامي الواسع الأرجاء وهي في حقيقتها قضية عربية إسلامية [٢].

* * *

---

(١) نفسه ص (٢٠٨ - ٢٠٩). (وفي الوقت الذي كانت فيه روسيا ترتكب أبشع المظالم في الجمهوريات الإسلامية.. كانت الجماهير العربية المسلمة تهتف لروسيا وتلعن الغرب) ص (٨٥).

(٢) نفسه ص (٢٣٢).



[١٤]

المنهج الصائب في التمييز بين القادة المخلصين للأمة والآخرين الذين صنعتهم دوائر الاستخبارات وأحاطتهم بهالات من البطولات الزائفة

المقارنة بين السلطان عبد الحميد وأتاتورك أنموذجًا(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

السلطان عبد الحميد المفترى عليه والطاغية أتاتورك اللاديني (دراسة مقارنة):

كان خلع السلطان عبد الحميد بسبب مؤامرة دبّرتها جمعية الاتحاد والترقي المدعومة من اليهود والمحافل الماسونية والدول الغربية (٢).

وأخذت تشهّر تشهيرًا عنيفًا بالسلطان عبد الحميد، وقد وقف وراء هذه الحملة الصهاينة (انتقامًا منه لسياسته المعادية لأهدافهم في فلسطين)(٣).

---

(١) وهو أنموذج يصلح كميزان نقارن به في بلادنا العربية والإسلامية، بين الزعماء الأصلاء بسجل حياتهم الحافل بجهادهم ضد الأعداء، وبين الزعماء الذين تصنعهم أجهزة المخابرات كأدوات لخدمة مصالح دولها.

(٢) د/ علي الصلابي (الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط) (٤٩٢- ٤٩٩)، (٥٠٣- ٥٠٧) دار المعرفة ـ بيروت.

(٣) السابق.

وقام الإنجليز بصناعة بطل بواسطة مخابراتهم، وهو مصطفى كمال أتاتورك[١].

وكانت الحيلة البارعة تتمثل في انسحاب قوات الحلفاء أمامه ليظهر في صورة البطل المنتصر، وأصبح مؤهّلًا وسط الضجة الإعلامية الضخمة ليقدم على جريمته الكبرى، وهي إلغاء الخلافة[٢] .

وإن النظرة المتأنّية المقارنة بين سلوك الرجلين: السلطان عبد الحميد وكمال أتاتورك؛ لتؤدي بنا قطعًا إلى نفي كل العيوب التي ألصقها خصوم الأول به، وتدفعنا للدعوة لتدبر النتائج الكارثية لجريمة أتاتورك، وأكبرها وقوع تصدّع مصيري خطر في كيان الأمة الإسلامية ووحدتها، وما زالت تعاني منه إلى الآن، والله تعالى وحده يعلم متى يجتمع شمل الأمة من جديد .

فقد كان السلطان عبد الحميد متمسكًا بالجامعة الإسلامية للمحافظة على وحدة الأمة ، ولضمان استمرار أدائها لرسالتها.

كذلك وقف بصلابة كالأسد الجسور معارضًا السماح لليهود بدخول أرض فلسطين، رافضًا عرضًا سخيًّا من هرتزل لحل الأزمة المالية للدولة العثمانية حينذاك، وكان من رأيه أنه (إذا ما سمح لليهود بالتوطن في فلسطين فإنهم سيستطيعون في وقت قليل جدًّا أن يجمعوا في أيديهم وسائل القوة في المكان الذي يستقرون فيه ، وفي هذه الحالة (نكون قد وقعنا قرارًا بالموت على إخواننا في الدين ويقصد الفلسطينيين)[٣].

ومما قاله عن القدس: (لماذا نترك القدس ... إنها أرضنا في كل وقت وفي كل زمان وستبقى كذلك فهي من مدننا المقدسة، وتقع في أرض إسلامية، لا بد

---

(١) السابق.

(٢) السابق .

(٣) مقدمة مذكرات السلطان عبد الحميد بقلم الدكتور محمد حرب عبد الحميد ص (١١، ١٢) ط. دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٨م .

أن تظل القدس لنا)[1].

ويذكر الدكتور محمد حرب أن السلطان عبد الحميد كان يرى أن **الحروب الصليبية ضد الدولة العثمانية دائمة ومستمرة**، لذلك كان يعمل بالإسلام على توحيد العناصر المتعددة في الدولة من ترك وعرب وأكراد وغيرهم في جبهة واحدة لكي يمكن الصمود أمام الغرب، وكان يرى ضرورة العمل على تدعيم أواصر الأخوة الإسلامية بين كل مسلمي العالم.

وفي حديثه عن علاقة الدولة العثمانية بإنجلترا التي تضع العراقيل أمام الوحدة الإسلامية، قال: (الإسلام والمسيحية نظرتان مختلفتان، ولا يمكن الجمع بينهما في حضارة واحدة).

وكان يرى أن الإنجليز أفسدوا عقول المصريين، إذ قدم بعضهم القومية على الدينية، والمثقفون المصريون أصبحوا من حيث لا يشعرون ألعوبة في يد الإنجليز.

إنهم بذلك يهزّون اقتدار الدولة الإسلامية، ويهزّون معها اعتبار الخلافة[2].

وقد أيدت الدراسات العلمية الحديثة آراء السلطان عبد الحميد عن الحروب الصليبية وإثارة نعرة القوميات بواسطة دول أوروبا والمبشرين، يقول د/ مصطفى خالدي:

(ولقد كانت أكثر الحروب التي شنتها أوروبة من قبل على الدول الإسلامية دينية في أساسها كالحروب الصليبية والحروب في الأندلس.

وكذلك في القرنين التاسع عشر والعشرين كانت حروب الدول الغربية المشنونة على الإمبراطورية العثمانية متميزة بعامل ديني.

قال لورنس براون: (وكذلك شنت الدول الأوروبية في القرن التاسع عشر

---

(١) السابق.

(٢) نفسه باختصار ص (٧، ٨).

والقرن العشرين حروبًا عدوانية على الحكومات المسلمة، ثم انتزعت منها أراضٍ ضمتها إلى سلطانها هي) [١].

وقد أخذ المبشرون بتلفيق قومية وهمية لأهل كل قطر مسلم، فبعثوا الفرعونية من خلال الأهرام في مصر، والفينيقية من خرائب الساحل الممتد من يافا إلى اللاذقية على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، ثم إنهم لفقوا في العراق دعوة أشورية.

وعندما فشلت الدعوات الإقليمية الضيقة (وقع الاستعمار على فكرة القومية العربية وألبسها ثوبًا جديدًا، لقد أُريد من العروبة أن تكون رابطة قومية مناقضة للإسلام: سياسة العروبة لا صلة لها بالإسلام، والمسلمون من غير العرب لا صلة لهم بالعروبة.

ومما يؤسف له أن نفرًا من الشباب العرب قد اعتنقوا فكرة العروبة المجردة من الإسلام، ثم أخذوا وهم يدعون للعروبة يقاومون الحركات الإسلامية) [٢].

ومن الأحكام الصائبة التي سجّلها في مذكراته قوله:

(الذين يفهمون التاريخ العثماني يعرفون أن هذه البلاد لم تقم مستندة على القوة، ولكن على العدل، فلو كانت الجيوش العثمانية حملت معها الظلم إلى البلاد المفتوحة لتفتت هذه الإمبراطورية إلى أجزاء كالبذور، ولم تقم لها قائمة، وذلك؛ لأن العدل هو أساس المشروعية، والمشروعية مسند الحاكمية، والقوة مؤيدة المشروعية، والحاكمية مضطرّة للاعتماد على العدل.

---

(١) د/ مصطفى خالدي، ود/ عمر فروخ (التبشير والاستعمار في البلاد العربية) .. المكتبة العصرية ـ بيروت ط ٥ ١٩٧٣م ص (١٢٨، ١٢٩).

ورأى المبشّرون الاستفادة من السيطرة العسكرية السياسية، فقال أحدهم ـ وهو رشتر ـ: (إن مائة وستين مليونًا من مجموع مائتين وخمسين مليونًا من المسلمين في حكم الدول النصرانية، فواجب هذه الدول ـ إذن ـ أن تمهّد السبيل لتبديل دين هؤلاء الرعايا) ص (١٤٥).

(٢) د/ مصطفى خالدي، ود/ عمر فروخ (التبشير والاستعمار في البلاد العربية) ص (١٧٥).

فإذا نهض أحد للحكم بلا عدل واستخدم القوة بلا مشروعية، فلا بد لهذا الحكم أن ينهار.

كذلك الجيش أيضًا إذا استخدم القوة التي يملكها في إطار غايتها، فذلك مشروع، أما إذا وضعها في غير إطار غايتها فذلك غير مشروع.

قد يهدم الجيش أشياء .. نعم يهدمها لكنه في النهاية يهدم نفسه، وبكل أسف فأحيانًا تنهار دولة تحت هذه الأنقاض)[١].

وأثبتت الدراسات التاريخية الموثقة ومنها كتاب الشيخ مصطفى صبري أن أتاتورك كان خارجًا على شرعية الدولة العثمانية، ومن ثم أصبح رأس حربة لتنفيذ المخطط التغريبي اليهودي، حيث حوّل الشعب التركي عنوةً ـ بارتكابه جرائم الاغتيال والمحاكمات العسكرية الظالمة لمعارضيه ـ حوّله إلى مجرد تابع للغرب بعد أن كان ـ أيام الخلافة ـ العدوّ المرهوب الجانب .

وأصبح أتاتورك منذ ذلك التاريخ أسوة للحركات العسكرية الانقلابية في العالمين العربي والإسلامي حيث اتّبعت خطواته وسارت على نهجه .

فماذا كانت النتائج؟

ضاعت القدس، وأقيمت الدولة اليهودية على أرض فلسطين المغتصبة، وأصبحت الأمة الإسلامية تعاني من الأزمات التي لا حصر لها في ميادين الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية كما لا يخفى على أحد.

والأدهى والأمرّ صارت بلا حول ولا قوة أمام الحرب الصليبية التي لم تتوقف منذ إلغاء الخلافة.

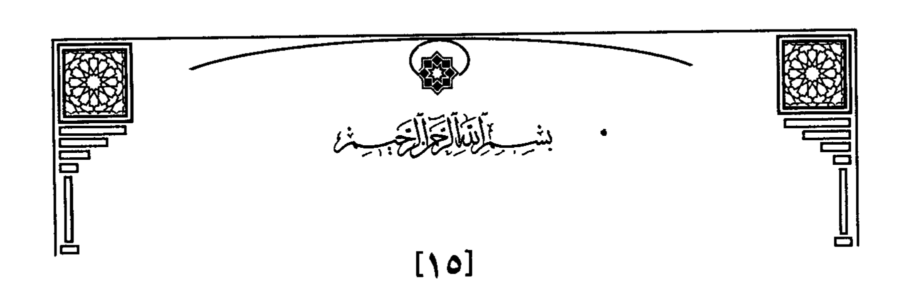
وبعد ذلك كله أما آن لنا أن نزن أعمال كلٍّ من السلطان عبد الحميد وأتاتورك بالميزان الصحيح، ولقد ثبت أن الأوّل يعبر عن قلب الأمة الإسلامية، بينما كان الثاني مخلبًا لأعدائها.

---

(١) نفسه (٨٨).

وبهذا الميزان الدقيق نقيس الزعماء والقادة في حياتنا السياسية، ونقيس الأدباء والكتاب والمثقفين في حياتنا الدينية والثقافية والعلمية، لنفرّق بين المعبِّرين عن قلب الأمة، وبين صنائع أعدائها، ونفرز المخلصين عن المنافقين، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠].

* * *



[١٥]

خدعونا فقالوا: [إن الغرب تخلى عن دينه]

قال الرئيس على بيجوفيتش: (إن العودة إلى الدين أصبحت ظاهرة عالمية في كل مكان قمع فيه الشيوعيون الدين على مدى خمسين إلى سبعين سنة.

نعم، هناك أسلمة في البوسنة......وهي صحوة إسلامية بقدر ما فيها من صحوة أرثوذكسية وكاثوليكية، ولكن الفرق هو أن عودة المسيحيين إلى دينهم لم تلفت انتباه أوروبا المسيحية وهو أمر لا ألومها عليه، أما عودة المسلمين إلى دينهم فقد اعتبرته أمرًا مفزعًا)[١].

مدخل:

سبق لي أن عرضت من قبل بكتاب «حضارة العصر الوجه الآخر»[٢] قضية إحياء الدين وتوظيفه سياسيًّا في الغرب.... وتلخص العرض في بيان علامات

---

(١) مجلة (المختار الإسلامي) القاهرة ربيع الأول ١٤٢٥ هـ- مايو سنة ٢٠٠٤ م ص (٩٥).

(٢) وقد صدر قبل أحداث سبتمبر سنة ٢٠٠١م ويفسر الدكتور مراد هوفمان السفير الألماني المهتدي للإسلام – الخوف من الإسلام منذ التوسع المذهل للإسلام في القرنين السابع والثامن الميلاديين، كما كانت الحروب الصليبية مع الشرق المسلم صدمة تبعتها نتائج عديدة. ص (٦٨، ٧٢) من كتابه (الإسلام في الألفية الثالثة الدين الصاعد) مكتبة الشروق ٢٠٠١ م.

كذلك يلخص طريق وسائل الإعلام الغربية، بما قاله الشاعر الألماني جوته: «لايعنيني إلا أن أتذكر هؤلاء المعارضين الذين إذا ما أرادوا شرًّا بأحد فإنهم يشوهونه أولًا، ثم يحولونه إلى وحش يجب محاربته» ص (٧٩).

الصحوة الدينية هناك التي كانت مستورة وراء السلوكيات الدبلوماسية التي تظهر غير ما تبطن، وعقب أحداث سبتمبر ظهرت على السطح بشكل سافر علامات العداء للإسلام والمسلمين، فبدأنا نتنبه إلى الحركات والأنشطة الدينية التي كانت تتحرك في أعماق المجتمعات - سواء في أوروبا أو في أمريكا - ورأينا من واجبنا إعادة النظر فيها وعرضها بشكل أشمل، لعلها تحدث فينا يقظة دينية مقابلها، وعلى مستواها.

ومن العلامات التي تستوقف الباحث، أن الحركة السلفية الأصولية الإنجيلية -أو اليمين المسيحي الجديد- ظهرت في أمريكا مع بدايات القرن العشرين، وهناك منظمة تعلن بصراحة وقوة أن العهد القديم يتضمن الخطة الصالحة لإقامة مجتمع مثالي، ولابد من إقامته حتى لو اقتضى الأمر - حسب عقيدتها- إحراق مجتمع المفسدين والكفار والعلمانيين لإقرار حاكمية الرب، واتسعت هناك دائرة الوعظ الإنجيلي على الشاشة الصغيرة.

وفى أوروبا أعلن بابا روما السابق ضرورة توحيد الصفوف عندهم للتصدي للمد الإسلامي وتنصير العالم.

لذلك فإنى في هذه المقالة، أعود فأعالج نفس القضية من منظور دراسي يبحث عن أعماق التدين في الغرب الذي ظهر سافرا الآن، بعد « إفلاس العلمانية » وكما عبر عن ذلك الباحث الفرنسي «جيل كيبل».

يقول جيل كيبل تحت عنوان «أوروبا أرض إرسال وإرسالية»:

«ينفتح الربع الأخير من القرن العشرين، في أوروبا الكاثوليكية على مفارقه، إذ يبدو المجتمع وكأنه لم يكن يومًا ما على هذا القدر الكثيف من الدنيوية العلمانية ومن اللامسيحية، ومع هذا فإن حركات معاودة تنصيره تنبعث وتتولد في كل مكان. فهنا تعمل جماعات إلهية اللدنية على جعل خريجي الجامعات يكتشفون نفحة الروح القدس، بينما تكاثر جماعات سواها عمليات الشفاء

العجائبي المعجزة، وهناك تعبئ منظمات مثل «التناول والتحرير » التي تريد إعادة خلق مجتمع مسيحي بعد «إفلاس العلمانية »، من مئات آلاف الشبان الإيطاليين، في حين تتكون وتتهيكل في أوروبا الشرقية – التي لم تعد سوفيتية– حركات اجتماعية وأحزاب تجعل بعد أربعين سنة من الإلحاد الرسمي، من التأكيد على كاثوليكيتها، معيار هويتها السياسية»(١).

أما المناسبة لضم هذه المقالة للكتاب، فهي للرد على الحداثيين الذين يطالبوننا بهدم العقائد والأعراف والمقدسات في سبيل تحقيق مشروعهم «النهضوي» وهو في حقيقته «تخريبي مدمر» في الوقت الذي يعيش فيه الغرب – وهو مثلهم الأعلى– صحوة دينية حقيقية معاصرة، عبرت عنها كارين أرمسترونج – أستاذ الأديان المقارنة بجامعة إكسفورد – بقولها:

«إن الدين أصبح من جديد قوة يعمل لها ألف حساب، وانتشرت صحوة دينية واسعة لم تدر بخلد الكثيرين في الخمسينات والستينات، في حين كان العلمانيون يفترضون أن الدين خرافة تجاوزها الإنسان المتحضر العقلاني، وأنه على أحسن الافتراضات مجرد نشاط فردي عاجز عن التأثير في الأحداث العالمية».

وتمضي في وصف التغييرات الجديدة في الحياة الدينية بأنها أشبه بالثورة فتقول: «فربما هجرنا إلى الأبد أسلوب النظر القديم إلى ديننا وثقافتنا وأديان الآخرين وثقافتهم، ولقد شبّه بعضهم التأثير المرجح لذلك **بالثورة التي أحدثها العلم في نظرة الرجال والنساء إلى الدنيا على امتداد العالم بأسره**»(٢).

---

(١) جيل كيبل: «ثأر الله –الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث» ص (٥٩) ترجمة: نصيرة مردة دار قرطبة – ليماسول – ط. ٢ سنة ١٩٩٨ م.
وينظر أيضًا بحثه تحت عنوان «انحلال سحر العلمانية والمفاصلة الكاثوليكية» من ص (٦٧) إلى ص (٩٠).

(٢) (محمد ﷺ) كارين أرمسترونج ص (١٥)، ترجمة د/ فاطمة نصر، ود/ محمد عناني، ط.

ألا يحق لنا بعد هذا كله أن نبحث بالمنهجين الوصفي والتاريخي مكانة الدين في الحياة السياسية والاجتماعية هناك بعد أن:

خدعونا فقالوا إن الغرب تخلى عن دينه:

وسنثير في هذه المقالة: على ما هو نقيض هذه المقولة، إذ روج الغرب لشعار « فصل الدين عن الدولة » عقب استعماره لبلادنا، وروجته أبواق دعاياته، وألح عليه بعض كتابنا وأصحاب الرأى فينا المفتونين بالغرب، وأصبح شعار العلمانيين الأشهر، لاسيما منذ صدور كتاب على عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم»، وبعد أن «حقق الغرب هدفه الأكبر بتحطيم الخلافة العثمانية»[(١)]، وأصيب أغلبنا بما يشبه التنويم المغناطيسي، إلى أن استيقظنا على قعقعة السلاح وإعلان تجدد الحروب الصليبية على لسان الرئيس الأمريكي في وصفه لحرب العراق في مارس عام ٢٠٠٣ م، بأنها صليبية.

وأخذت أستعيد قراءة ما كتبه الدكتور حامد ربيع رحمه الله الذي درس تاريخ الكنيسة بعناية، وأثبت أن ما زعمه الغرب من فصل الدين عن الدولة لم يتحقق

= سطور سنة ١٩٩٨م.

ويقرر القس إكرام لمعي بأنه لم يحدث في عصر من العصور أن كان الدين محورًا للاهتمام للدرجة التى اختلط فيها الدين بالأسس والمبادئ التي تبنى عليها معظم النظريات السياسية والاقتصادية كعصرنا الحالى.

ويقول: «أصبح الدين هو الملجأ الأخير الثابت الذى تتعلق به حضارات تنهار وحضارات تريد أن تستيقظ من جديد».

ص (٧) من كتابه (الاختراق الصهيونى للمسيحية) دار الشروق (١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م).

(١) يقول جون بول رو: (لم يكن القضاء على الدولة العثمانية إلا مظهرًا من مظاهر الهجوم العام الذى يشنه الأوروبيون على الدولة الإسلامية، ومن جزر الفلبين إلى أفريقيا عمل الرجل الأبيض على بسط سيطرته على الرجل المسلم، وفرض عليه مفاهيمه في الوجود وطرق معيشته وتفكيره، ومخططاته وتكتيكه) ص (٦٥) كتاب (الإسلام في الغرب)، تأليف جون بول رو وتعريب نجدة هاجر، وسعيد العز، المكتب التجاري - بيروت - نوفمبر سنة (١٩٦٠ م).

إلا في العصور الوسطى، ثم لفترة استثنائية أثناء الثورة الفرنسية، ثم بطل العمل بهذا المبدأ منذ أعلن البابا الكاثوليكي ليون الثالث عشر في عام ١٨٩١م عن «الأشياء الجديدة» ومؤداها التعبير عن إرادات الكنيسة في الأحداث وتأدية وظيفتها التاريخية بأساليب جديدة، وإعلان رأيها بإيمان وثقة في مشاكل المجتمع، وسرعان ما باشرت الكنيسة وظيفتها في:

١- الأحزاب الكاثوليكية . ٢- النقابات الكاثوليكية.

٣- الجمعيات الكاثوليكية . ٤- الجامعات الكاثوليكية.

وكلها تملك استقلالًا حركيًّا مع اتفاقها في أهداف مشتركة[١].

ويزيد الدكتور حامد ربيع رَحِمَهُ اللَّهُ القضية إيضاحا بقوله: (الكنيسة تعلن صراحة بأن عليها وظيفة سياسية لابد وأن تؤديها من خلال منطلقات الصراع الدولي، بل إن الجسري الحاخام اليهودي يعلن أن وظيفته أساسًا وظيفة سياسية، بل إن منطلق هذه الوظيفة هو القيادة الجماهيرية، والجيوش العصرية تعرف أيضا رجال الكهنوت، مسيحيين كانوا أم يهود الذين يرافقون قواتهم دفاعا عن مبادئهم القومية، ودون أن يعني ذلك سوى تأكيد للارتباط بين الدين والسلطة)[٢].

وربما كان الدكتور حامد رَحِمَهُ اللَّهُ وهو أول من نبه - وهو الخبير بتاريخ الكنيسة في الغرب - إلى أن العلمانية لم تطبق عمليًّا إلا لفترة استثنائية، كما بين أن الشعار الذي رفعه العلمانيون لإبعاد الدين عن النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بمقولة (دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله)، فقد رفعته الثورة الفرنسية، ولم يدم طويلًا أو يستقر تنفيذًا وعملًا، إن بمتابعة تاريخ هذه الثورة

---

(١) (جـ١ ص ٤٢) من كتاب (سلوك المالك في تدبير الممالك) تأليف ابن أبي الربيع، وتحقيق د/ حامد ربيع- دار الشعب بالقاهرة (١٤٠٠هـ-١٩٨٠).

(٢) (سلوك المالك) ص (٤٥).

اتضح أنها عندما قامت على أساس الشعار العلماني أي تقييد نطاق الدلالة السياسية لكل ما له صلة بالمفاهيم والأوضاع الدينية، «فإن مثل هذا التصور إنما يعبر عن وضع استثنائي وفترة مقيدة من حيث دلالتها عندما نتذكر حقيقة ما سبقها وما لحقها من أحداث».

ومن هذا الحيز الضيق الاستثنائي في تاريخ الكنيسة في الغرب، سجل رد الفعل الخاطئ لدى المستغربين عندنا فقال مستطردًا: «الثورة الفرنسية أحدثت القطيعة التي لم تعرفها التقاليد العربية إلا فقط خلال القرن العشرين وهي في حقيقتها رد فعل فاشل لفهم خاطئ لحقيقة العلاقة بين القيم الدينية والقيم السياسية»[1].

وهذا ما دفعني إلى استعراض مفصل لتاريخ الكنيسة الكاثوليكية وعودتها إلى أداء دورها السياسي الدولي، وكذلك إلقاء الضوء على الصحوة الدينية في أمريكا وفقا للترتيب التالي:

أولًا: الإصلاح الديني في تاريخ أوروبا، وفى عصر النهضة ودوافعه الحقيقية.

ثانيًا: دور الكنيسة الكاثوليكية ونشاطها الدولي.

ثالثًا: توكيد الهوية الدينية في أمريكا «الأصولية المسيحية».

أولا: الدوافع الحقيقية للإصلاح الديني في عصر النهضة:

«جاء عصر النهضة في أوروبا بتغييرات أشبه بالإعصار العنيف ليقتلع كافة النظم والقيم التي سادت في العصور الوسطى، فأصابت في اجتياحاتها للمجتمعات والتقاليد بالانهيار، كإقبال الناس على الإسراف في المقامرة، وعدم

---

(١) (سلوك المالك) (ج ١، ص ٣٩).

ويقول الدكتور حامد ربيع أيضًا: «الثورة الفرنسية لم تستطع أن تستأصل الوجود الكاثوليكي من الحياة الدينية، وعادت الكنيسة لتؤكد أن وظيفتها السياسية بطريقة أبدية لا يمكن أن تختفي» ص (٤١).

التقيد بالروابط الزوجية ومخالفة الأفراد لأوامر الحكومة، ولم تسلم الكنيسة والباباوات من الأحوال الشاذة المخالفة لقواعد الدين والأخلاق»[١].

وبحثا عن طريق الخلاص اتجه الناس أولا إلى الناحية الدينية، فظهرت في إيطاليا وخارجها حركات دينية تصوفية لإصلاح المجتمع دينيًّا وخلقيًّا وسياسيًّا، مثل حركة« بيتر والدو»، الذي عمل هو وأنصاره على وجوب إرجاع الدين إلى نص الكتاب المقدس، ودعا إلى إصلاح الكنيسة.

واستمر يظهر في إيطاليا طوائف من الرهبان يعظون الناس، بالامتناع عن حياة الفسوق التي عاشها كثير من أهل العصر، ويهاجمون الربا الفاحش وحياة الاستهتار والبذخ، فلقوا قبولا من الناس حتى ضاقت بهم الكنيسة، فوعظوهم في الميادين العامة[٢].

ومن هؤلاء الرهبان الذين أسهموا في الإصلاح الديني الراهب «ساڤونا رولا» الذي يعد الممهّد لمارتن لوثر كما يرى «ديورانت»، أي أن عصر النهضة لم يلق بالدين وراء ظهره رافضًا إياه، ولم يكن ثائرًا على الدين نفسه، بل ثار على بعض رجال الكنيسة بغية إنقاذ الدين.

وكان تصور هذا الراهب للدين أعم وأشمل من الاقتصار على مفهوم العبادات الفردية، ويتضح ذلك من دفاعه عن موقفه أمام أحد المجالس الدينية التي استدعي إليها للنظر في أمر تدخله في شئون الدولة، فقال لأعضاء ذلك المجلس الديني:

«إن غيره من رجال الدين اشتغلوا قبله بالسياسة، ولا جريمة في ذلك إلا إذا لم يكن هناك غرض سام أو سعى لإعلاء شأن الدين. وتحدى الجميع أن

---

(١) باختصار من مقدمة كتاب «سافونارولا– الراهب الثائر» بقلم د/ حسن عثمان (ص٢٣) ط. دار الكاتب المصري سنة (١٩٤٧م).

(٢) نفسه (ص ٢٤، ٢٥) باختصار.

يذكروا له جملة واحدة في الكتاب المقدس تمنع رجال الدين من معاضدة حكومة حرة لتطبيق قواعد الأخلاق والدين»[(١)].

وكتب إلى ملوك فرنسا وأسبانيا وألمانيا وبلاد المجر، يرجوهم أن يدعوا إلى مؤتمر عام لإصلاح الكنيسة، وجاء في رسالته:«لقد حان وقت الانتقام، وقد أمرني الله أن أكشف عن أسرار جديدة، وأن أظهر للعالم الأخطار التي تهدد سفينة القديس بطرس نتيجة لطول إهمالكم، إن الكنيسة غاصة بكل ما هو مرذول وممقوت من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، ومع ذلك فإنكم لا تكتفون بالسكوت على علاج مساوئها، بل إنكم تقدمون الولاء والخشوع للمتسببين في هذه الرذائل التي تدنسها»[(٢)].

وقد أودت خصومته للبابا إسكندر السادس بحياته، وكانت جرأته في الحق لا تُبارى بمثل قوله: «لا يستطيع البابا أن يصدر أمرا ما يتعارض مع مقتضيات البر أو أوامر الإنجيل.....وإذا تبين بوضوح أن أوامر الرؤساء تتعارض مع أوامر الله، وبخاصة إذا تعارضت مع قواعد البر والخير، فما من أحد من الناس في هذه الحال ملزم بإطاعتها»[(٣)].

وبمثل هذا السجل الحافل بالمواقف والأقوال التي لا تمحى من ذاكرة التاريخ الديني بالغرب، جاء بعد « سافولانا رولا » «لوثر»، وبالموازنة بينهما وصفه ديورانت بقوله: «لقد كان بروتستنتينيًا قبل أن يجيء لوثر، ولكن بروتستنتيه لم يكن لها معنى إلا أنها الدعوة لإصلاح الكنيسة، ولم يكن يشارك لوثر في شيء من آرائه الدينية المخالفة لآراء الكنيسة القائمة، ولكن ذكراه

---

(١) «سافونا رولا - الراهب الثائر» ص (١٥٢) وقال مرة أمام الجموع المحتشدة في مدينة فلورنسا: (رئيسنا الجديد هو يسوع المسيح ذاته، هو ملكنا، وليس لنا حاكم غيره) ص (٣٦).

(٢) ويل ديورانت «قصة الحضارة: عصر الإيمان عصر النهضة» ص (٢١٨، ٢٨٥)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط. مكتبة الأسرة سنة (٢٠٠١ م).

(٣) «قصة الحضارة» ص (٢٧٩).

أصبحت قوة تملأ عقول البروتستنت، ولذلك لقبه لوثر بالقديس»[١].

وبعد هذه العُجالة، لا ندرى سبب الوهم القائل بعداء أوروبا للدين أو نبذه، فقد تبين للدارس أن الغيرة على الدين هي التي دفعت بالمصلحين إلى اتخاذ المواقف المطالبة بإصلاح الكنائس، وتطبيق الدين في الحياة السياسية كما ورد في دفاع الراهب «سافونا رولا» آنفًا - لا استبعاد الدين نفسه وإهماله والتخلي عنه برمته[٢].

ثانيًا: الكنيسة الكاثوليكية ونشاطها الدولي:

يقول ميران مشيدلوف مؤلف كتاب «الدين في عالم اليوم»:

(يحدث في كثير من الأحيان أن يخلط الناس بين المقر البابوي المقدس الذي كانت له شخصيته المعنوية في القانون الدولي، وما كان له من سلطات انتهت سنة ١٨٧٠م وبين مدينة الفاتيكان التي تعتبر منذ عام ١٩٢٩م أشبه بحكومة إقطاعية في المقر البابوي المقدس).

ثم بيّن العرف الدولي الذي منح الدولة البابوية الحق في تعيين ممثلين لها في الدول المختلفة وإبرام المعاهدات وعقد الاتفاقيات، كذلك فإن الكنيسة الكاثوليكية لها هيئة إدارية قوية تضم مجموعات الكرادلة والمحاكم وغير ذلك مما يشكل الأداة الحاكمة للبابا[٣].

ويمكن رسم إطار الكنيسة الكاثوليكية ببيان عنصرين هامين، هما :

---

(١) «قصة الحضارة» ص (٢٩).

(٢) ينظر كتاب «سافونا رولا» للدكتور/ حسن عثمان ص (٢٣٠).

ويذكر الدكتور/ عبد الودود شلبي أن رحلة البابا الى أفريقيا كانت ضد النهضة الإسلامية المتزايدة في القارة ص (١٠١٠) من كتاب «الإسلام والغرب» مكتبة الآداب بالقاهرة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٣) ميران مشيدلوف مؤلف كتاب «الدين في عالم اليوم» ترجمة جمال السيد، دار العالم الجديد (١٩٩٠م).

١ - البعثات أو الإرساليات الدينية.

٢ - المنظمات الدينية.

١- البعثات أو الإرساليات الدينية-

«يتم تكوينها وتباشر أعمالها بواسطة توجيه الهيئة الخاصة بالدعاية في الفاتيكان، وكانت تبعث القساوسة ورجال الدين إلى المستعمرات الذين يستمدون قوتهم من الكنيسة، ثم بدأ يختفي رويدا تعبير كنيسة الجنس الأبيض، فاعترف الفاتيكان سنة ١٩٢٦م بأحد عشر أسقفا في آسيا يحملون كلهم جنسيات آسيوية، ثم عين سنة ١٩٣٥م أول أسقف في إرتيريا بأفريقيا، وفي سنة ١٩٤٦م كاردينال صيني وآخر هندي سنة ١٩٥٢م، وذهبت الكنيسة الكاثوليكية إلى أبعد من هذا حينما تبنت وشجعت إنشاء نقابات تقف في وجه النظم الاشتراكية والشيوعية، وهي أعمال ذات صبغة سياسية»[(١)].

٢- المنظمات الدينية:

وفقًا لإحصاء عام ١٩٥٧م، بلغ عدد مجموع الأعضاء في المحافل والجمعيات الكاثوليكية في العالم مليونًا وثلاثمائة ألف من بينهم ثلاثمائة ألف رجل، وهو في الحقيقة جيش بالغ القوة يضع نفسه بين يدي المقر البابوي وينفذ التعاليم الصادرة إليه في دقة بالغة، وللكنيسة الكاثوليكية نشاط آخر بواسطة المعاهد الدراسية العلمانية التي ليس لها نظم الأديرة، ولكنها تتخذ شكل أسر

---

(١) باختصار ص (١١٥، ١١٦).

ويرى جيفري لانج أن تعبير علمانية الغرب، تعبير خاطئ ويجانب الصواب تماما، ويدلل الدكتور مراد هوفمان على ذلك بتعانق الدين والدولة في ألمانيا كمثال، فهناك أعياد وأجازات دينية، وهناك جمعيات دينية تحظى باعتراف الدولة وحمايتها، وتحصل الجهات المالية الحكومية ضريبة للكنيسة من أجل مساندتها، ويقوم مدرسون دينيون بتدريس مادة الدين في المدارس الحكومية، وكذلك يتم الأخذ بالقسم بالله أمام المحاكم والقوات المسلحة، كما يتم توظيف رجال الدين بهذه القوات، وتجد على حوائط الفصول الدراسية بالمدارس المسيح مصلوبًا. ص (١٠٩) من كتاب (الإسلام في الألفية الثالثة) مصدر سابق.

من الأتقياء والقساوسة العلمانيين يعيشون في معزل عن الناس ويحترمون قانونًا خاصًّا بهم، ويدينون بالطاعة لرؤسائهم، ومن أهمها معهد «أوبيس دي»، الذي اعترف به رسميًّا في روما عام ١٩٥٠م، ويعين رئيسه البابا ويظل مدى الحياة، وأهدافه دينية بحتة، ويحرص أعضاؤه على نشر المبادئ المسيحية لدي أصحاب المراكز الرئيسية في المجتمع أولا ثم الرغبة في الضغط والتأثير على الهيئة الحاكمة.

ويتصف هذا المعهد بالغموض، ولاجتماعاته صبغة سرية مطلقة، ويقتصر على أعضائه، وكان لهذا المعهد تأثير بالغ على أسبانيا بموارده المالية الضخمة، وامتلاكه لعدد من الصحف ودور النشر ومجموعة من الفنانين لعمل أفلام سينمائية تدعو لأهدافه، مما جعله يسيطر على قطاعات عديدة كالجامعات الأسبانية ووزارة الاقتصاد الوطني وغيرها، ولم يظل نشاط هذا المعهد قاصرًا على أسبانيا بل امتد حتى شمل حوالي ثلاثين دولة[1].

وتتخذ العلاقات بين المركز البابوي في الفاتيكان وسائر الدول الأخرى شكل اتفاقيات «وهذا النوع من الأدوات الدبلوماسية يتصل بمحاولة البحث عن التوازن بين المصالح الروحية والمصالح الدنيوية»[2].

ومضت الكنيسة الكاثوليكية قُدمًا في تنفيذ رسالتها بالرغم من العوائق والصعوبات، كحرمانها في الحرب العالمية الأولى من أقوى حماتها - وهي النمسا والمجر - والمواقف الصعبة لدول وسط أوروبا بين ألمانيا الهتلرية وروسيا في الحرب العالمية الثانية مما دفع الفاتيكان بعدها لتقوية علاقاته مع ألمانيا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية.

وبالرغم من كل ذلك، فإن روما - أو الفاتيكان - بما لها من مبادئ لا تحيد

(١) (الدين في العالم اليوم) ص (١١٧).
(٢) نفسه ص (١١٩).

عنها أخذت تقاتل «من أجل أن تبقى شعلة الديانة الكاثوليكية مضيئة حتى آخر لحظة ممكنة»(١).

يقول جان مينو: «ويمكننا القول أن ادعاء الكنيسة أنها بعيدة كل البعد عن السياسة ما هو إلا مجرد وهم أو خيال، ذلك إذا لم يكن هذا الادعاء ذر للرماد في العيون، وما دامت الكنيسة تعيش في هذا العالم الزاخر بمختلف متطلبات الحياة فمن العبث الادعاء بأنها تفلت من التأثر بالسياسة أو من التأثير عليها»(٢).

نفوذ الكنيسة الكاثوليكية في ميدان السياسة الدولية:

يرى مؤلف كتاب «القوى الخفية» أن تدخل البابا في مجال السياسة الدولية «ليس موضوعًا محدد المعالم حتى يتأتى له تحديد معناه وتحليله أي أنه يتسم بالاتساع والكثافة إلى أبعد مدى، ولكنه يلتمس طريقه في الدراسة بالتقاط بعض الأمثلة، فمنها القانون الذي صدر في روما عام ١٩٦٠م الذي يحدد حقوق والتزامات الكنيسة الكاثوليكية عند اختيار السياسيين من الكاثوليكيين وفقا لمبادئ وروح الدين المسيحي، ومن ثم لا يصرح للمؤمنين بالمذهب الكاثوليكي بالانضمام إلى الحركات التي تتبع المبادئ الماركسية أو يتعاونوا معها، ويتأكد نفوذ المقر البابوي في إيطاليا بالذات، حيث يوجد هناك ما يسمونه « بينتاجون سياسي »، أي وزارة عامة للحرب السياسية»(٣). وقد أدان البابا الشيوعية إدانة حاسمة.

وبسبب تعدد الخلافات في فرنسا فإن تصرفات الكاثوليكيين هناك تتسم بالقسوة والوحشية أحيانا، ولا سيما فيما يتعلق بالاتجاهات الاجتماعية

---

(١) (الدين في العالم اليوم) ص (١١٩).

(٢) جان مينو (أستاذ العلوم السياسية بجامعة مونتريال): (القوى الخفية التي تحكم العالم) ص (١١٠)، دار البحوث العلمية بيروت (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م).

(٣) ص (١٢٠)، (القوى الخفية التي تحكم العالم) تأليف: جان مينو، أستاذ العلوم السياسية بجامعة مونتريال، دار البحوث العلمية (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م).

والسياسية التقدمية، وهناك مثال لتدخل البابا في أمور اجتماعية بحتة يتمثل في البيان الذي أصدره ليحرم فيه وسائل تحديد النسل، ومثال آخر لتدخله في الأمور السياسية، فقد شجع البابا فكرة اتحاد أوروبا.

ويتضح من كل ما تقدم أنه توجد حركة كاثوليكية قوية ومتحدة لها أهداف محددة للجهاد في هذا السبيل، وأن التنظيمات التي تتكون منها الحركة تتميز، بالكثافة والدقة، ويتم التعاون المتبادل بينها بواسطة «مؤتمر المنظمات الكاثوليكية الدولية» ومقره الرسمي في مدينة «فريبورج»بسويسرا وينعقد منذ عام ١٩٢٧م بانتظام كل سنة لدراسة المسائل المتعلقة بالحياة الكاثوليكية الدولية، كما أسس عدة مراكز للتنسيق وللاتصال، مهمتها تمثيل الكاثوليكيين لدى التنظيمات الدولية الحكومية، وكلها تخضع للرقابة العليا من الفاتيكان بواسطة السفارات البابوية أو المبعوثين المفوضين من الفاتيكان.

ويستثنى من هذه الرقابة التنظيمات التي ترفض الانصياع للقوانين التي وضعتها روما، وإن كانت تستوحي العقيدة والأخلاق المسيحية مثلا «الاتحاد الدولي للنقابات المسيحية ».

وفى المجال الثقافي حددت الكنيسة الكاثوليكية هدفها الرئيسي (بنشر الحقيقة الإلهية على مستوى الفكر، وتعمل على تعاون الجامعيين غير الدينيين على تكوين الفكرة المسيحية، كما تعمل على إدخال الكنيسة الكاثوليكية في كافة البلدان وفي كافة المجالات الثقافية المختلفة) »[1].

ويقول جان مينو في نهاية عرضه «ولا شك في أن نفوذ الكنيسة الكاثوليكية بالشكل الذي استعرضناه، يعطي فكرة عن مدى نفوذها وقدرتها على التأثير

(١) ص (١٢٣-١٢٤)، ومما يذكر في هذا الصدد النشاط الموسع للفاتيكان في مجال التعليم، فعلى سبيل المثال يوجد في مصر ١٦٨ مدرسة خاصة تتبع الكاثوليك بلا شروط أمنية لإقامتها. من مقال لعبد الفتاح مغاوري بعنوان «خصخصة التعليم الأزهري» بقلم عبد الفتاح مغاوري. جريدة (آفاق عربية) ١٢ شوال سنة ١٤٢٢ هـ، ديسمبر ٢٠٠١م.

والضغط في المجال الدولي، **وبطريقة تجعل من العسير مقارنتها بقوة دينية أخرى**»[١].

ولا نستطيع أن نغض الطرف ونحن نعرض لقيام الكنيسة بأداء دورها في جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية داخل القارة الأوروبية وخارجها.

لا نستطيع أن نغض الطرف عن اتساع نشاطها في مجال التبشير ومحاولة تقليص المد الإسلامى الآخذ في الاتساع بالرغم من الخطط الاستعمارية الطويلة المدى التي لم تفلح في القضاء عليه كما كان مرسوما ومستهدفا.

وترى الدكتورة زينب عبد العزيز أن من أغراض فكرة توحيد الكنائس التي تحددت في المجمع الفاتيكاني الثاني - كما أعلن البابا- **(توحيد الصفوف للتصدي للمد الإسلامى)**[٢].

كذلك استعرضت الدكتورة ما كتبته «كونستانس تشيزارى» بكتابها المعنون«البابا وكم من فريق؟». عن مدى عناية البابا الذى يهدف من ضم الجماعات المسيحية إلى خدمة الهدف المعلن بكل وضوح (وهو اقتلاع الإسلام وتنصير العالم)[٣].

---

(١) نفسه ص (١٢٤)، ويرى الدكتور عبد الودود أن مجلس الكنائس العالمي من أهدافه تنصير المسلمين، وأن هذا المجلس أنشأته أجهزة المخابرات الاستعمارية كرأس حربة لإثارة القلاقل والفتن في العالم. ص (١٠٤) من كتاب (الإسلام والغرب) مصدر سابق.

(٢) د/ زينب عبد العزيز (حرب صليبية بكل المقاييس) ص (٤٦)، دار الكتاب العربي دمشق / القاهرة (٢٠٠٣).

(٣) نفسه ص (٧١) د/ زينب قد رضت بكتابها هذا بعض النماذج العشوائية اختارتها من بين ٣٣٥ عنوانًا لمقالات تتناول فكرة الرحب الصليبية، ثم اختتمتها بقولها: (وقبل أن ننهي هذه المقدمة من المقتطفات، والتي لا تسمح لأي إنسان أمين أو محايد أو حتى له بقية من الضمير الحي أن ينكر حقيقة هذه الصفة الدافعة لحرب بوش وأنها بالفعل حرب صليبية تنصيرية بشعة الأبعاد والمرامي) ص (٢٤، ٢٥).

مع العلم بأن للدكتورة زينب كتابًا آخر بعنوان: (تنصير العالم - مناقشة لخطاب الباب يوحنا =

ثالثا: توكيد الهوية الدينية في أمريكا:[١]

الأصولية المسيحية:

وفي عملية (إعادة توكيد الهوية الدينية على المسرح السياسى)[٢].

= بولس الثاني) دار الوفاء بالمنصورة (١٤١٥ هـ -١٩٩٥ م).

واستخلص الفريق سعد الدين الشاذلي من دراسته لحرب الخليج الأولى بأنها الحرب الصليبية الثامنة فهناك إجماع بين الدول المسيحية، لا يقابله للأسف الشديد إجماع إسلامي، فإن أمريكا وبريطانيا وفرنسا التي تعتبر أقوى الدول المسيحية هي التي تقود الحملة الصليبية ضد أقوى دولة مسلمة في عصرنا الحاضر، وهي العراق. ويذكر أيضًا أن الهدف المعلن هو سلامة وأمن إسرائيل، ولكن هناك هدفان غير معلنين:

الأول: تجزئة العالم العربي والعمل على استمرار هذه التجزئة.

والهدف الثاني: هو ضرب الصحوة الإسلامية.

ويصف هذه الحملة بأنها صليبية لم نر لها مثيلًا إطلاقًا منذ الحروب الصليبية.

الفريق سعد الدين الشاذلي: (الحرب الصليبية الثامنة - العدوان على العراق) (جـ١) صفحات (٥٦، ٥٧، ٢٤٧، ٣٠٢)، ط. عيون المقالات الدار البيضاء) سنة (١٩٩١ م).

ويقول الأستاذ صلاح الدين حافظ: (مع بوش كتيبة مقاتلة من أشد صقور اليمين الديني المحافظ المتلهف على القتل والعدوان باسم الله وإطلاق دعوات التبشير الديني في العالم على نقيض القيم العلمانية الأمريكية القديمة - بعد أن أعلنت غلبت المسيحية الدينية على السياسة الأمريكية الحالية تحت دعاوى هداية البشر بأمر إلهي). (جريدة الأهرام بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٤م).

ويرى الدكتور مراد هوفمان أن حرب البوسنة وإبادة مسلمي وألبان كوسوفا كانت حروبًا دينية من وجهة نظر الصرب واليونان، إذ كانت حروبًا صليبية للقضاء على آخر الآثار الإسلامية في البلقان (وبالمناسبة يُحظر في البلدين بناء مساجد) ص(٧٣) من كتابه (الإسلام عن الألفية الثالثة) مصدر سابق.

(١) يقول جيمس فن: (لا أحد يستطيع أن يفهم أمريكا وحرياتها، إلا إذا وعى وتفهم التأثير الذي باشره وما زال يباشره الدين في صنع هذا البلد) ص (٩)، من كتاب (المسيح اليهودي ونهاية العالم) لمؤلفه (رضا هلال) مكتبة الشروق (١٤٢١ هـ -٢٠٠٠م).

(٢) ص (١٥٢)، من كتاب (ثأر الله - الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث) تأليف جيل كيبل - ترجمة نصيرة مردة - دار قرطبة ليماسول سنة (١٩٩٨م).

يقرر الباحث الفرنسي جيل كيبل (أن الإنجيليين والأصوليين الأمريكيين - بين مجمل حركات إعادة التأكيد على الدين - يحتلون موقفًا فريدًا ومركزيًّا في آن معًا على المسرح السياسي)[١].

ويؤرخ للطفرة الثقافية المتمثلة بالتوظيف الكثيف للشاشة الصغيرة في الوعظ الإنجيلي «الكنائس المرئية» من أواسط السبعينات، إذ شعر ملايين الأمريكيين بالحاجة إلى اعتناق أشكال التدين التى كان يقدمها لهم جيم وتامي باكر وأضرابهما من رجال الدين المشهورين في أمريكا- أمثال جيري فالويل وجيمس سواغارت وبات روبرتسون - وقد نجحوا في صياغة التحول في العمق في الأخلاق الاجتماعية بمقولات الخطاب الإنجيلي أو السلفي الأصولي»[٢].

وهناك اليوم أكثر من ٦٠ مليون شخص يعلنون أنهم مسيحيون معمدون «ولدوا ثانية»، وهناك ٦٠ مليون آخرين يعتبرون أنفسهم مؤيدون للأخلاق الدينية، وهناك ٥٠ مليونا يمتلكون مثلا أعلى خلقيًّا ويريدون أن يربوا أولادهم في مجتمع خلقي، ٨٤٪ من الشعب الأمريكى **يعتقدون أن الوصايا العشر لا تزال صالحة اليوم**[٣].

وأبرز الحركات الدينية السياسية هي التي قام بها جيري فالويل عام ١٩٧٩م، وكان يعلن أنه حان الوقت لكي يجمع الأمريكيون الأخلاقيون قواهم لإنقاذ «أمتنا الحبيبة».

وقد شهدت هذه الحركة وسواها من الحركات التي تقاسمها أهدافها تناميًا مرموقًا بين أواسط السبعينات ونهاية الثمانينات ضمن الإطار الأوسع الذي يطلق عليه في أمريكا السلفية الأصولية الإنجيليانية أو اليمين المسيحي الجديد[٤].

(١) نفسه ص (١٤٩).
(٢) نفسه ص (١١٧).
(٣) (ثأر الله - الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث) ص (١١٨).
(٤) نفسه ص (١١٨)، وكشف استطلاع جالوب أن ٧٠ مليون من الأمريكيين يشاهدون الشبكات

ولكن مرقص يؤرخ للأصوليين المسيحيين مع بدايات القرن العشرين، إذ تبلورت فكريًّا في أعقاب نشر سلسلة من ١٢ مجلدًا تحت عنوان «الأصول» تضم تسعين مقالة حررها مختلف اللاهوتيين البروتستانت المعارضين لكل تسوية أو حل وسط مع الحداثة، والأصولية المسيحية هي التي وضعت التأسيس النظري لدور «الله» في تطهير الثقافة السائدة، وشن الحرب المقدسة ضد الشيطان القابع في قلب الوطن، وأنهم وحدهم المعبرين عن «الإرادة الإلهية» وقد أخذ هذا التصور ليشمل السياسة الخارجية الأمريكية في أول الحرب العالمية - على سبيل المثال-: حربًا بين العقلانية الألمانية والمسيحية الأمريكية[1].

يتضح أيضًا أن لهذه الحركات صلات قوية بتوجيه سياسة أمريكا نحو إسرائيل، واتضحت في أقوال بعض رؤسائها - مثل كارتر في قوله أمام الكنيست الإسرائيلى: «لقد أقام كلا من إسرائيل وأمريكا مهاجرون رواد.... ثم إننا نتقاسم معكم تراث التوراة»[2].

وكذلك مقولة كلينتون في خطاب الاتحاد سنة ١٩٩٧م: (استرشادا بالرؤية القديمة لأرض الميعاد، فلنوجه أبصارنا إلى أرض الميعاد الجديد)[3].

= التليفزيونية الإيفانجيلية «الكنائس المرئية» التى يبلغ عددها ١٠٤ محطة تليفزيونية، إضافة إلى ١٠٠٦ قناة بنظام الشفرة (الكابل)، وتزايد عدد دور النشر إلى ١٣٠٠ دار نشر متخصصة في العناوين المسيحية، إضافة الى ٧ آلاف مكتبة لتوزيع الكتب المسيحية وتقدر مبيعاتها بحوالى ٣ مليارات دولار سنويًّا، أما الائتلاف المسيحى، فقد أسس شبكة إذاعات تضم ١٣٠٠ محطة إذاعة عام ١٩٨٩م. ص (١٢٠، ١٢٣) من كتاب (المسيح اليهودي ونهاية العالم) تأليف رضا هلال.

(١) سمير مرقص: «رسالة في الأصولية البروتستانتينية والسياسة الخارجية الأمريكية».

(٢) رضا هلال: (المسيح اليهودي ونهاية العالم- المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا) ص (٧٥)، مكتبة الشروق (١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م).

(٣) نفسه ص (١١٧).

هذا بينما تعلن منظمة شاليدون بصراحة وقوة (إن العهد القديم يتضمن الخطة الصالحة لإقامة مجتمع مثالي...ولابد من إقامة حكم يتبنى تعاليم العهد القديم...حتى لو تطلب الأمر إحراق مجتمع المفسدين والكفار والعلمانيين لإقرار حاكمية الرب)[١].

وفي النهاية يتبين أن هذه الأنشطة استطاعت توجيه سياسة أمريكا الخارجية، فقد (استطاعت الحركة الأصولية البروتستانتينية أن تلعب دورا مؤثرا في الحياة السياسية الأمريكية، واستبعاد المفاهيم والتصورات النقية التي طرحتها الأصولية في بدايات القرن، وصبغها بأبعاد سياسية، واستخدامها في الواقع السياسي الأمريكي، بل وامتدادها لتشمل السياسة الخارجية الأمريكية) [٢].

«وكان المرشحون الثلاثة إبان انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠م - أندرسون وكارتر وريغان -كانوا يعلنون جميعا انتمائهم إلى الإنجيلية »[٣].

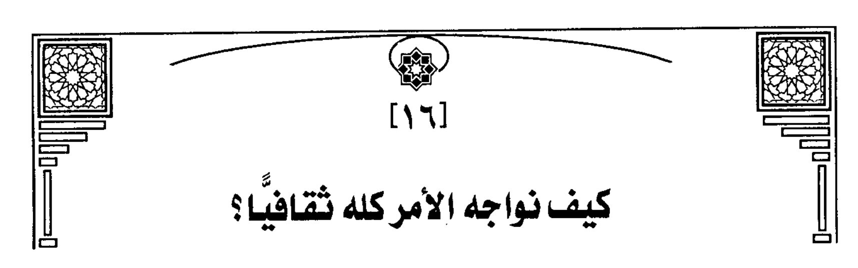
* * *

---

(١) نفسه ص (١٥٣).

(٢) سمير مرقص: (رسالة في الأصولية البروتستانتينية والسياسة الخارجية الأمريكية) ص (١٣)، مكتبة الشروق (١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م).

(٣) جيل كيبل (ثأر الله) (الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث). مصدر سابق.
ويقول المهتدي للإسلام أحمد عبد الله (سابقا رالف دنيس): أسلمت حيث كان يجب أن أكون من ألد أعداء الإسلام فقد تعرفت على الإسلام في جامعة من أخطر الجامعات التى تخصصت في محاربة الإسلام إنها **جامعة برنستون المعروفة في أمريكا**. د/ عبد الودود شلبي «الإسلام والغرب» ص (١٠٧) مصدر سابق.



كيف نواجه الأمر كله ثقافيًّا؟

الفكر الإسلامي في مواجهة الفلسفة البرجماتية (العملية): كيف نواجه الأمر كله ثقافيًّا؟

وأخيرًا سنعرض في الصفحات التالية بإيجاز للفلسفة البرجماتية - أي: العملية- التي يراها البعض أساس نجاح التجربة الأمريكية، والتي يُراد لها أن تُعمّم على مستوى العالم المعاصر باعتبارها النموذج الذي يُحتذى للحاق بركب الحضارة.

وسيتضح لنا بعد مناقشة هذه الفلسفة أنها لا تقوى على الصمود أمام النقد بالمنهج الفلسفي ثم يأتي الفكر الإسلامي ليدعم هذا النقد، ويضيف عرض البديل الذي تحقق في ظل الحضارة الإسلامية، وما زالت دعائمه قائمة، وهي التي أبقت على أمة الإسلام وحضارتها التي وصفها توينبي بأنها (نائمة) متوقعًا أن النائم لا بد أن يستيقظ!!

تُنسب (البرجماتية) كفرع فلسفي إلى أصل شجرتها المسماة بـ(الوضعية)، فيجب أن نعرّف أولًا بالوضعية ليسهل علينا بعد ذلك فهم أحد معالم الفلسفة البرجماتية.

إن الوضعية (هي اتجاه فكري يقنع بما هو كائن ويفسره ويرفض النظر فيما ينبغي أن يكون) ثم أخذت الوضعية الشكل الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية اسم (البرجماتية)، هذا الشكل الجديد يحدده الدكتور توفيق الطويل بقوله: (إذا كانت الوضعية قد رفضت التسليم بالحقائق المطلقة والقضايا الميتافيزيقية، فإن الفلسفة العملية لا تترد في قبولها واعتبارها صادقة متى كانت

مفضية إلى نفع يتحقق في حياة الإنسان)[١].

ولفهم مضمون هذه الفلسفة لا بد أن نعرف أولًا أصلها اللغوي ثم ننتقل إلى التعريف بمؤسسها (بيرس)، ثم بيان التفصيل عن أبرز فلاسفتها وهو وليم جيمس.

والأصل اللغوي يفيد (ما هو عملي) ومن هنا أطلق عليها اسم الفلسفة (الفلسفة العملية)، لذلك فإنها تهتم بالعمل على حساب النظر[٢].

إن مؤسس المذهب الفلسفي هو تشارلس ساندر بيرس (١٨٣٩-١٩١٤)م وصاحب فكرة وضع (العمل) مبدأ مطلقًا في مثل قوله: (إن تصورنا لموضوع ما هو إلا تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية لا أكثر).

وهذا يعني أن علامة الحقيقة أو معيارها العمل المنتج لا الحكم العقلي.

ويتوسع في دائرة العمل بحيث يشمل المادي والخلقي أو التصور، وتثمر هذه النظرة للعمل اتساع العالم أمامنا، إنه عالم مرن، نستطيع التأثير فيه وتشكيله، وما تصوراتنا إلا فروض أو وسائل لهذا التأثير والتشكيل[٣].

أما أشهر فلاسفة البراجماتيزم فإنه وليم جيمس (١٨٤٢-١٩١٠م) والذي تدرج في اهتماماته العلمية والفلسفية التي تلقاها في معاهد وجامعات أوروبية وأمريكية حتى حصل على (الدكتوراة) في الطب من جامعة هارفارد سنة ١٨٧٠م، وعين أستاذًا للفسيولوجيا والتشريح بها، ثم أستاذًا لعلم النفس فبرز فيه.

---

(١) د. توفيق الطويل (الفلسفة الخلقية. نشأتها وتطورها) ص (٢٧١) دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٧ م.

(٢) د. مراد وهبة (قصة الفلسفة) ص (١٠١) ط. دار الثقافة الجديدة بالقاهرة ١٩٨٠ م.
والوضعية تنسب إلى الفيلسوف الفرنسي (أوجست كونت ١٧٩٨-١٨٥٧م) ثم امتدت إلى إنجلترا على يد (هربرت سبنسر ١٨٢٠-١٩٠٣م) والولايات المتحدة الأمريكية على يد شارلس س. بيرس (١٨٣٩-١٩١٤م) وليم جيمس (١٨٤٢-١٩١٠م) ثم جون يوي (١٨٥٩-١٩٥٢م).

(٣) يوسف كرم (تاريخ الفلسفة الحديثة) ص (٤١٧/ ٤١٨) ط. دار المعارف بمصر١٩٦٩م.

ويتبين من ترجمة حياته أن سبب اتجاهه إلى الفلسفة يرجع إلى سماعه لمحاضرة فلسفية ألقاها (شارل بيرس) الذي كان يعرض فيها مذهبه، فشعر وليم جيمس على أثرها وكأنه ألقى عليه رسالة محددة، وهي تفسير رسالة (البرجماتية)(١).

ويعرّف وليم جيمس الحقيقة بأنها (مطابقة الأشياء لمنفعتنا، لا مطابقة الفكر للأشياء) ولاختصار الإحاطة بهذه الفلسفة فإن مدخل دراستها يقتضي تحليلها إلى مكوناتها الأساسية في النظم والقيم، فنحن أمام مقولتين:

الأولى: ازدراء الفكر أو النظم.

الثانية: إنكار الحقائق والقيم.

أي: بعبارة أخرى أكثر وضوحًا، فإن العمل عند جيمس مقياس الحقيقة (فالفكرة صادقة عندما تكون مفيدة معنى ذلك أن النفع والضرر هما اللذان يحددان الأخذ بفكرة ما أو رفضها)(٢).

وقد نبتت فلسفته منذ بداية اهتماماته بها من حاجاته الشخصية، إذ عندما أصيب في فترة من عمره بمرض خطير، استطاع بجهوده أن يرد نفسه إلى الصحة، فاعتقد أن خلاص الإنسان رهن إرادته، وكان الموحي إليه بالفكرة المفكر الفرنسي (رنوفيير) الذي عرف الإرادة الحرة بأنها (تأييد فكرة لأن المرء يختار تأييدها بإرادته حين يستطيع أن تكون له أفكار أخرى).

وكانت تجربة شفائه من المرض قد هدته إلى أهمية العمل ورجحت عنده الاجتهاد في العمل بدلًا من الاستغراق في التأمل (لأن العمل هو الإرادة البشرية التي لولاها لاستحالت الحياة)(٣).

---

(١) هنري توماس ودانالي توماس (المفكرون من سقراط إلى سارتر) ص (٤٣٠، ٤٣١)، ترجمة عثمان نوبه – مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٠م.

(٢) د. مراد وهبة (قصة الفلسفة) ص (١٠٥).

(٣) نفسه ص (٤٣٣).

وتلون هذه الفلسفة نظرة أتباعها إلى العالم. فإن العالم الذي نعيش فيه ليس نظرية من النظريات، بل هو شيء كائن، وهو في الحق مجموعة من أشياء كثيرة، وليس من شيء يقال له الحق دون سواه. إن الذي ندعوه بالحق إنما هو فرض عملي أي أداة مؤقتة نستطيع بها أن نحيل قطعة من الخامات الأولية إلى قطعة من النظام.

ويلزم من هذا التعريف للعالم أنه خاضع للتحويلات والتغيرات الدائمة ولا يستقر على حال (فما كان حقًّا بالأمس - أي ما كان أداة صالحة أمس - قد لا يكون اليوم حقًّا - ذلك بأن الحقائق القديمة كالأسلحة القديمة - تتعرض للصدأ وتغدو عديمة النفع)[١].

نقد البرجماتية من وجهة النظر الفلسفية:

١ - في نقدنا لهذه الفلسفة، وسنبدأ بالمنهج المقارن حيث يتبين أنها في جوهرها الفلسفة الرواقية، ومؤسسها زينون (٣٤٣-٢٧٠ قبل الميلاد)!!

فإذا أباح وليم جيمس لنفسه بعث الحياة فيها من جديد، فإن ذلك يقوض دعائم فكرته عن استبعاد (الحق القديم) كما سنوضح بعد قليل.

الحق قيمة مطلقة - وليست نسبية - وإلا فإن المجتمع يصاب بالفوضى المدمرة لكيانه وعلاقاته مع غيره من المجتمعات بسبب الحرب.

٢- هل نلتزم بالدين لأنه نافع؟

إن هذا الاعتقاد يجعل البرجماتية في موضع نقد شديد؛ لأنها أخضعت أعظم علاقة تربط العبد بربه ﷻ إلى مجرد علاقة نفعية تتأرجح بين الإيجاب والسلب، فأين الإيمان الذي يهب الإنسان القدرة على مقاومة أعتى الصعاب؟ وهو نفسه - أي: وليم جيمس - في طور من حياته - استطاع التغلب على المرض بإرادته النابعة من إيمانه!!

---

(١) هنري توماس (المفكرون من سقراط إلى سارتر) ص (٤٣٨).

ونأتي إلى التحليل والتفصيل في نقد المذاهب:

١ - لتقويم هذه الفلسفة ينبغي ألا نبخس وليم جيمس حقه في بعثه للأمل الذي يحفزنا إلى تحدي الشر وغلبته ويهبنا الشجاعة (على أن نأخذ الحياة غلابًا)[١] وحثنا على ترقية العالم؛ لأنه في وسعنا أن ننهض بترقيته بفضل إرادتنا.

٢ - هذا الشق من فلسفته لا غبار عليه، بل يتضمن كثيرًا مما يحتاجه إلى الإنسان الفرد لشحذ إرادته، ودفعه إلى العمل الإيجابي المثمر، ولكن وفق أي (مبدأ)؟

تلك نقطة الخلاف معه، إذ نعتقد بثبات القيم والمبادئ في بداية الطريق، ثم نمضي بإرادتنا لتحقيقها وإذا فُرض وفشلنا في الوصول إلى الهدف، فلنعد النظر في طريقنا إذ ليس العيب في (المبدأ) ولكن العيب فينا وفي منهجنا.

وبغير الاعتقاد في ثبات المبادئ، فإننا لسنا أمام فلسفة جديدة وإن بدت كذلك، ولكنها مجرد إعادة للنظرية الرواقية (مضافًا إليها الروح النضالية الحديثة)[٢]. فإن الخير الحقيقي عند الرواقي القديم في حكمة الاختيار وحدها وليس في الشيء المختار الذي يصطفيه (مثله كمثل ضارب القوس يهدف إلى عين الثور، فغايته ليست في إصابة الهدف نفسه، بل إظهار مهارته في إصابته)[٣]!!

---

(١) هنري توماس (المفكرون من سقراط إلى سارتر) ص (٤٣٦).

(٢) نفسه ص (٣٢٧).

(٣) د. هـ. سدجويك (المجمل في تاريخ علم الأخلاق) جـ١ ص (١٦٥). ترجمة وتعليق د. توفيق الطويل وعبد الحميد حمدي - دار نشر الثقافة بالإسكندرية ١٩٤٩م معنى ذلك أننا نساوي وفق هذه الفلسفة بين اللص الذي ينهب الثروات وينجح في جمعها بأية وسيلة، وبين التاجر الذي ينمي ثروته وفق مبادئ الشرف والصدق (والرواقية تنسب إلى زينون الرواقي (٣٤٣-٢٧٠ ق.م) وكان يختار (ليعلم الناس فيه).

ولكن من وجهة أخرى يرى الدكتور توفيق الطويل أن المليين اتفقوا مع السوفسطائية في رد القيم إلى الإنسان ولكنهم خالفوا السوفسطائية في جعل الإنسان - وليس الفرد - معيار هذه القيم، فقصدوا بهذه التجربة الإنسانية وهي تجربة تصطبغ في نهاية المطاف بطابع اجتماعي)

إن تعليق الحكمة هنا في مظهرها العملي - أي على النجاح في ذاته بصرف النظر عن إصابة الهدف - تجعل من المجتمع غابة من الوحوش الضارية يأكل بعضها بعضًا إذ تتنافس على (التفوق) و(الغلبة) ولا تتفق إرادتها على تحقيق أي قيمة من القيم الفاضلة كالحق والعدل والإيثار وغيرها من الفضائل الإنسانية الثابتة في ذاتها.

فهل نحن مرة أخرى أمام دليل جديد يثبت أن الفلسفة الغربية تعيش على تراثها القديم؟

٢- يرى وليم جيمس أن (الحق) إنما هو فرض عملي، أي مجرد أداة يختبر بها (تصوره) السابق، ويرى أن الحقائق تنقسم إلى قديمة وجديدة!!

والصواب الذي يتفق عليه أغلب الفلاسفة، أن الحق يستمد قيمته المطلقة من قيمته الثابتة خارج مقولتي (الزمان) و(المكان).

ونراه أيضًا يخلط خلطًا معيبًا بين المبادئ والأهداف حيث يصبها في قالب (المنفعة)، بينما التفكير السليم يقتضي العكس، أي: الإيمان بالفكرة والعقيدة أولًا عن اقتناع وتثبت بقيمتها الذاتية، ثم السعي بمقتضاها مهما قابلنا في طريقنا من صعوبات، فضلًا عن افتقاد (المنافع) وهذا هو منهج الأنبياء والرسل عليهم السلام.

ومهما كانت نية وليم جيمس وحوافزه ذات الطابع الأخلاقي فإن صدى فلسفته كانت متعارضة مع نواياه فقد فوجئ بإخوانه الأمريكيين يندفعون لتكديس الثروات، وأخذ يلومهم (لأنهم يعبدون تلك الآلهة الفاجرة التي تدعى النجاح)[١].

ولكن ماذا كان يتوقع غير ذلك؟

إن هذا هو المصير المحتوم والنتيجة المنطقية لفلسفة تعظم المنفعة

= الفلسفة الخلقية ص (٢٧٢).

(١) هنري توماس (المفكرون من سقراط إلى سارتر) ص (٤٣٩).

وتزدري الفكرة الثابتة والقيم المطلقة[١].

يقول الدكتور توفيق الطويل في تقييم هذه الفلسفة: (ويكفي أن تعتبر الفكرة البراجماتية الحق أو الخير كالسلعة المطروحة في الأسواق، قيمتها لا تقوّم في ذاتها بل في الثمن الذي يدفع فيها فعلًا، فالحق فيما يقول جيمس كورقة نقد تظل صالحة للتعامل حتى يثبت زيفها! ولم يجد أصحاب البراجماتية غضاضة في النظر إلى الحق أو الخير كما ينظرون إلى السلعة التي تطرح في الأسواق، هذه هي العقلية الأمريكية في الفلسفة وفي الأخلاق وفي السياسة وفي كل مجال)[٢].

ونضيف إلى ذلك أن هذه الفلسفة كانت ملهمة للنظام الرأسمالي القائم على مبدأ المنافسة الحرة[٣]، ثم ظهرت مساوئه عند التطبيق، واستفحلت

---

(١) وفي تحليل المجتمع الأمريكي المعاصر. يقول الأستاذ / هيكل الصحفي المعروف ذو الخبرة الواسعة بالسياسة العالمية: (إننا نتصور أحيانًا أن التأثير ممكن بمنطق الحق والعدل والقانون، وننسى أننا حيال مجتمع تعود أن يتعامل مع الواقع بصرف النظر عن التاريخ، وبالنسبة لمعاييره فليس هناك حق ولا عدل ولا قانون في المطلق. إنما معيار القيمة الوحيدة هو النجاح) من كتابه (زيارة جديدة للتاريخ).

(٢) د. توفيق الطويل (الفلسفة الخلقية) ص (٢٧٨).

(٣) د. مراد وهبة (قصة الفلسفة) ص (١٠٥).

ويرى أن المنافسة الحرة تضر في نهاية أمرها بالمشروعات الخاصة، الأمر الذي يؤدي إلى ضرورة تكتلها واتخاذها على هيئة شركات كبرى وبنوك وغرف تجارية فتنتهي الرأسمالية إلى مرحلة احتكار يتم فيها تقسيم العالم بين الاحتكارات الدولية الكبرى، وتسمى هذه المرحلة بالإمبرالية، وبظهور التطور للهيكل الاقتصادي للرأسمالية لزم تغيير في الفكر الفلسفي البرجماتي الذي عبر عنه (ديوي) في جمعه بين فكرة (العمل) كمقياس للحقيقة من البرجماتية و(الروح المطلق) عند هيجل.

يقول الدكتور وهبة (ولهذا فإن الاحتكارية في حاجة إلى إيديولجية تروج لإزالة الفوارق والفواصل من جهة، وإلى تجميد الأوضاع الاجتماعية من جهة أخرى وليس في الإمكان توفير الإزالة والتجميد إلا بأن ترقى الإيديولجية المطلوبة إلى مستوى المطلق (ص ١٠٩ نفس المصدر) ويقصد بإزالة الفوارق بين أصحاب المعتقد الواحد ثم تذويب الفوارق بين

أخطاره التي تتضح - كما يرى الدكتور فؤاد زكريا في ثلاثة:

أ- اللاأخلاقية بالرغم من التقيد ببعض الفضائل كالأمانة والانضباط والدقة ومراعاة المواعيد ولكنها - كفضائل - ليست مقصودة لذاتها ولكنها تفيد الرأسمالي في تعامله مع الغير، وتظهر (اللاأخلاقية) بوضوح في أساليب الدعاية والإعلان.

ب- الارتباط الوثيق بالحرب.

جـ- الانحرافات السلوكية وأظهرها: الإجرام، إذ إن فتح الباب على مصراعيه للمنافسة والصراعات من شأن تمجيد العنف، ويتضح الانحراف بصورة أخرى في شرب المسكرات والمخدرات وعقارات الهلوسة وغيرها (وتفسيرها أنها ظاهرة هروبية من واقع العنف والمنافسة المريرة التي لا ترحم)[(١)].

٣- ولم يسلم (الدين) أيضًا من التفسير (النفعي) في ضوء الفلسفة البراجماتية؛ (فإن اعتبار شروط وجود الدين وأصوله ونشأته لا أهمية لها عند من يسأل عن قيمة الدين؛ لأن قيمته فيما ينتجه)[(٢)].

الفرق بين نظرته للدين وعقيدتنا الإسلامية:

ولم يكن (الدين) عند وليم جيمس كموضوع للبحث في ذاته، ولكن آثار الانفعال الديني، وهل هذه الآثار حسنة تحقق الأمل؟ وهل يمكن الحصول عليها بطريق آخر خلاف الدين؟

= المعتقدات كلها. كذلك يرى أنه من أجل تحقيق الخطوة الأولى تشكلت منظمات دينية في المسيحية باسم (مجلس الكنائس العالمي) الذي أسس سنة ١٩٤٨ م (ص١١٠) نفسه.

(١) د. فؤاد زكريا (الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية) ص (٦، ٥٠) ط. عين شمس سنة ١٩٧٢م.

(٢) إميل بونرو (العلم والدين في الفلسفة المعاصرة) ص (٢٤٧). ترجمة د. أحمد فؤاد الأهواني- الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٣ م.

إنه يرى أن للدين أثرًا أخلاقيًّا، كما أنه يتفوق على أي مصدر آخر للحث على النشاط والمثابرة وفعاليته تظهر بإيحائه المؤثر في الغالب أكثر من الأساليب المادية، ويضرب على ذلك مثالًا بالطبيب الذي يعرف بأن شفاء المريض لا يتحقق بالعلاج المادي وحده بل بالإيحاء أيضًا، ذلك الإيحاء الناجم عن قوة الإيمان.

إذن الدين نافع في بعض الأحوال مما لا يمكن استبدال غيره به (فماذا يجب أن نطلب أكثر من ذلك لنقول إنه حق؟)[١].

وهذا الرأي - كما تقول (برتراندرسل)- لا يقنع مؤمنًا مخلصًا في إيمانه؛ لأن المؤمن لا يطمئن إلا متى استراح إلى موضوع لعبادته وإيمانه، إن المؤمن لا يقول: إني إذا آمنت بالله سعدت - ولكنه يقول: إني أؤمن بالله ومن أجل هذا فأنا سعيد... إن الاعتقاد بوجود الله - تعالى - في نظر المؤمن الصادق مستقل عما يحتمل أن يترتب على وجوده من نتائج وآثار[٢].

أما نحن معشر المسلمين فإننا بحمد الله نمتلك ثروة للعقيدة والقيم تضمنها كتاب الله ﷻ ونفذها الرسول ﷺ حيث حقق في عقيدته وسلوكه وأخلاقياته الأسوة الحسنة - وجمع بين (الحق) عقيدة وإيمانًا، و(العمل) أخلاقًا وسلوكًا حدد الأهداف، ووضع المنهج وأحصى القيم، مبينًا الطريق الذي يجتازه المسلمون من دنياهم إلى أخراهم، وقد ألف علماؤنا مجلدات في هذه الأغراض كلها ولكن يكفينا أن نسجل بهذه المناسبة بعض التعليقات التي تصلح لعلاج آفات (البراجماتية)، والتي تبرهن على أن العقل البشري لا يستطيع الوقوف وحده بغير عون من الوحي:

(١) نفسه ص (٢٤٨).

(٢) نقلًا عن الدكتور توفيق الطويل بكتابه (الفلسفة الخلقية) ص (٢٧٩)، وينظر كتاب (تاريخ الفلسفة الغربية) الكتاب الثالث - برتراندرسل ص (٤٧٥)، ترجمة محمد فتحي الشنطي. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧م.

أولًا:

أ- أن الخير هو الذي يحدد الشرع ويستمد إلزامه منه للتسليم بأن الله تعالى هو العليم الحكيم، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[البقرة: ٢١٦]

يفسّر ابن كثير هذه الآية ببيان وجوب الجهاد وآثار قتال أعداء الإسلام من النصر والظفر ثم يمضي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ فيذكر ابن كثير أن (هذا عام في الأمور كلها، قد يُحِبّ المرء شيئًا، وليس له فيه خيره ولا مصلحة، ومن ذلك القُعُود عن القتال، قد يَعْقُبُه استيلاء العدو على البلاد والحكم.

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: هو أعلم بعواقب الأمور منكم، وأخبرُ بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم؛ فاستجيبوا له، وانقادوا لأمره لعلكم ترشدون)[1].

ب- كذلك قد يجهل الإنسان الفروق المرجّحة لما يفيده عما يضره، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

أما إثمهما فهو في الدين، وأما المنافع فدنيوية، ولكن هذه المصالح لا توازي المضرة والمفسدة الراجحة لتعلقها بالعقل والدين، ولهذا كانت هذه الآية ممهدة للتحريم على البتات كما في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

---

(١) (تفسير ابن كثير) جـ١ ص (٣٦٧-٣٦٨) طبعة دار الشعب بالقاهرة.

ثانيًا:

أن النجاح مطلوب والسعي والتنافس على فعل الخيرات مرغوب فإن المؤمن القوي أحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف ولكن ينبغي أن يستظل السعي هدفًا وطريقًا بأوامر الشرع والالتزام بآدابه. وسنورد هنا بعض الآيات للاسترشاد:

قد يوسع الله تعالى الرزق للعبد استدراجًا له، ثم ينزل به عقابه الشديد، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وقال ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

وقال سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦].

٢- لا يصلح حال أمة إلا إذا صلحت ضمائرها وأعدت نفسها للتقوى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

٣- تكثر المصائب عند فساد الأخلاق، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

وفيما يتعلق بتقوية الإرادة فهناك آية تبين كيف يربي الله تعالى المسلم على تحمل الشدائد حتى يكون قوي العزيمة معدًا لتحمل كل خطر، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤][1].

---

(١) ينظر (المصحف الميسر) بتفسير الشيخ عبد الجليل عيسى، وهو تفسير جليل لجأ فيه عالمنا رحمه الله إلى تفسير الكتاب بعضه ببعض وهو يكاد يكون فريدًا في هذا الباب. فضلًا عن وضعه لفهرس ببعض مبادئ مهمة تعرَّض لها القرآن، وقد اعتمدنا عليه في الاستدلال بالآيات أعلاه. البنود رقم (٢٢، ٣٥، ٤٥، ٥٧) بمقدمة التفسير المذكور. ط. الشروق ١٣٩١ هـ.

ثالثًا: ضرورة أعمال الخير لإقامة المجتمعات الإنسانية:

إن إقامة المجتمع على موازين المكسب والخسارة وحدهما كفيل بهدمه ما دامت العلاقات بين أفراده لا تقوم إلا على أساس المصلحة، والكسب المادي، فكم من علاقات أخرى تقوم على الإيثار والتضحية وحب الخير لذاته، وهي التي تكفل تحقيق السعادة للمجتمع الإنساني وإلا تحول إلى غابة من الغابات التي يأكل فيها القوي الضعيف.

ومن الصعب - بل يتعذر - ولا نقول: يستحيل إقناع النفوس بأعمال الخير، التي لا تقوّم بالمال، إلا بناء على عقيدة إيمانية راسخة تحقق أعمالًا خيرة وتسعى لاكتساب فضائل أخلاقية وتنميها ابتغاء مثوبة الله تعالى وجنته.

وكم في الإسلام من أعمال خيرة يحض عليها ويحث على فعلها لتحقق أفضل حياة إنسانية ممكنة على ظهر هذه الأرض؟!!

إن الحديث عن هذه الأعمال يحتاج إلى مجلد كامل ونكتفي بالإشارة هنا إلى نزر يسير منها ونحيل القارئ إلى المصادر للتوسع في معرفتها وتنفيذها، لتحقق لنفسه الطمأنينة والسعادة المرجوة، ولمجتمعه على المستوى الإنساني الذي تحقق في عصر الحضارة الإسلامية الزاهرة، مع العلم بأنه كثيرًا ما تشتمل هذه الأعمال على الجزاءين الدنيوي والأخروي.

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**على كل مسلم صدقة**»، قال: أرأيت إن لم يجد؟ قال: «**يعمل بيده فينفع نفسه، ويتصدق**»، قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «**يعين ذا الحاجة الملهوف**»، قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «**يأمر بالمعروف أو الخير**»، قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «**يمسك عن الشر فإنها صدقة**» متفق عليه.

وعن جابر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سُرق منه صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة**» رواه مسلم.

وفي رواية له: «**فلا يغرس المسلم غرسًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير، إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة**».

وفي حديث - متفق عليه-: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**».

وعلى قمة العلاقات بين الناس التي تخلو من أية شوائب مادية نفعية نضع الحديث القدسي أمام القارئ ليتدبر نتائج العمل به في البناء الاجتماعي، ففي حديث أبي هريرة في مسلم: «**إن الله ﷻ يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**».

ويضيق كتابنا عن ضم الأحاديث المتشابهة والتي تشكل لو نفذت في مجموعها أمة كاملة - لا مجتمعًا من المجتمعات فحسب - مترابطة متعاونة، يتعاون أفرادها ويتبادلون أعمال الخير - وما أكثرها - يبتغون بها رضا الله تعالى والآخرة، وهي كلها: إما أنها لا تتصل بالنفع المادي بتاتًا أو تختلط مع النفع المعنوي إن صح التعبير كما بينا[1].

* * *

(١) ينظر كتاب (رياض الصالحين) باب في بيان طرق الخير وله طبعات متعددة ونظرًا لأن مؤلفه - الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ- قد رتبه على الأبواب، فإني أحيل القارئ إلى بعضها: باب المبادرة إلى الخيرات، والتعاون على البر والتقوى، تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم وقضاء حوائج المسلمين، الإصلاح بين الناس، بر الوالدين وصلة الأرحام، وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل، زيارة أهل الخير، الكرم والجود والإنفاق، الإيثار والمواساة، إكرام الضيف، عيادة المريض، وتشييع الميت، إعانة الرفيق، وغيرها، وغيرها.
وكلها يتضح من عناوينها لا تتصل بالكسب المادي والنفع العاجل بأية صلة، ولكنها ضرورية لإقامة مجتمع مترابط يحقق السعادة لأفراده، كما يكفل له البقاء والاستمرار، وإلا تعرض للانهيار والتآكل، وأصبحت الحياة فيه لونًا من الشقاء المحقق في الدنيا قبل الآخرة، وينظر أيضًا كتاب (مختصر شعب الإيمان للبيهقي - اختصره القزويني).

الخلاصة

إن من دواعي الثقة بالنفس أن الفكر الإسلامي أثبت أنه عصيّ على الاجتياحات وقت سطوة الماركسية ونفوذها، ويقف اليوم أيضًا على أرض صلبة في مواجهة (العولمة) الحديثة التي تريد إخضاع العالم لثقافة واحدة!

وأول خطوات الصمود في المعركة القادمة هي الاستمساك بعقائدنا وتنفيذ شرائع ديننا، مع الامتناع عن التقليد الأعمى (للمأكولات والمشروبات والاستغراق في مشاهدة الأفلام السينمائية والمسلسلات التليفزيونية التي تستهدف اختراق المجتمعات، مع أن الكاتب الأمريكي ميشيكو كاكوتاني وصفها بأنها (نفايات حضارية)[1].

ويرى (لويس فرقان) زعيم جماعة (أمة الإسلام الأمريكية) أن الخلاص في الإسلام كمنقذ وحيد لحضارة العصر من الغرق، موجهًا نداءه للعالم الإسلامي للعودة إلى صراط الله ﷻ لتحقيق الأمان والأمن والثقة بالنفس، وهذا يجعل من العالم الإسلامي (المجداف الخلقي لقارب الحضارة الضالة في محيط الظلام)[2].

إن أكبر الدروس المستفادة من تجاربنا الفاشلة وهزائمنا المتكررة منذ التخلص من الاستعمار العسكري الأوروبي أن الحضارات لا تقوم على التقدم العلمي أو التفوق العسكري أو الازدهار الاقتصادي وحده، أي: ما لم يصحب ذلك كله عقائد متميزة وقيم إنسانية راقية ومبادئ أخلاقية ثابتة، وهي بحمد الله وفضله متوفرة في شريعتنا. يقول الأستاذ/ شريف الشوباشي: (فإذا كان الغرب يفوقنا سياسيًّا واقتصاديًّا وعمليًّا، فإن للعالم العربي والإسلامي تراثًا ثقافيًّا

---

(١) من مقال الأستاذ جميل مطر، بعنوان: (أمريكا تقحم الدين في السياسة لإضعاف الكنائس الشرقية) جريدة (الحياة) في ١٧/ ١٠/ ١٩٩٧ م ص ١٧.

(٢) مقال (لويس فرقان يتحدث) بقلم محمد جمال عرفة جريدة (الشعب) القاهرة ٢٣ شعبان ١٤١٨هـ، ٢٣ ديسمبر ١٩٩٧م.

مضيئًا يتيح له أن يكون ندًّا للغرب، إن لم يكن متفوقًا في هذا المجال)[١].

ولكن، كيف نستفيد من تراثنا الثقافي المضيء في معركة الصراع الفكري الحالي وهي معركة حقيقية تدار من وراء الستار ولا تتوقف أبدًا، فإن (قادة الصراع الفكري ومراصدهم موزعة في العالم وهي دائمة المتابعة والمراقبة؟)[٢]. نوجز الإجابة فيما يلي:

أولاً: الثقة بالنفس:

وإننا لنستخلص أيضًا من دراستنا المختصرة بهذا الكتاب، أننا على أعتاب فترة يظهر فيها الإسلام الحجة والسلطان العقلي العلمي - وإن بدأ الضعف في أمته - والأمارات على الطريق كثيرة، منها الصحوة الإسلامية[٣] المعاصرة، فهي لم تظهر في بلد دون آخر، ولكنها أصبحت ظاهرة عامة في بلاد المسلمين شرقًا وغربًا، وهي سبب انزعاج الغرب لأنه لم يكن يتوقع قط - بعد كل أعمال التغريب والتنصير والاستعمار الثقافي وفرض التبعية سياسيًّا واقتصاديًّا على العالم الإسلامي المغلوب على أمره بالاستعمار العسكري، لم يتوقع أن تستيقظ أمة الإسلام وتبدأ في العمل على استرداد ما اغتصبه منها من ثروات منهوبة - وقبلها استرداد الهوية والكرامة الإنسانية - بل أصبحت ظاهرة اعتناق الإسلام بداخل بلاده والعالم تقلقه، إذ تبيَّن (أن معدل اعتناق الإسلام هو أعلى معدل في العالم)[٤].

---

(١) هل فرنسا عنصرية؟ شريف الشوباشي ص (١٢)، مطابع الأهرام بالقاهرة ١٩٩٢م.

(٢) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي ترجمة محمد عبد العظيم (ص ١٩٢) مكتبة عمار بالقاهرة ١٣٩١ هـ -١٩٧١م.

كذلك يرى أن الاستعمار مسؤول عن النصيب الأكبر من الفوضى التي تسود العالم الإسلامي اليوم (ص ٩٧).

(٣) ينظر كتابنا (الصحوة الإسلامية عودة إلى الذات) ط. دار الأمل الإسكندرية - باكوس.

(٤) هذا ما أكدته شبكة سي. إن. إن. الإخبارية الأمريكية (مجلة المختار الإسلامي - ١٥ شعبان ١٤١٨هـ ١٥ديسمبر ١٩٩٧م.

تصحيح المفاهيم وزيادة الوعي:

وفي ضوء ما تقدم لا ينبغي - إذن- أن تخدعنا الألفاظ المنمقة عن التنوير والتجديد والتطور والعصرية، بينما غرض أصحابها حثنا على السير على نفس قضبان القاطرة التي يقودها السائق المتفرنج لكي نصل إلى المحطة النهائية ونكتشف أننا كنا نسير وراء السراب!.. بل إن هذا ما حدث بالفعل عندما جرَّبت الأمة تطبيق الأنظمة والأيديولوجيات الغربية، فماذا حدث لها؟

إن الإجابة على السؤال واضحة في تجربة تركيا الكمالية (وكان أتاتورك من يهود الدونمة) وهي الآن ملفوظة من أوروبا لأن الأتراك هم أحفاد العثمانيين الذين فتحوا القسطنطينية وظلوا سادة العالم لعدة قرون عندما رفعوا راية الإسلام.

لقد تقدمت بعض الدول بخطوات ناجحة نحو هذا الهدف، فهناك تجربة النمور الآسيوية وفي مقدمتها إندونيسيا وماليزيا حيث ارتبط المنهج العلمي للحاق بالعصر مع المحافظة على الشخصية والثبات على الهوية الإسلامية كما صرَّح بذلك الدكتور/ محمد ماجد رئيس الوزراء الإندونيسي.

وقد تأسس هناك (المنتدى الإسلامي العالمي للعلوم والتقنية وتنمية الموارد البشرية) ومقره جاكرتا.

ثالثًا: أصبح تحصيل العلوم الشرعية فرض عين على كل مسلم ومسلمة:

ولا حجة للمسلمين كأفراد أيضًا في الجري وراء مباذل العصر ونفاية الثقافات؛ لأن بين أيديهم الوحي المعصوم بالكتاب والسنة، وسيرة الرسول ﷺ تجمع ما لا نستطيع حصره في هذا الحيز ولكن يكفي بعض الإشارات المضيئة على الطريق:

ولا بد - أولًا- من التأكيد على المسؤولية الشخصية لكل مسلم ومسلمة، قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول**

عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته». متفق عليه.

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

والمسلم المعاصر لا يختلف - شأنه في ذلك شأن كل مسلم منذ عصر النبي ﷺ حتى قيام الساعة - من حيث عقائده وأعماله وأهدافه وخلقه وهي من الثوابت التي لا تتغير بتغيُّر العصور، ففي وصفه قال النبي ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**» رواه البخاري.

وعن صلة الإيمان بالأعمال، نأتي بالحديث الذي رواه أبو ذر الغفاري إذ سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال - عليه الصلاة والسلام -: «**قال الله ﷻ**: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]»[1].

أما الطارئ في عصرنا الحاضر فهو من قبيل المتغيرات في كل عصر من العصور بلا استثناء وهي سنة من سنن الحياة التي لا تتوقف.

فعن الزبير بن عديّ، قال: أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه، فشكونا إليه ما نلقى من

(١) الشريعة، للإمام أبي بكر الآجري تحقيق محمد حامد الفقي. دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م.

وقال الآجري في تعليقه على هذا الحديث: وبهذا الحديث وغيره احتج أحمد بن حنبل في كتاب الإيمان أنه قول وعمل، وجاء به من طرق.

الحجاج، فقال: «اصبروا!! فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ». رواه البخاري.

ومن جوامع الكلم للرسول ﷺ في إرشاد المسلمين هو أمره بالاستقامة، ومعناها لزوم طاعة الله تعالى، وهو نظام الأمور كلها. فعن أبي عمرو – وقيل أبي عمرة – سفيان بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال ﷺ: «**قل: آمنت بالله ثم استقم**». رواه مسلم(١).

وتقتضي الاستقامة تنفيذ أوامر الله ﷻ وأوامر الرسول ﷺ ومنها الكف عن التقليد أو التشبُّه بالأمم الأخرى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[المائدة: ٥١]

* * *

(١) رياض الصالحين للإمام النووي – باب الاستقامة.



[١٧]

نحو مستقبل أفضل بمشيئة الله تعالى

إننا نظر إلى المستقبل بمشيئة الله تعالى بروح التفاؤل التي تساعد على تحقيق الآمال المنتظرة بأقل جهد من المعاناة، لأن الأحوال النفسية المصاحبة للتفاؤل ترتفع بالقدرات الذهنية والجسمية إلى أقصى طاقتها.

وهناك سببان للتفاؤل:

الأول: الصحوة الإسلامية دليل على تخطى الأمة الإسلامية مراحل المعاناة في ظل الاستعمار الغربي لبلادنا، وأنها بدأت تتعافى وتقف على قدميها رافعة الرأس.

الثاني: إن مقدرات الأمة تتسم بالثراء والتنوع، ولا ينقصها إلا الرجال المخلصين لتوظيفها.

مع ضرورة الثبات والصبر والمقاومة والعناية بالتربية على أسس علمية وبعناية كفاءات متخصصة، مع السعي الحثيث لتحقيق وحدة الأمة الإسلامية.

الصحوة الإسلامية ومزايا الأمة:

إن نظرة مقارنة لأحوالنا الاجتماعية والثقافية والسياسية الحالية وبين هذه الأحوال منذ قرن من الزمان تجعلنا ندرك أن التغييرات إلى الأفضل. حقًّا إنها تغييرات ربما تبدو ضئيلة للعين المتسّرعة، ولكن مع التصميم على التقدم نحو الأفضل فإن الزمن في صالحنا، وذلك بعد اندحار الاستعمار العسكري وانحسار الماركسية.

فمنذ مائة سنة كان الاستعماران الإنجليزي والفرنسي يطوّقان العالم الإسلامي، واحتل الروس عقب إلغاء الخلافة العثمانية بيد أتاتورك اليهودي البلاد التي كانت تابعة للخلافة في أوروبا الشرقية فوقعت بأيدي الروس وفُرض

على المسلمين الإلحاد القسري وحيل بينهم وبين أداء شعائر دينهم.

والآن في ظل الصحوة الإسلامية نلاحظ انتشار التعليم والارتفاع الآخذ في الزيادة في أعداد المدارس والجامعات والإقبال على التدّين عقب هزيمة القومية والماركسية وفي أعقاب الهزيمة الكارثة في يونيو سنة ٦٧ والمراقب يرى زيادة أعداد الشباب المتديّن وتعمير المساجد في صلوات الجماعات، والجمع، والالتزام بالسلوك الإسلامي في الزي بين النساء والفتيات، والإقبال المنقطع النظير على رحلات العمرة والحج، وتجاوب أقطار الإسلام بين الشعوب الإسلامية مع محن إخوانهم في أفغانستان وفلسطين والعراق وكشمير والشيشان والبوسنة والهرسك **ولا ينقصها إلا القيادة والسياسة المخلصة التي توظّف ذلك كلّه في خدمة قضايا الأمة.**

كذلك يُلاحظ اتساع حركة تأليف الكتب الإسلامية مع إعادة نشر كتب التراث وتحقيق المخطوطات في كافة قضايا الدين: العقيدة والعبادات والشريعة والتفسير والحضارة، والتاريخ، والتصوف، والأخلاق والتربية والفقه وأصوله والتراجم وكتب السنة والسيرة النبوية وما لا يحصى من فروع المعارف الإسلامية.

أما طبعات القرآن الكريم فيتعذّر الإلمام بعددها في كافة أنحاء العالم الإسلامي، وهي من أظهر معالم الصحوة.

ويمكن القول بأن هذه المؤلفات والمصادر في مجموعها تعبر عن القلب الجامع للأمة، كما أنها تمثل أساس حضارتها بأصالتها وهويتها وجذورها التاريخية الممتدة عبر القرون، كما أنها بمثابة القوى الوجدانية الكامنة في أحشاء الأمة **وستظهر آثارها بالعمل بها إن آجلًا أو عاجلًا**، فالمستقبل لنا بإذن الله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

ويقول الإمام الحسن الندوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الشعوب الإسلامية لا تزال تمتاز بين شعوب العالم بما فيها الشعوب الغربية والشرقية بالإيمان بالله واليوم الآخر والاستهانة بالحياة واللذات في سبيل الجهاد في سبيل الله، والحنين إلى الشهادة، والشوق إلى الجنة ونيل رضا الله وبذل النفس والنفيس فيه، إذا قدر لها الدّاعي المخلص القوي، المثير فيها الحماس الإسلامي وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الميزة التي يمتاز بها المسلمون عن غيرهم من الشجعان والأبطال الماديين.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ ﴾ [النساء: ١٠٤](١).

مقدرات الأمة وكيفية توظيفها في ظل الوحدة المرتقبة:

من المتفق عليه في أوساط علماء الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتاريخ أن عناصر الوحدة بين الشعوب الإسلامية لا ينقصها إلا جهود العاملين على توظيفها لتقف صامدة أمام الاستعمار الأمريكي الصهيوني المعاصر.

إن الأمة مدعوة إلى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ حيث يجمعها وحدة المصادر ووحدة عقيدة التوحيد والعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج(٢).

وهناك أقلام تنادي بتكتل اقتصادي إسلامي بين الدول الإسلامية حيث يتحقق بضرورة توعية اللغة العربية، وحتمية خلق عملة إسلامية موحدة، وإنشاء جهاز مصرفي إسلامي(٣).

وتجيء تجربة النمور الآسيوية دليلًا على إمكان تحقيق الرخاء الاقتصادي

(١) «مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج» أبو الحسن الندوي، ص (٢٩- ٣٠)، ط.دار السلام ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

(٢) د/ عبد الله سمك الأستاذ بكلية الدعوة جامعة الأزهر.

(٣) د/ زينب الأشوح أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر.

بما وصلت إليه من معدلات نمو عالية من جراء انضمامها إلى تكتلات وتجمعات اقتصادية[١].

وسيحقق التكتل الإسلامي التوصل إلى سعر حقيقي وعادل للنفط كسلعة استراتيجية على مستوى العالم، ويرى الدكتور عبد الحميد الغزالي أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة القاهرة أن الارتفاع المؤقت الحالي الذي تجاوز الأربعين دولارًا للبرميل، ليس سعرًا شاذًا بل أقل من قيمته الاقتصادية الحقيقية[٢].

كذلك سيأتي انفتاح أسواق الدول الإسلامية على بعضها البعض بفوائد جمّة، فمن حيث عدد الأفراد فإن تعداد العالم الإسلامي ١.٢ مليار نسمة[٣]، فسيؤدي تحسين معدل التبادل التجاري الدولي للدول الإسلامية في مواجهة العالم الخارجي وفتح الأسواق إلى توسيع المشروعات الأكثر كفاءة على الإنتاج والبيع وبالتالي توفير الفرصة لإقامة التجمعات والكيانات الاقتصادية الكبيرة القادرة على المنافسة في عالم اليوم، وتتوافر الفرصة لإنتاج وتطوير تكنولوجيا إسلامية بدلًا من استيراد المعرفة والتطبيقات التكنولوجية[٤].

وسيساعد التكامل الاقتصادي الإسلامي على التخفيف من وطأة البطالة، لأن الدول الإسلامية التي بها وفرة في الموارد الطبيعية ستستعين بالدول الإسلامية الأخرى ذات الوفرة البشرية بجميع أشكالها وأنواعها[٥].

---

(١) د/ صلاح فهمي أستاذ الاقتصاد بجامعة الأزهر.

(٢) د/ عبد الحميد الغزالي (والمصدر في عرض هذه الآراء هو «صفحة الفكر الديني بالأهرام» ٢٢ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ ١١/ ٦/ ٢٠٠٤م).

(٣) ويذكر الدكتور حسن نافعة أن العالم الإسلامي يشكل ١/ ٦ البشرية، فعدد سكان العالم الإسلامي نحو مليار وستمائة نسمة أي أن أكثر من السدس بل ١/ ٥ هذا العالم، أي كل خمسة أفراد بينهم واحد مسلم. نفس المصدر السابق.

(٤) د/ فياض عبد المنعم أستاذ بجامعة الأزهر. نفس المصدر السابق.

(٥) د/ نعمة مستور أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر. نفس المصدر.

ونظرًا للصلة الوثيقة بين الاقتصاد والسياسة في العصر الحديث، فإن إنجاز مثمر لهذا الاتحاد الإسلامي الاقتصادي سيجعل للدول الإسلامية مجتمعة ثقلًا اقتصاديًا يساند قوة سياسية فاعلة على الساحة الدولية[1].

ويقترح الدكتور طارق فهمي الخبير بالمركز القومي لدراسات الشرق الأوسط لإنجاز التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية، اتخاذ الخطوات التالية:

١- تشجيع إقامة مؤسسات مالية واستثمارية مشتركة في البلاد الإسلامية.

٢- إحياء دور منظمة العالم الإسلامي.

٣- بناء لوبي اقتصادي إسلامي داخل المؤسسات الإقليمية والدولية.

٤- إحياء الاتفاقات المبرمة بين الدول الإسلامية.

٥- العمل بجدّية على رفع المعوقات الهيكلية الموجودة بين الاقتصادية الإسلامية وكذلك الاقتصاديات العربية والإسلامية[2].

أما الوحدة السياسية المرجوّة فستؤدي في رأي الدكتور حسن نافعة أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة – إلى تغير جوهري في النظام العالمي نفسه بسبب عدد الدول الإسلامية الكبير مما يجعلها أغلبية في المنظمات الدولية بل يصبح العالم الإسلامي ندًّا مساويًا للغرب (ولن يستطيع العالم الغربي معاملة العالم الإسلامي معاملة استكبارية ولكن ستكون معاملة ندية)[3].

المزايا الكبرى للوحدة:

إن الوحدة في الحقيقة كما يذكر الأستاذ أحمد بهجت ليست ترفًا اليوم، إنما

---

(١) د/ طه خليل الخبير بالمركز القومي لدراسات الشرق الأوسط. نفس المصدر.

(٢) د/ طارق فهمي «صفحة الفكر الديني بالأهرام» ٢٢ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ-١/ ٦/ ٢٠٠٤م.

(٣) د/ حسن نافعة «صفحة الفكر الديني بالأهرام» ٢٢ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ-١١/ ٦/ ٢٠٠٤م.

وقد جمع الأستاذ متولي موسى هذه الآراء تحت عنوان: «إلى أن تتحقق الوحدة، تكامل الأمة الإسلامية ليس بمستحيل».

هي قضية بقاء أو فناء.

ويفصل ذلك بقوله تحت عنوان «الحق لا القوة»: (في عالم يتحدث عن الحق وهو يؤمن بالقوة لا حياة للدول الصغرى، ولا للمشروعات الصغرى، ولا معنى للحق الواضح في القضايا ما لم تؤيده القوة، ويتجه العالم اليوم إلى التكتل والتجمع وتحرص الكتل الكبرى في العالم على إبقاء جزء من العالم شظايا ليتسنى ابتلاع الشظايا وهضمها تعالوا نتصور أن العالم الإسلامي قد خلا من الحدود بين دوله، تصوروا معنا أن علامات الحدود قد اختفت بين دول العالم الإسلامي أو تصوروا أن هذا العالم ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ ﴾ [الأنفال: ٦٣] تصوروا أن سياسة هذا العالم تصدر من مائدة طويلة يجلس فيها الصفوة من حكماء هذا العالم وعقلائه، تصوروا أن هذا العالم يتحرك وفقًا لخطة طويلة المدى وسياسة تعمل بشكل يمكنها من إصلاح نفسها بنفسها.

أكان يمكن أن يحدث للعالم الإسلامي ما يحدث له اليوم؟ أو كان يمكن أن يحدث للعالم العربي ما يحدث له اليوم؟ هل كان الاتحاد السوفيتي يجرؤ على احتلال أرض أفغانستان حتى لو كانت الدعوة قد وجهّت إليه من حكومة أفغانية شيوعية؟!.

هل كانت إسرائيل تجرؤ على اقتحام لبنان وضرب المفاعل النووي العراقي لو أن ردود فعل العالم العربي والإسلامي كانت شيئًا آخر غير الكلام؟، أكانت أي قوة عسكرية تجرؤ على استباحة شرف هذا العالم العربي أو الإسلامي كما نرى اليوم؟! هل كان الاتحاد السوفيتي يغامر باحتلال أرض إسلامية وضرب المجاهدين لو كان هذا يفقده مصالحه مع ألف مليون مسلم ويكسبه عداء ألف مليون مسلم؟!.

هل كانت أمريكا تزوّد دولة كإسرائيل بأسلحة هدفها الأصلي هو الدفاع عن

النفس وحقيقتها الهجوم والاعتداء؟! هل كانت أمريكا تغامر باستمرار تزويد إسرائيل بالسلاح لو وقف العالم الإسلامي كله صفًّا واحدًا مع نفسه؟!.

إن من خصائص العرب أنهم أقوياء إذا اتحدوا، ضعفاء إذا تفرّقوا، ومن خصائص المسلمين أنهم أقوياء إذا اتفقوا، ضعفاء إذا اختلفوا، وأمامنا تاريخ ١٤٠٠ سنة هو تاريخ الإسلام، وهو تاريخ تقول عبرته: إن أعظم صدع وقع للمسلمين كان تفرقهم شيعًا واختلافهم وتحولهم من ديار تهب الجيوش فيها لنجدة امرأة تهتف باسم الخليفة إلى شظايا متناحرة يراق فيها الدم بين الإخوة فيهون على العدوّ أن يريقه بلا حساب للنتائج.

إن الوحدة ليست ترفًا اليوم، إنما هي قضية بقاء أو فناء) [1].

دعوة للثبات والصبر والمقاومة:

إذا كانت الأمة الإسلامية بما يُحاك لها وبما أنها مستهدفة في دينها وأراضيها وأجيالها المعاصرة والقادمة، فإنه يصبح من واجب قادتها وساستها ودعاتها وعلمائها حثها على المزيد من اليقظة والعض على دينها بالنواجذ، والإعراض عن دعاوي الحوارات المشبوهة التي تسعى في جوهرها لزحزحة الأمة عن دينها وثقافتها وقيمها.

كما ينبغي الحذر من أقلام المستغربين الرافعين لشعارات «تجديد الخطاب الديني» بلا ضوابط شرعية، وتغليب التسامح والتكيّف، والتفاهم مع «الآخر»، وهي في حقيقتها دعاوي للاستسلام والتخاذل والمهانة والمزيد من التقهقر أمام حملات الغرب المسعورة، بينما يقتضي العلاج الحاكم الثبات والصبر والمقاومة على الساحات الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية، مع العناية بتربية الأجيال الجديدة وفق المنهج العلمي الصحيح.

---

(١) الأستاذ أحمد بهجت، مقال بعنوان «الحق لا القوة» جريدة الأهرام في ٢٧ جمادي الآخرة سنة ١٤٢٨ هـ ١٢ يوليو ٢٠٠٧م.

يقول أحد أستاذة التربية المرموقين د/ سعيد إسماعيل علي: (إن ألف باء التربية تقول إنها تقوم بوظيفتين:

أولاهما: بالفعل هي المحافظة على الموروث الثقافي مما تراكم عبر أجيال حتى يستطيع الجيل اللاحق أن يبني على ما وصل إليه الجيل السابق وإلا لم يحدث «تراكم» وهو الذي يؤسس للتقدم والتطور فنعلم مثلًا أولادنا لغتهم القومية ودينهم وتاريخهم وأبرز القواعد والمعاملات الاجتماعية والمفاهيم الثقافية، حتى يكون تواصلًا بين الأجيال وبين الشرائح الاجتماعية.

لكن **الوظيفة الثانية** التي لا يخلو منها كتاب تربية بأي حال من الأحوال، فهي: التطوير والتجديد). ويحمل بشدّة على الداعين إلى «التكيّف» مع الأوضاع السيئة وما يراه: (فهناك من يتصورون أننا نعيش في عصر سلام، ومن ثم فلا داعي للمقاومة وتلك صورة بشعة للتكيف يحمل رايتها كبار ومثقفون وساسة، وعندما ننحاز إلى جانب المقاومة في العراق وفلسطين ولبنان فهذا تمرد على منطق التكيّف!)(١).

إن مقاومة هذه الحرب الصليبية الصهيونية المتصاعدة، لابد أن تُجابه بما يقابلها من عقيدة دينية أي **عقيدة الإسلام التي تحض على الجهاد دفاعًا عن الأرض والعرض والدين.**

ولقد كان المخطط العدائي يهدف ضمن ما يهدف إلى تكثيف حملات التنصير وإزاحة الإسلام من طريقه كعائق وحيد يحول دون نجاحه، فإن المقابل المنطقي لصده هو المزيد من الاستمساك بالإسلام: عقيدة وشريعة وحضارة كاملة.

(ذلك أن الجهاد لإعلاء كلمة الله، يتضمن بمعانيه وقيمه الإسلامية، تحرير

---

(١) د/ سعيد إسماعيل علي «مقال بعنوان: درس في التربية» ص (١٤)، جريدة الوفد في ٧ رجب ١٤٢٨هـ - ٢١ يوليو ٢٠٠٧م.

الأرض والإنسان والأمة من العبودية والظلم والاستعمار والاستغلال، ولكن القتال لتحرير الأرض بمعناه المادي العلماني، لا يرقى ولا يصل أبدًا لتحقيق هذه الأهداف السامية)[1].

وفي ضوء هذه التفرقة، فإن الدرس العملي الذي عشناه ولا يغيب عن الأذهان ما حدث من تحويل قضية فلسطين على أيدي القوميين العرب والعلمانيين من قضية إسلامية تهم الأمة بأسرها إلى قضية قومية عربية، فتوالت الهزائم النكراء منذ رفع الشعارات، وجاءت نكبة ١٩٦٧ دليلًا على الإخفاق الذريع بينما تصر إسرائيل ومن ورائها أمريكا على **تحويلها إلى قضية دينية تتكاتف فيها العقائد المسيحية مع الصهيونية نحو غاية إقامة الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى للإسراع بعودة المسيح عليه السلام بزعمهم.**

فلا منقذ من هذه المحن إلا بالاستمساك بكتاب ربنا ﷻ وسنة نبينا ﷺ، وللقارئ نبذة عن تأويل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ ﴾ أي على مشاق الطاعات وما يمسكم من المكاره والشدائد ﴿وَصَابِرُوا۟ ﴾ أي غالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الجهاد. لا تكونوا أقل صبرًا منهم وثباتًا. والمصابرة باب من الصبر، ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه، تخصيصًا لشدته وصعوبته كذا في الكشاف ﴿وَرَابِطُوا۟ ﴾ أي أقيموا على مرابطة الغزو في العدو بالترصد والاستعداد لحربهم، وارتباط الخيل.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والرباط في الأصل أي يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغرة، وكل معد لصاحبه ثم صار لزوم الثغر رباطًا. وربما سميت

---

(١) مقال بعنوان «رسالة المغرب» بقلم د/ إدريس الكتاني ص (٥٢ – ٥٣)، مجلة (المختار الإسلامي) غرة جمادي الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٨ مايو ٢٠٠٦م.

الخيل أنفسها رباطًا، وقد يتجوز بالرباط عند الملازمة والمواظبة على الأمر، فتسمى رباطًا ومرابطة.

قال الفارسي: هو ثان من لزوم الثغر، ولزوم الثغر ثان من رباط الخيل. وقد وردت الأخبار بالترغيب في الرباط، وكثرة أجره، فمنها ما رواه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعديّ أن رسول الله ﷺ قال: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا».

وروى مسلم عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمِلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ**».

وروى الإمام أحمد عن فضالة بن عبيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنَّهُ يَنْمُو عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ**» وهكذا رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن صحيح.

وأخرجه ابن حبّان في صحيحه أيضًا. وبقيت أحاديث أخرى ساقها الحافظ ابن كثير في تفسيره[١].

ومن فضل الله تعالى ورحمته (أنه رفع عن الأمة الإسلامية سنّة الاستئصال، لأنها الأمّة الخاتمة التي يستمر شرعها إلى يوم القيامة، ولكن وجب عليها الاتعاظ والاعتبار بما حلّ بالأمم السابقة، لأنه قد يصيبها بعض ما أصاب تلك الأمم إن هم وقعوا في مثل ما وقعت في)[٢].

القوى الفعلية الكامنة في الأمة:

وإذا أقررنا بأن الأرقام هي أدق لغة علمية، فقد قام المهندس الدكتور

(١) ص (١٠٨٠ – ١٠٨١) «محاسن التأويل» محمد جمال الدين القاسمي ج ٣، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط. عيسى البابي الحلبي (دار إحياء الكتب العربية) ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

(٢) د/ محمد محمد عاشور «السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم – أصول وضوابط» ص (٤٨٢)، ط. دار السلام ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

مصطفى مؤمن بعمل إحصائية معبرة عن العالم الإسلامي، والمطلع عليها سيقتنع بنفسه بمدى قوة هذا العالم وإمكانياته الهائلة وقدرته على استئناف حضارته من جديد.

يقول د. مصطفى مؤمن:

(والآن ما ظننا بدولة شامخة تحتل رقعة من الأرض مساحتها ٣٠.١٢٧.٦٠٩ كيلو مترًا مربعًا، وتعدادها ٧٧٠.٥٩٥.٠٠٠ نسمة وقوتها الضاربة البرية قوامها ٢.٩٥٧.٤٠٠ جندي، وأسطولها البحري يضم ٨٨١ قطعة، وسلاحها الجوي يتألف من ٣٨٤٦ طائرة مقاتلة وقاذفة وناقلة، ودخلها السنوي يزيد على ٦٣٥٧٧ مليون دولار أمريكي.

وقبل هذا وبعده دولة دينها الحق والحق واحد، وقبلتها واحدة ودستورها الدائم واحد هو الكتاب المكنون.

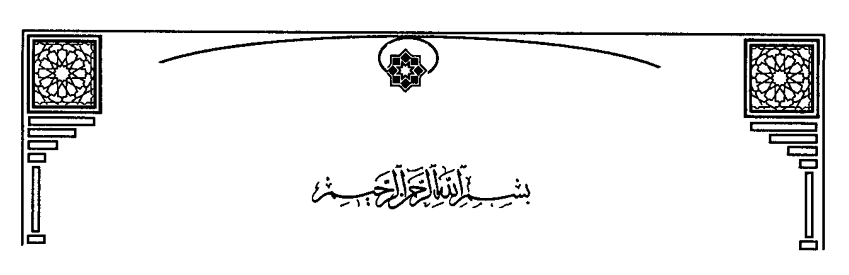
أظن أن هذه غاية ما يرجو كل مسلم على الأرض ويقيني أنه لو قامت هذه الدولة الشامخة يومًا لنافست بل ناجزت الدولتين المتعاليتين (الولايات المتحدة)، و(الاتحاد السوفيتي) على السواء.

فهل يمكن أن يتحقق ذاك الحلم الجميل الذي يداعبنا في غمرة من اليقظة أو في نوبة من الرقاد، إنه ليس حلمًا، لقد كان حقيقة بالأمس وأراه اليوم غير بعيد المنال؟!)(1).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١].

* * *

(١) يُنظر كتاب (قسمات العالم الإسلامي المعاصر) للدكتور/ مصطفى مؤمن ط. دار الفتح ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.



[١٨]

الجذور التاريخية للتغريب في مصر

ظهرت مسألة (التغريب) منذ بدأ الاصطدام بحضارة الغرب، ومعنى التغريب بجناحه الثقافي (تبني النموذج الغربي في تمدين المجتمع العربي الإسلامي وتحديثه... وقد ظهر اتجاه رافض للتجربة الأوروبية ويرى أنه خطر على التراث والهوية، واتجاه آخر انبهر بتقدم الغرب وحضارته ودعا للارتماء في أحضانه)[١].

وقد تجلَّى الصدام بين الاتجاهين في مناظرة تمَّت داخل الجامعة المصرية في شهر إبريل سنة ١٩٣٠ م حيث دارت المناقشة بين سلامة موسى وعباس العقاد حول مضمون بيت شعري من نظم شاعر الإنجليز كابلنج وهو:

الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقي الاثنان.

وقد رأى العقاد تنافي هويّة الشرق مع هوية الغرب وعدم إمكانية لقائهما، في حين رأى سلامة موسى حتميّة توحدهما محاولًا الدفاع عن وحدة التاريخ وكونية الغرب[٢].

---

(١) أحمد زكريا الشلق (طه حسين جدل الفكر والسياسة) ص ١٢٤ مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٩ م.

(٢) د/ كمال عبد اللطيف (سلامة موسى وإشكالية النهضة) ص ١٧١، ١٧٢ مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٩م.

وكانت نتيجة المناظرة أن حصل العقاد على ٢٢٨ صوتًا، ونال سلامة موسى ١٣٢ صوتًا.

ويقول الدكتور كمال (إن سلامة موسى أول مثقف عربي معاصر يعلن ضرورة إحداث قطيعة

كما يتضح الاختلاف بين الاتجاهين أيضًا إذا تحدثنا عن كلٍّ من الدكتور طه حسين في بداية حياته الثقافية قبل تراجعه، والدكتور عبد الوهاب عزَّام، فقد كان الأوّل متأثرًا بالفكر الفرنسي في التعليم وكان يرى الأخذ عن الأصول اليونانية في الفلسفة ووجه الطلاب في الجامعة للاهتمام بالآداب الأجنبية المختلفة، بينما رأى الثاني الاهتمام بآداب الأمم الإسلامية مدركًا أهميتها كتراث مشترك للأمة العربية والإسلامية[1]، وكان معنيًّا باللغات الشرقية الإسلامية كالفارسية، والتركية، والأردية، ودرس وكتب في تاريخ شعوبها وحضارتها، موضحًا ما بينها من صلات وما يجمع بينها من وشائج القربى التي تجعل الأمة الإسلامية أمة واحدة، تكون كما أراد الله لها ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ويقول الدكتور السباعي محمد السباعي: (كان إيمانه بوحدة الفكر الإسلامي وسمّوه وإيجابيته، وقدرته على حض المسلمين على التمسك بما لديهم من كنوز فكرية، كي يستيقظوا من سباتهم، فيقلبوا ما فرضته عليهم الحضارة الغربية من تحديات)[2].

أما الجناح السياسي في مسألة (التغريب) فيتضح إذا درسنا موقف كلٍّ من لطفي السيد ومصطفى كامل من الحركة الوطنية في مصر:

= مطلقة مع الماضي، وذلك من أجل حاضر ومستقبل أكثر تقدمًا ورقيًّا ورخاءً) ص ١٣٣.

(١) د/ السباعي محمد السباعي (عبد الوهاب عزّام رائدًا ومفكرًا) ١٨٩٤-١٩٥٩م ص ١٠٩ مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٩م.

وسنعود لتسجيل بعض مواقف الدكتور طه حسين التي تراجع فيها عن آرائه السابقة.

(٢) نفسه ص ٦١ وأوجه عناية الباحثين لدراسة الإنتاج العلمي الغزير للدكتور عبد الوهاب عزَّام، إذ لم يحظ بما حظي به غيره من أعلام الفكر من شهرة وتأثير. ومن أقواله الدَّالة على غيرته على تراث أمته (قل للذين يلتفتون عن المشرق، ليولوا وجوههم شطر المغرب، إنما تعرضون عن أنفسكم وتاريخكم، فابدأوا بأنفسكم فاعرفوها، وبمآثركم فعظموها، ثم اعرفوا لغيركم أقدارهم، ولا تبخسوا الناس أشياءهم) ص ١٠٩.

فقد كان لطفي السيد زعيم التيار الذي يمثله أبناء الأعيان من أصحاب الثروات، وهؤلاء في معظمهم قد تعلموا في أوروبا ...إن المسألة عندهم ليست مسألة دين ... فهي مصالح مشتركة نحو فكرة الوطن ورفعوا شعار «مصر للمصريين»[١].

أما مصطفى كامل فقد غلَّب الارتباط بين مصر المستقلة والخليفة أمير المؤمنين، لذلك لقى في الأساس تشجيعًا من عاصمة الخلافة العثمانية[٢].

وكان موقف مصطفى كامل - كما يذكر الأستاذ سامح كريّم - يعتمد على الربط بين مصر وتركيا بهدف ضرب إنجلترا في مصر، والخلاص من سلطانها نهائيًّا، وقد قاد (تيارًا عظيم الأهمية في مصر في بداية هذا القرن، وهو التيار الوطني الإسلامي الذي يعتبر الرابطة الإسلامية رابطة سياسية تشد مصر إلى تركيا)[٣].

ونرى أن هذا هو سبب تصدي سلطات الاحتلال البريطاني للحزب الوطني - الذي أسسه مصطفى كامل - وأخذت تطارد زعماءه بالنفي والسجن والتشريد ولاحقت صحفه بالمصادرة والإغلاق، مما اضطر زعيمه محمد فريد إلى الهجرة لاستئناف النضال من أوروبا[٤].

---

(١) سامح كريم (العقاد في معاركه السياسية) ص ٤٨ مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٠م.

(٢) د/ مصطفى الفقي (الأقباط في السياسة المصرية، مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية) ص ١٧ مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٩ م.

(٣) سامح كريم (العقاد ...) ص ٤٦.

(٤) أحمد زكريا الشلق (طه حسين جدل الفكر والسياسة) ص ١٩ مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٩ م.
ولا يفوتنا بهذه المناسبة المقارنة بين مصطفى كامل الذي رفع شعار (لا مفاوضة إلا بعد الجلاء) وسعد زغلول الذي خدعته إنجلترا بإقامة نظام نيابي صوري رأس فيه حزب الوفد، وقامت بإنشاء أحزاب منافسة بقيادة بعض عملائها تنفيذًا لسياستها (فرِّق تسد) لذلك فقد كان العقَّاد محقًّا في القول بأن ثورة سنة ١٩١٩ أُجهضت ولم تلد حرية ولا استقلالًا. بل زيَّفت القيم ولعب الاستعمار مع مصر لعبته الجديدة، لعبة الاستقلال الصوري ليضعه بديلًا عن

وهناك من يفسر الواقعات التاريخية بمقولة إن (التاريخ يعيد نفسه) أي: أن الأحداث تتشابه وتكرر بنفس الوتيرة.

وربما صح هذا لمن يراقب الساحة السياسية عقب ثورة ٢٥ يناير سنة ٢٠١١ التي تتصارع فيها التيارات الثقافية وتنحصر خاصة بين التيار الإسلامي والتيار التغريبي الليبرالي.

وها نحن بعد انقضاء نحو ثمانية عقود من الزمن، يتجدد الصدام، فما تفسيره؟

يقول الدكتور حسين مؤنس رحمه الله تعالى:

[وقد انتهينا - جماعة المؤرخين- إلى أن «الماضي» لا وجود له ... فكل التاريخ حاضر... وكله مستقبل][1].

ويقرِّب هذا التصوّر من أفهامنا فيضرب مثالًا لحياتنا الفردية من الطفولة والصبا والشباب ويستمر قائلًا (ومهما تتقدم بك سنوات العمر فإن صباك يلازمك وشبابك يظل حيًّا فيك ... وعندما تغلق عينيك في ساعات الاسترخاء فإن شريط حياتك يمر أمام عينيك ويعطي حاضرك قيمة ومعنى ... وفي النهاية تشعر أنه لا أمس هناك ولا أول أمس ولا اليوم ... إنما هو نهر الحياة يمضي وأنت معه ... أو أنت تشهده من موقعك على المجرى ... وأحداث أخرى كثيرة جدًّا مما حدث لك في صبوتك تصبح مستقبلًا لأنك تتمنى أن تعود...)[2].

= الاستقلال المنشود، يخدر به الأعصاب.

د/ سهير القلموي (سارة أو ..عبقرية الشك) ص ١٥٧، ١٥٨، مقال بمجلة (الهلال) عدد خاص: العقاد. أول إبريل سنة ١٩٦٧ م - ٢١ ذو الحجة سنة ١٣٨٦ هـ..

(١) د/ حسين مؤنس (باشوات ولا برباشوات- صورة مصر في عصرين) ص ١٩٩ ط ٢ الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨ م.

(٢) نفسه.

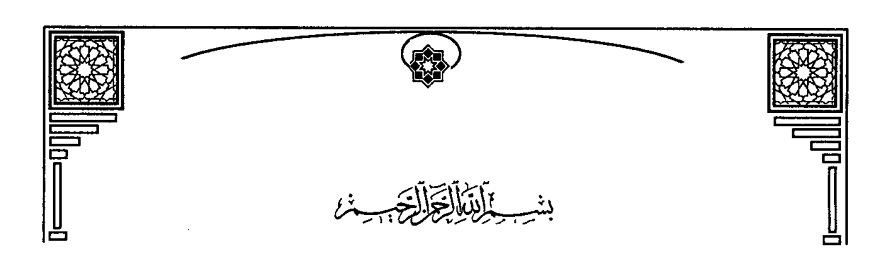
وإذا طبقنا رؤية د/ حسين مؤنس للتاريخ فإننا نعيش في الواقع الآن نفس المعارك المحتدمة الناشبة بين القديم والحديث، بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية، بين المتفرنجين الداعين للانسلاخ من عقائدنا وشرائعنا والجري وراء أوروبا، وبين المحافظين على تراثهم الإسلامي والداعين إلى اتباع منهج السلف.

وقد ظهر هذا الخلاف جليًّا أثناء مرحلة انتخابات مجلس الشعب المصري في ديسمبر سنة ٢٠١١.

ويبدوا أن الغلبة - بمشيئة الله تعالى - ستصبح من نصيب المشروع الإسلامي الذي غيَّبه الاستعمار وأعوانه طيلة هذه السنين، ومن ثم ستنهض الأمة لتجديد حضارتها.

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ [يوسف: ٢١].

* * *



[١٩]

حديث عن الهوية الإسلامية

إن هوية المسلم مستمدة من عقيدته، وشخصيته مصطبغة بعقيدة التوحيد حيت تتسم بالثبات، كذلك تدعم هويته بارتباطه بالأمة الإسلامية برباط وثيق، وهي رابطة معنوية لا تنفصم. وفي ظل الأحوال المتردية للأمة في عصر سيطرة (العولمة)، وانحلال الرابطة السياسية المتمثلة في «الخلافة»... في ظل هذه الأحوال أصبح الاستمساك بالهوية الإسلامية للأفراد والشعوب أكثر ضرورة من أي وقت مضى[١].

ومما يؤكد هوية العالم الإسلامي أن المتتبع لأحوال المسلمين شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا يلاحظ دورانهم حول فلك ثقافي واحد (التوحيد - صلاة الجماعة والأعياد - قراءة القرآن الكريم - الأعياد - الجمع - الصيام - الحج) وإلى عهد قريب كانت الأمة متماسكة ثقافيًا، وما تحقق على ممر القرون ورسخ في القلوب يمكن نقله مرة أخرى وتحقيقه بواسطة الأجيال الجديدة في ظل (الصحوة الإسلامية) التي من واجبها وصل ما انقطع بعد عصور الاستعمار العسكري والثقافي، واستئناف حياتها الإسلامية من جديد.

وبهذا الرباط الوثيق، استطاعت الأمة الإسلامية التصدي لأشد الهجمات وأعتى القوى ممثلة في الحروب الصليبية والغزو التتاري، إذ تعرضت (طوال

---

(١) ووفق هذا المنظور تأتي قيمة (الوطنية) في المرتبة التالية لقيمة (الوحدة الإسلامية).

تاريخها لأزمات طاحنة كان بعضها كفيلًا بأن يقضي على أمم وحضارات وأديان، ولكن أمة الإسلام خرجت ظافرة من الأزمات التي مرت بها ... وأوضح الأمثلة على ذلك تعرضها منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي إلى أواخر القرن الرابع عشر لخطر من أكبر ما تعرضت له الأمم والحضارات من أخطار، وخرجت برغم ذلك ظافرة من الصراع الرهيب الذي دار بينها وبين عوامل الدمار والتخريب من ناحية، وعوامل الكراهية والحقد والتعصب من ناحية أخرى، أي: الخطر الصليبي والخطر المغولي اللذين اجتمعا على بلاد الإسلام في عصر واحد تقريبًا)[١].

وما اشتدت الهجمات على الأمة الإسلامية في العصر الحديث وأصبحت فريسة للغزوات الاستعمارية الغربية إلا بسبب عاملين:

الأول: هدم الخلافة العثمانية على يد أتاتورك اليهودي عام ١٩٢٤ م فانفرط عقد الأمة - وكانت هذه الخلافة - حتى في نهاية عصرها وضعفها - كالسد المنيع يحول بين الأمة وأعدائها. يقول جان بول رو تحت عنوان (الاستعمار في بلاد الإسلام): لم يكن القضاء على الدولة العثمانية إلا مظهرًا من مظاهر الهجوم العام الذي يشنه الأوروبيون على الدول الإسلامية.

ومن جزر الفلبين إلى قلب أفريقيا، عمل الرجل الأبيض على بسط سيطرته على الرجل المسلم، وفرض عليه مفاهيمه في الوجود وطرق معيشته وتفكيره[٢].

أي أنه سعى على إذابة هويته الإسلامية ليصبح ألعوبة في يد القوى الغازية الغربية، ويفقد سلاح المقاومة.

---

(١) د/ حسين مؤنس (عالم الإسلام) ص ٨٣ بتصرف يسير دار المعارف بمصر ١٩٧٣ م.

(٢) جان بول رو (الإسلام في الغرب) ص ٥٦ تعريب نجده هاجر وسعيد الغنر ط. المكتب التجاري - بيروت ١٩٦٠ م.

الثاني: وإذا حاولنا تفسير الهزيمة الكارثة عام ١٩٦٧ (التي سُمِّيت تضليلًا بالنكسة) وضياع مدينة القدس، فليس من العسير تعليلها باهتزاز الهوية التي غرست أصلًا في شخصية المسلم عقيدة الجهاد دفاعًا عن الدين والأرض والعرض، حيث تعرضت الشخصية للتشويه والمسخ، بفعل الفلسفات[١] والنظم كالشيوعية والاشتراكية والقومية التي فُرضت علينا في العصر الناصري، حيث ساهمت في تفرق الأمة، وتم إقصاء الإسلام عن الساحة في مجال الصراع مع الدولة اليهودية.

وينبغي ترسيخ هذه الهوية الإسلامية عن طريق مناهج التعليم، وعناية علماء التربية بوضع مناهج مستمدة من القرآن الكريم شرحًا لآياته وتدبُّرًا لتاريخ الأنبياء والأمم وإبراز مواعظه وأحكامه والدعوة إلى الالتزام بقيمه الأخلاقية الراقية، وكذلك الرسول ﷺ بكافة مراحلها وجعله ﷺ هو الأسوة في كافة مجالات حياة المسلمين فهو رئيس الدولة، وهو القاضي، وهو قائد معارك الجهاد، وهو الزوج، وهو الأب، وهكذا في شؤون الحياة الإنسانية، ﷺ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ الآية [الأحزاب: ٢١].

مع مراعاة ما يناسب أعمار الطلاب ومدى الاستعداد والقدرات الذهنية والنفسية بالمراحل المختلفة: الابتدائية والإعدادية والثانوية، أما الجامعات فينبغي تأسيس العلوم الإنسانية في النفس والتربية والاجتماع والسياسة والاقتصاد على أصول إسلامية، لا الاكتفاء بترجمة هذه العلوم من اللغات الأجنبية، لتأثيرها البالغ على الهويّة الإسلامية سلبًا، وربما تؤدي على اضطراب في الاستيعاب وإصدار الأحكام؛ لأنها تستند على أصول فلسفية وتاريخية غربية.

---

(١) د/ عمر سليمان الأشقر (معالم الشخصية الإسلامية) ص ١٧ و ص ٢٠ بتصرف دار النفائس - الأردن ط. ٦ ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م.

وبهذه المناسبة، نحذر كل التحذير من المدارس الأجنبية التي أصبحت مجالًا للاستثمار في العهد السابق، وأصبحت هوية أجيالنا...

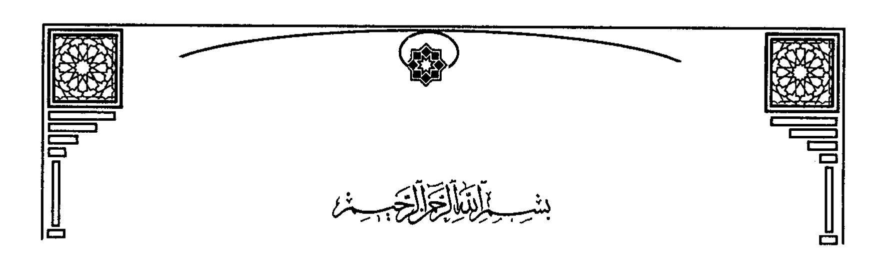
وجعل الولاء للبلاد التي تتلقى منها المناهج وتخضع لإشراف مباشر من أجهزتها التعليمية (أمريكية وإنجليزية وألمانية وكندية)، ولكن إشراف وزارة التربية والتعليم عليها إشراف صوري شكلي وليس لها سلطان عليها.

وقد كشفت الدكتورة بثينة عبد الرؤوف مدرس أصول التربية بمعهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة عن مدى خطورة تلك المدارس، وأظهرت في دراستها عنها أنها تعلم الأطفال كيفية ممارسة الجنس، وتدرس تاريخ قيام إسرائيل من المنظور الغربي[1].

ولتلك المدارس دورها المخرب للهوية الإسلامية منذ عصر الاستعمار العسكري، والجدير بالذكر أن المناضل العربي الفلسطيني المسيحي «إميل الغوري» نشر في الأربعينيات كتيبًا قيِّمًا بعنوان «المدارس الأجنبية في خدمة الاستعمار والصهيونية» فضح من خلاله الدور المشبوه التي تلعبه المدارس والجامعات الأجنبية في خدمة المخططات الاستعمارية والصهيونية[2].

* * *

(١، ٢) يُنظر جريدة (المصريون) ٢٩/ ١٢/ ١٤٣٢ هـ - ٢٥/ ١١/ ٢٠١١ م صفحة (تحقيقات) رقم ٧.



[٢٠]

الشريعة الإسلامية ودورها في حماية المجتمع

ينشر العلمانيون والليبراليون وغيرهم عن جهل وقصور في الدراسة والاطلاع، ينشرون معلومات منفرة عن الشريعة الإسلامية، ويحصرونها في دائرة العقوبات وحدها، أي: عن قتل القاتل ورجم الزاني وقطع يد السارق، وهو اختصار جدّ مخل بأحكام الشريعة وحقيقتها ودورها في إقامة مجتمع صالح، إذ تعمل على تقليل المفاسد والشرور إلى أقصى حد؛ لأن المجتمعات البشرية كما يفصح عنه التاريخ والواقع المعاصر بطبيعة تكوينها تجمع بين أهل الصلاح والتقوى وبين أهل الفساد من المجرمين الأشرار.

وقد جاءت تلك العقوبات في أضيق نطاق (ففي القانون الجنائي لم يحدد عقوبات مقدرة إلَّا لخمس فئات من المجرمين، الذين يحاربون الله ورسوله ﷺ ويسعون في الأرض فسادًا. والذين يقتلون النفس بغير حق، والذين يرمون المحصنات الغافلات، والزانية والزاني، والسارق والسارقة ...

وأرشد الله سبحانه إلى أصل عام لا تختلف فيه الأمم وهو أن تكون العقوبة على قدر الجريمة، فقال عز من قائل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ٢٦])[1].

---

(١) الشيخ عبد الوهاب خلاف (السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية) ص ٣٥ هدية مجلة الأزهر لشهر ذي القعدة سنة ١٤٣٢ هـ.

ومن أجلّ أصول الشريعة أيضًا كما يذكر الإمام الجويني هو دفع المعتدين بأقصى الإمكان وإلا فسيسعون في الأرض فسادًا، فيقول: [لا يكاد يخفى جواز دفع الظلمة، وإن انتهى إلى شهر الأسلحة، فإن من أجلّ أصول الشريعة دفع المعتدين بأقصى الإمكان عن الاعتداء، ولو ثارت فيه زائغة عن الرشاد، وآثروا السعي في الأرض بالفساد، ولم يمنعوا قهرًا ولم يدفعوا قسرًا، لاستجرأ الظلمة ولتفاقم الأمر][1].

وتتسع دائرة الشريعة الإسلامية لتشمل النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهو أمر يستخلصه كل من قرأ القرآن الكريم بتدبّر:

فإن القرآن الكريم يحتوي على (٦٢٣٦) آية منها (٢٢٨) آية فقط مخصصة للتشريع منها (٧٠) آية متعلقة بالأسرة، و(٧٠) آية متعلقة بالقانون المدني، و(١٣) بإجراءات التقاضي و(١٠) للقانون الدستوري، و(١٠٢) للنظام الاقتصادي والمالي و(٢٥) للعلاقات الدولية، و(٣٠) لقانون العقوبات[2].

ويعلق الفيلسوف رجاء جارودي على ذلك بقوله: «وعلى ذلك فمجموع (٤٪) من القرآن للقانون، و(٧٪) للعقوبات، بينما يعالج بقية القرآن قضايا الإيمان والأخلاق و«الصراط المستقيم» أي: غايات تتبع لتنفيذ إرادة الله ﷻ»[3].

ولكن فات جارودي - مع إصابته في الوصف - فاته إبراز القيم الأخلاقية الراقية المنبثقة من الشريعة الإسلامية والتي ضمنت بقاء الثقافة الإسلامية إلى

(١) الإمام الجويني (غياث الأمم في التياث الظلم) الغياثي ص ٣٦٦ مؤسسة الريان ودار الزاحم - الرياض ١٤٢٨ هـ -٢٠٠٧ م.

(٢) عبد الوهاب خلاف (علم أصول الفقه) ط ٧ القاهرة سنة ١٩٥٦ م ص ٣٤/ ٣٥ نقلًا عن جارودي (الإسلام والقرن الواحد والعشرون شروط نهضة المسلمين) ص ٨١ ترجمة كمال جاد الله - الدار العالمية للكتب والنشر بالقاهرة سنة ١٩٩٩ م.

(٣) نفسه ص ٨١.

الآن.

يقول الشيخ محمود شاكر رحمه الله: [وأسلافنا، نحن العرب والمسلمين، قد منحوا هذا «الأصل الأخلاقي» عناية فائقة شاملة، لم يكن لها شبيه عند أمة سبقتهم، ولم يتح لأمة لحقتهم وجاءت بعدهم أن يكون لها عندهم شبيه أو مقارب. وهذه العناية بالأصل الأخلاقي هي التي حفظت على الثقافة الإسلامية تماسكها وترابطها مدة أربعة عشر قرنًا، مع كل ما مرّ عليها من القوارع والنكبات ووقائع الدهر على طول المدى، ومع كل ما انتابها من الضعف، ومع كل ما اعتورها أو دخل عليها من التقصير والخلل. وبقاء هذا التماسك على طول القرون، هو وحده إحدى عجائب الحضارات والثقافات التي عرفها البشر][1].

والشريعة الإسلامية هي مفخرة تراثنا الكبرى باعتراف وإقرار كبار أساتذة القانون في الشرق والغرب، إذ اتخذ المؤتمر الدولي للقانون المقارن في جلسته النهائية يوم ٧ يوليو ١٩٥١ م القرار الإجماعي التاريخي الآتي:

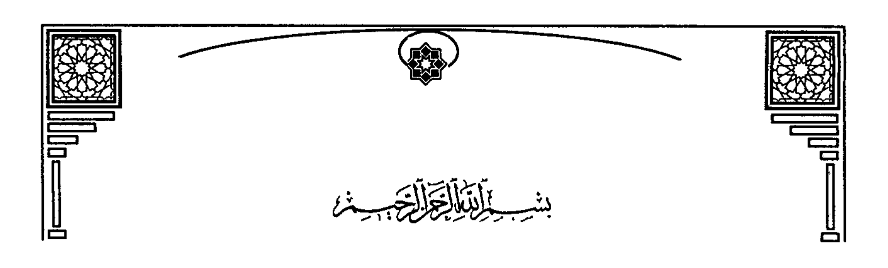
(إن المؤتمرين - وقد أبدوا الاهتمام بالمشاكل المثارة أثناء أسبوع القانون الإسلامي، وما جرى في شأنها من مناقشات، أوضحت بجلاء ما لمبادئ القانون الإسلامي من قيمة لا تقبل الجدال، كما أوضحت أن تعدد المدارس والمذاهب داخل هذا النظام القانوني الكبير، إنما يدل على ثروة من النظريات القانونية والفن البديع، **وكل هذا يمكن هذا القانون من تلبية جميع حاجيات الحياة العصرية**)[2].

* * *

---

(١) محمود محمد شاكر (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) ص ٤٦/ ٤٧ كتاب (الهلال) بمصر العدد ٤٨٩ سبتمبر سنة ١٩٩١م.

(٢) مجلة المسلمون العدد الأول ص ٤٠-٤١، السنة الأولى، غرة ربيع الأول ١٣٧١ هـ - ٣٠ نوفمبر ١٩٥١ م.



[٢١]

تحرير المصطلحات الوافدة من منظور الثقافة الإسلامية

لاحظنا من متابعة حملات الدعاية المسمومة بالإعلام الغربي الكارهة للإسلام، لاحظنا أن كتابات بعض المستغربين منا يشاركون هذه الحملات بحسن نية أو بسوء نية (الله تعالى وحده أعلم) فيخلطون الأوراق، وينقلون المصطلحات التي يستخدمها كتاب الغرب وساسته لوصف حركات الصحوة الإسلامية بكل ما يسيء إليها، وينفرّ المسلمين منها، كالخلط بين الأصولية الإنجيلية هناك والسلفية عندنا، واتهام الحركة السلفية بأنها (رجعية) وضد (التقدم) أو (التنوير) وسنناقش هذه المزاعم الكاذبة في عجالة:

الأصولية في الغرب:

استعمل المصطلح الغربي Fundamentalism أولًا لتمييز الأمريكيين البروتستانت في القرن التاسع عشر الذين أكّدوا عصمة الإنجيل في قصة الخلق رافضين النظرية الفجة عند دارون، وينسحب المصطلح أيضًا على القائلين من اليهود بالعصمة المطلقة لتوراتهم[1].

وقد خلط بعض المستغربين - اقتداءً بكتاب الغرب وساسته - بين الأصولية عندهم، والسلفية في تاريخنا الإسلامي، والحق أن الفارق شاسع جدًّا بينهما، بل لا اتفاق أصلًا؛ لأن عقائد اليهود والنصارى مخالفة لعقائد الإسلام

(١) د/ مراد هوفمان (الإسلام كبديل) ص ١٠٧.

جذريًّا كما هو مقرّر ومعروف، كما أن السلفية عندنا هي تعبير عن منهج ملازم لتاريخنا العقائدي يلتزم بالإسلام - كما هو في أول عهده أيام الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم والتابعين بإحسان.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وتتخير من مواقفهم (منطلقًا ومثالًا يُحتذى به في صياغة المعايير والقيم وقواعد السلوك والمعاملات في بناء الحاضر)(١).

ويتوسع الدكتور مصطفى محمود في تعريف المصطلح فيذكر قادتها وأعدادها وأهدافها، فيقول(٢):

[إن الطائفة الأصولية وهي صياغة الإنجيليين (منها ريجان وبوش) وتتألف هذه الجماعة من مائتين وخمسين منظمة منتشرة في الولايات المتحدة الأمريكية وتمتلك العديد من دور النشر ومحطات التليفزيون (أكثر من عشر محطات) والعديد من الصحف والمجلّات، وتقوم بتنظيم الندوات وإدارة الحملات الانتخابية ورحلات السياحة المنتظمة إلى تل أبيب، وجمع التبرعات لإسرائيل، والضغط على الكونجرس لإرسال السلاح... وتقر هذه الجماعة بأننا نعيش في آخر الزمان في أيام عودة المسيح عليه السلام ولن يعود في نظرها إلا إذا قامت إسرائيل الكبرى وحطم اليهود المسجد الأقصى، ودمروا قبة الصخرة

---

(١) د/ مراد هوفمان (الإسلام كبديل) ص ١٠٧، وقد أصاب رحمه الله بهذا التعريب الموجز باعتبار السلف معبرين عن قيم عليا ومثاليات توجه الأجيال بعدهم وتحثهم على الاقتداء بهم يُنظر كتابنا (قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي) دار الخلفاء الراشدين بالإسكندرية.
وكتاب (السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية) ط. دار ابن الجوزي - درب الأتراك - بالأزهر - القاهرة.

(٢) د/ مصطفى محمود (قراءة للمستقبل) كتاب أخبار اليوم سنة ١٩٩٧ م ص ٧٨.

وبنوا الهيكل، وهدموا المعالم الإسلامية في القدس مما يؤدي إلى استنفار الإسلاميين إلى دخول معركة كبرى، بشرت بها التوراة يسمونها (معركة هرمجدون) أما اليهود فيعتقدن أن المسيح الذي سينزل على الهيكل من السماء لن يكون المسيح العائد، وإنما هو الملك الثري وُعدوا به، والذي سوف يقودهم إلى النصر على كل أمم العالم، والذي سوف يذل جميع الأمم التي أذلتهم وهو مسيحهم الحقيقي الذي يأتي لأوّل مرة (المصدر: جريس هاسل كتاب السياسة والنبوءة) وقد وصفتهم بأنهم جماعة من المأجورين الداعين إلى انهيار الأخلاق وضياع القيم وفساد الذمم وتفشي الكذب والغش والتزوير والرشوة والسرقة(١).

٢- التنوير:

ومن اليسير تفنيد آراء التغريبيين والاعتراض عليها بأقوى الحجج، منها الخلاف في مصطلح التنوير بين المسلم والأوروبي (فالمسلم يرى أن التنوير بالنسبة له قد تحقق بنزول القرآن، وبتحرير المسلم من الجاهلية، بينما الأوروبي الغربي يرى أن التنوير هو التحرير الكبير للإنسان، وللعلوم وللسياسة من الوصايا الكنسية التي دامت ١٧٠٠ عامًا... فإذا طولب المسلم بأن يشعر بالتنوير شعور الغربي به، فإنه يجد ذلك غير مفهوم، إن لم تكن وقاحة وخروجًا عن القصد)(٢).

وقد قصدنا إثبات تفسير أحد الأوروبيين المهتدين للإسلام، وهو عبد

---

(١) د/ مصطفى محمود (قراءة للمستقبل) وينصح رحمه الله المستغربين بقوله: «انزعوا العدسات اللاصقة التي وضعها على عيونكم الغزو الفكري» ص ٩٤.

(٢) محمد عبد العظيم (سر إسلام روَّاد الفكر الحر في أوروبا وعلماء الدين المسيحي الأجلاء) ص ٧٤، وهو رأي المهتدي للإسلام عبد الهادي هوفمان المتحدث الرسمي باسم الحزب المسيحي الديمقراطي بألمانيا.
دار المنارة – المنصورة – مصر سنة ٢٠٠٢ م.

الهادي هوفمان الذي كان المتحدث الرسمي باسم الحزب المسيحي الديمقراطي بألمانيا لسببين:

الأول: أنه صادر من رجل غربي ذاق عمليًّا - وبالتجربة- حلاوة الإيمان الذي أشاع على قلبه النور بعد أن كان غارقًا في ظلمات الكفر، فجاء تعبيره صادقًا بعد تحوّله إلى الإسلام.

الثاني: أنه أصاب الحقيقة في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

قال ابن كثير: الظلمات هي الكفر، والنور هو الإسلام. لكن كيف تتم عملية إخراج الله للمؤمنين من الظلمات إلى النور؟ نجيب بأن البشر جميعًا حينما يعيشون في ظل أنظمة البشر المخالفة لدين الله فإن حياتهم تمتلئ بالظلم والبغي والمنكرات فيحار الإنسان كيف يخرج منها، فلا يجد نورًا يضيء له الطريق، كما تتخبط الحضارة الغربية الآن، فعندما يأتي منهج الله، يغسل المجتمعات من الظلم والبغي والجور والمنكرات، فتزول الظلمات وتمتلئ الحياة بالعدل والخير والصلات الطيبة بين الناس، فيملأ النور النفوس(١).

التقدم في سياق فلسفة تاريخ لدى الغرب:

ظهرت فكرة «التقدم» في أوروبا في القرن الثامن عشر في عصر التنوير ... وكانت نزعة تفاؤلية تتميز بالاعتقاد بقدرة الإنسان على العلو بذاته دون أن يحول شيء دون تقدمه ... وأن اليوم أرفع في سلم الرقي من الأمس، وغدًا سيكون أرفع من اليوم(٢).

---

(١) عبد الودود يوسف، ومراجعة د/ مصطفى الخن (تفسير المؤمنين) ص ٣٤ ط. المؤسسة العلمية - دمشق ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م.

(٢) د/ فؤاد زكريا، (الإنسان والحضارة في العصر الصناعي) ص ٥٨، مركز كتب الشرق الأوسط مايو سنة ١٩٥٧م.

كذلك بدأ بوضوح وكأن البشر - في الغرب الأوروبي على الأقل - على وشك أن يدخلوا تلك الجنة الأرضية التي بشر بها المتفائلون المؤمنون بالتقدم، وأصبحت فكرة التقدم أشبه بالقانون الذي يسير التاريخ، وقضت نهائيًّا على التفسير الدائري لحركة التاريخ التي سيطرت على أذهان البشر في الشرق والغرب على السواء حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي[١].

وسنعرض لمواقف ثلاثة مؤرخين لهم أدلتهم في نقد فكرة «التقدم» تفسيرًا للتاريخ:

١ - د/ حسين مؤنس:

يرى أن فكرة التقدم أصيبت في مقتل على أثر الحروب الأوروبية التي كانت تجري تحت بصر رجال الأنوار مؤكدة لهم أن الوحش الناطق المفكر الذي يسمى إنسان - ما زال وحشًا...

وفي الحرب العالمية الأولى ثم الثانية ارتكب فيها من الفظائع بعضهم ضد بعض ما لم يخطر على بال أحد[٢].

ويقول: إن الهدف من كل الجهود الحضارية هو النهوض بالإنسان نفسه، فإذا أبقى على جهالته ووحشيته وضلالته وانتكس وتدهور، فما قيمة الرقي المادي في ذاته؟ وما الفائدة.

الحقيقة التي نكسبها إذا استطعنا الذهاب من لندن إلى نيويورك في أربع ساعات بدلًا من سبع، ثم ننفق الثلاث التي كسبناها في الطعام والسكر والعربدة وابتذال النفس بغير حساب؟![٣]

٢ - أرنولد توينبي:

ينكر توينبي فكرة التقدم، وذلك بسبب انحدار المستوى المعنوي للإنسان

---

(١) د/ حسين مؤنس، (الحضارة)، ص ١٧٩، سلسلة عالم المعرفة بالكويت سنة ١٩٨٥ م.

(٢) نفسه، ص ٣٣٥.

(٣) نفسه، ص ٣٣٩.

المتحضر إذ إن العبرة ليست بالمظهر المادي للحضارة من آلة ومتاع، وإنما العبرة بالروح والقوّة الكامنة والإقدام على مواجهة الصعاب.

كذلك لا يؤمن بما يُسمى (الليبراليّة) - أي التحرر من كل معتقد أو رأي موروث، ويميل في تفسيره للتاريخ إلى الإيمان بالله تعالى القادر المصرف للأمور[١].

٣- شبنجلر:

كان معارضًا لفكرة التقدم في توقعاته لمصير الحضارة الغربية، إذ رأى أنها منهارة حتمًا بسبب محاولتها السيطرة على العالم والتوسع على حساب غيرها؛ مما سيؤدي إلى ثورة شعوب تنتمي إلى حضارات أخرى عليها، فيبدأ مهد هذه الشعوب ويأفل نجم شعوب الغرب[٢].

وذكر في كتابه (أفول الغرب) أنه وصل إلى مرحلة الشيخوخة، وإن الموت هو النهاية المحتومة[٣].

وأخيرًا يأتي القول الفصل على لسان الفيلسوف الفرنسي المعاصر ليفي شتراوس الذي عكس التوقع، فاستبدل بفكرة التقدم فكرة (أفول البشرية) معللًا ذلك بالحيرة التي تسيطر على العصر[٤].

* * *

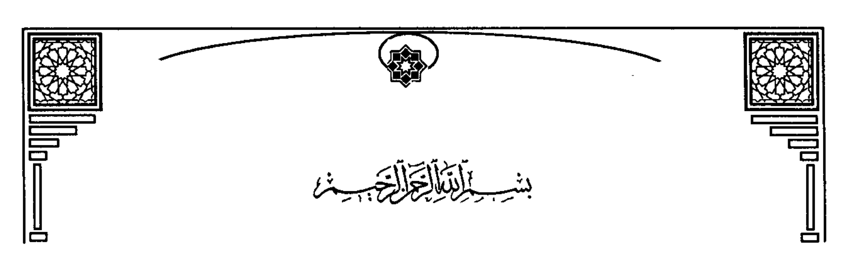
---

(١) نفسه، ص ٣٥٤-٣٥٦.

(٢) د/ فؤاد زكريا، (الإنسان والحضارة) ص ٦٦.

(٣) د/ حسين مؤنس (الحضارة) ص ٣٥٠.

(٤) د/ الوهاب جعفر (قضايا الفكر الفلسفي المعاصر) ص ١١٣ دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية سنة ٢٠١٠م.



[٢٢]

عودة إلى «الصراع بين الحضارات»

سبق أن عرضنا لنبذة عن هذا (الصراع) وهو في حقيقته يسمى تسلطًا جامحًا للقوى الصليبية والصهيونية للاستمرار في التهام شعوب العالم الثالث.

وإذا عدنا لعرض موجز لآراء هنتجتون، فسنجد تركيزه الشديد على الإسلام والمسلمين، والتحذير من الصحوة الإسلامية المتنامية، ويكشف عن نوايا الغرب حاضرًا ومستقبلًا.

وسأكتفي بتسجيل ملخص مختصر لما احتوى هذا الكتاب عن عرضه للصراع الغربي مع الحضارة الإسلامية، لأنبه إلى استمرارية الحقد الصليبي المستكن في أحشاء الحضارة الغربية للإسلام، وقد حل الصراع الذي كان قائمًا مع روسيا في الحرب الباردة، إلى صراع مع الحضارة الإسلامية:

يقر هنتجتون بأن صراع القرن العشرين بين الديمقراطية الليبرالية والماركسية ليس سوى ظاهرة سطحية وزائلة، إذا ما قورن بعلاقة الصراع المستمر والعميق بين الإسلام والمسيحية ويسجل تأييد الحكومات والشعوب الأوروبية الإجراءات التي تتخذها الولايات المتحدة ضد خصومها المسلمين، حيث قامت خلال السنوات الخمسة عشر بين ١٩٨٠م و ١٩٨٥م، وطبقًا لبيانات وزارة الدفاع الأمريكية، بالمشاركة في ١٧ عملية في الشرق الأوسط كانت كلها موجهة ضد مسلمين، ولم تحدث أي عمليات أمريكية من هذا

النمط ضد أي شعب من حضارة أخرى[١].

وبتشخيصه لأسباب الصراع، يرى أن المشكلة المهمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية، بل الإسلام نفسه، فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته وهاجسه ضآلة قوته، أما الغرب فإنه مقتنع لعالمية ثقافته ويسعى لنشرها في العالم، ويرى هنتجتون أنها المكونات الأساسية التي تغذى الصراع بين الإسلام والغرب[٢].

ومن الأمثلة التي يقدمها لتأييد فكرة الصراع مع الإسلام هي حرب الخليج عام ١٩٩٠م حيث تحولت إلى حرب حضارات لأن الغرب تدخل عسكريًّا في صراع إسلامي، ودعم الغربيون هذا التدخل بأغلبية ساحقة، مما جعل المسلمين يفهمون أنه حرب ضدهم، وبينما كانت[٣] الحكومات الإسلامية منقسمة بداية، كان الرأي العام العربي والإسلامي ضد الغرب بشكل واضح منذ البداية، وبينما كان المثقفون العرب[٤]، يحتقرون نظام صدام ويشجبون وحشيته وسلطويته، ولكنه في رأيهم يمثل مركز المقاومة للعدو الأكبر للعالم العربي... الغرب.

وبالنسبة للمسلمين سرعان ما أصبحت الحرب حربًا بين حضارات، حرمة الإسلام مهددة فيها، الجماعات الإسلامية الأصولية في مصر، وسوريا، والأردن، وباكستان، وماليزيا، وأفغانستان، والسودان، وغيرها شجبتها كحرب ضد «الإسلام وحضارته» من مثل الصليبيين والصهاينة، أو أعلن (سفر الحوالي) عميد كلية أصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة في شريط انتشر في السعودية أن الحرب (ليست حربًا ضد العراق، إنها الحرب ضد الإسلام).

(١) المصدر (صامويل هنتجتون: صدام الحضارات - إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب تقديم د/ صلاح قنصوة . ط. سطور بالقاهرة ١٩٩٨ م صفحات ٣٣٨، ٣٥٢، ٣٥٩.

(٢، ٣) نفسه، ص ٣٥٢-٤٠١.

(٤) نفسه، ص ٤٠٢-٤٠٣.

وقد عنى هنتجتون **بالصحوة الإسلامية** عناية بالغة وعرَّفها بأنها الجهد الذي يبذله المسلمون لجعل الإسلام كمصدر للهوية والمعنى والاستقرار والشرعية والقوة والأمل(١) ... وهي حركة فكرية ثقافية اجتماعية سياسية عريضة منتشرة في معظم أنحاء العالم العربي(٢)، وهي أيضًا باتساعها وعمقها هي أحدث مرحلة في تكيف الحضارة الإسلامية مع الغرب، وسعي لإيجاد حل، ليس في الأيديولوجيات الغربية وإنما في الإسلام وهي تجسّد رفض الحداثة ورفض الثقافة الغربية والعودة إلى الالتزام بالإسلام كدليل حياة في العالم الحديث(٣).

وقد لاحظ مترجم كتاب (حوار الحضارات) وهو الأستاذ طلعت الشايب أن المؤلف بدأ كلمتيّ (الصحوة) و(الإسلامية) بحرفين كبيرين، فاستنتج بأن هنتجتون يشير بذلك إلى حدث تاريخي بالغ الأهمية يؤثر على خمس البشرية أو يزيد، وأنه لا يقل أهمية عن الثورة الأمريكية، أو الثورة الفرنسية، أو الثورة الروسية، وهو حدث يشبه أو يماثل الإصلاح البروتستانتي في المجتمع الأوروبي أيضًا(٤).

ولعلنا نُسهم بهذا الجهد المقل في إيقاظ الهمم والاستعداد لهذا الصراع المفروض علينا عاجلًا أو آجلًا ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٢١٦].

ذلك لأنه من دواعي العجب، أنه في الوقت الذي يعلن فيه هنتجتون بتبجح ظاهر عن الصراع المستمر والعميق - حسب وصفه - بين الإسلام والمسيحية، ويسجل بلا حرج أو خجل ١٧ عملية عسكرية موجّهة للعالم الإسلامي خلال خمسة عشرة سنة من ١٩٨٠م إلى ١٩٩٥م (ونضيف إليها بعدها غزو أفغانستان ثم العراق) ويعترف بواقعية أنه لم تحدث أي عمليات أمريكية من هذا النمط

(١، ٢، ٣) نفسه، ص ٤٠٤ - ١٨٠/ ١٨١.

(٤) نفسه، ص ١٨٠.

ضد أي شعب من حضارة أخرى، ويحرص على إثبات استمرار الصراع معلِّلًا إياه بتفوق الثقافة الإسلامية مقابل عالمية ثقافة الغرب، ويرى أن التمايز بين الثقافتين سيغذي الصراع بين الإسلام والغرب.

نقول: أمام هذه الاعترافات الصريحة، نعجب أشد العجب من سذاجة بعض علمائنا وقادتنا الذين يعقدون المؤتمرات تحت عنوان الحوار الثقافي من أجل (إشاعة ثقافة التسامح والتعايش بين الشعوب، وتطبيق مقتضيات القانون الدولي ... والعالم يتطلع إلى المزيد من التفعيل لمبادرة تحالف الحضارات ...إلخ)[1].

هذا، بينما تضرب إسرائيل بالقانون الدولي عرض الحائط، فتغير معالم مدينة القدس وتهدم منازل الفلسطينيين - السكان الأصليين - وتسعى إلى هدم المسجد الأقصى، وتصر أمريكا على تأييدها ومنع أي قرار يدينها باستخدام (الفيتو) بمجلس الأمن.

ونعجب، هل يصلح مع أولئك التسامح والتعايش؟!

إنهم لا يعرفون إلا لغة القوة، وقد أمرنا الله ﷻ بالأخذ بأسبابها لردع أعدائنا، فقال عز من قائل: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٦٠].

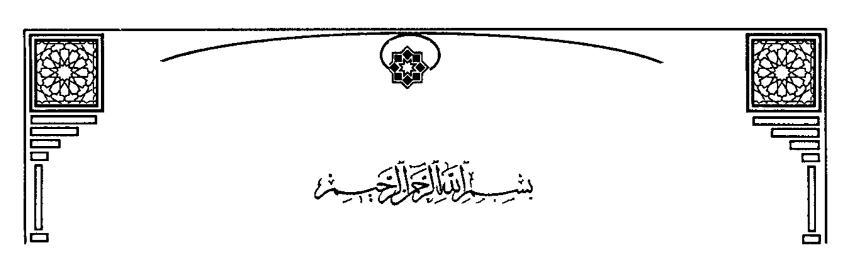
* * *

---

(١) مقال بعنوان (مرحلة جديدة من الحوار بين الثقافات) بقلم الأستاذ عبد العزيز التويجري ص ١٠ جريدة الحياة اللندنية ٢٧ محرم سنة ١٤٣٣ هـ/ ٢٣ ديسمبر ٢٠١١م.

وهو يقول بصراحة ضمن مقاله: (لا فائدة في الحوار، إذا لم يكن عملية تفاهمية، تبادلية تنتهي إلى التعاون من أجل تحقيق الأهداف المرتجاة، وإلا كان ترفًا فكريًا).

هذا، وقد عُقد أخيرًا بالدوحة مؤتمر موضوعه (حوار الثقافات من أجل التنمية).



[٢٣]

كيف ندير حركة الصراع مع الغرب

كيف ندير حركة الصراع مع الغرب، وهو يعلنها صراحة على ألسنة ساسته وزعمائه ومفكريه، وأشهرهم صامويل هانتجتون صاحب نظرية (صراع الحضارات) وقد أصبحت أكثر النظريات نقاشًا وجدالًا في الأوساط الأكاديمية(١).

إننا في حقيقة الأمر نتخذ موقف الدفاع، لأن مدلول (الصراع) يفترض التنازع بين جانبين متكافئين في القوى العسكرية والاقتصادية والعلمية ...إلخ.

فإذا درسنا كفتي الميزان بين الشرق والغرب في تلك القوانين وجدنا أن الكفة راجحة لصالح الغرب على طول الخط وهو حكم لا يحتاج إلى إثبات.

أما المواجهة فلنا فيها الغلبة لو عنينا بإظهار التفوق الثقافي، وعدنا أيضًا إلى الوحدة التي انفرطت عقب هدم الخلافة سنة ١٩٢٤ ورفعنا راية الجهاد التي كانت ركيزة انتصارات أمتنا طوال تاريخها.

أولاً: مجال الصراع الثقافي:

المجال الثقافي: وإذا كانت الأمم تتصارع في ميادين الحرب والتفوق في مجال العلوم فكذلك تتصارع في ميدان الثقافة (وهو يختلف عن صراعات الحرب والسياسة بأن الذي كان يخوض ميدان الحرب هنا هي الثقافات نفسها

(١) الشرق والغرب «صدام أم انسجام» تأليف رحيم زاده، ومهدي أميرون، ترجمة أنور إبراهيم ص ٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠١١ م.

... ولم يشعر الناس بأهمية ذلك الصراع الثقافي إلا في العصر الحديث، فأدخلت الدول الصراع الثقافي في منهاجها السياسية)[١].

وتقتضي المقاومة إيقاظ حضارة الإسلام من جديد إذ وصفها فيلسوف التاريخ البريطاني أرنولد توينبي بأنها (حضارة نائمة)، حقًّا لقد أصابها الوهن ولكنها لم تتحلل لأنها قائمة على أساس دين الإسلام.

وذكر الدكتور حسين مؤنس في تتبعه للحضارات، أن حضارات العالم الجديد من أمثال الأندية والأزتيك والمايا التي تلاشت تمامًا وذابت حضاراتها في كيان الحضارة الغربية، ثم يقول: (ونستثني من ذلك كلها حضارة الإسلام، لأن أساسها ليس عنصرًا بشريًّا يناله الضعف والبلى ولكن أساسها العقيدة وهي لا تزال تتعاقب على حمل رايتها الأجيال)[٢].

ثانيًا: في المجال السياسي (ضرورة الوحدة الإسلامية):

آن لنا في هذه الأوقات العصيبة حيث أعلنها الغرب علينا حربًا صليبية، العودة للشعار الذي رفعه السلطان عبد الحميد رحمه الله: (يا مسلمي العالم اتحدوا) وأراد بذلك أن يحمي الإسلام من الانهيار أمام التحدي الحضاري ومظاهر الحقد اليهودي والمخطط العالمي[٣].

إن وحدة العرب والمسلمين أصبحت ضرورة حتمية للمحافظة على كيان الأمة الإسلامية التي تعرضت للتجزئة والتفتيت بناء على مخطط أوصى به لويس التاسع أثناء الحروب الصليبية، وعاد فأكدّه (كامبل بترمان) رئيس الوزارة البريطانية (١٩٠٤م).

كانت وصية لويس التاسع - ذلك القائد الصليبي حينما هزم واندحر في دار

---

(١) د/ حسين مؤنس (الحضارة) ص ٥٧ عالم المعرفة (الكويت) ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

(٢) د/ حسين مؤنس (الحضارة) ص ٢٧٣.

(٣) عبد الفتاح عبد الحميد (يا مسلمي العالم اتحدوا) ص ١٨٥ دار الأنصار بالقاهرة يوليو ١٩٧٦م.

لقمان بالمنصورة (وهي الدعوة إلى الحيلولة بأي وسيلة دون وصول قائد صالح لأي دولة إسلامية مع العمل على تفتيت العالم الإسلامي واستغلال نصارى الشرق في إثارة النزاعات الطائفية)[١].

وفي العصر الحديث، جاء تقرير بترمان أن الخطر على الاستعمار يكمن في البحر المتوسط حيث يسكن في هذه المنطقة (شعب واحد تتوافر له من وحدة تاريخه ووحدة لغته وآماله كل مقومات التجمع والترابط، كما أنه إذا تكاملت لهذا الشعب كل هذه المقوّمات علاوة على ثرواته الطبيعية ونزعة أهله إلى التحرر، فإنه ستحل الضربة القاضية حتمًا بالإمبراطوريات الاستعمارية، ثم اقترح على أن تعمل الدول ذات المصالح المشتركة على استمرار وضع هذه المنطقة على ما هي عليه من التفكك وضرورة محاربة اتحاد هذه الجماهير بأي نوع من الارتباط الفكري أو الروحي أو التاريخي[٢].

وإذا توحدت الأمة الإسلامية، حينئذٍ فقط تصبح مؤهلة لمجابهة الصراع الحضاري - لا بالثقافة وحدها، بل بالقوة العسكرية التي تكفل لها الانتصار، بمشيئة الله تعالى.

ويعلم الغرب قوة العالم الإسلامي جيدًا ويرهبه، ولا يخشى على حضارته إلا حضارة الإسلام؛ لأنها الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك وقد فعلت ذلك مرتين... إحداهما في إسبانيا، والثانية: اندفاع العثمانيين فحاصروا فيينا سنة ١٦٨٣م[٣].

ولا نعجب بعد ذلك أن يقترح هنتجتون للحفاظ على الحضارة الغربية -

---

(١) عبد الفتاح أنور البطة، مقال بعنوان (حكامنا أوفياء لوصية لويس) جريدة الأهرام بتاريخ ٢٣ ذو الحجة سنة ١٤٣٢ هـ/ ١٩ نوفمبر ٢٠١١م.

(٢) إبراهيم خليل أحمد (إسرائيل فتنة الأجيال، العصور الحديثة) ص ٧٦/ ٧٧، مكتبة الوعي العربي بمصر المحرم سنة ١٣٩٠ هـ - مارس ١٩٧٠ م.

(٣) هنتجتون (صراع الحضارات) ص ٣٣٩.

ضمن اقتراحاته - أن (تكبح القوة العسكرية وغير التقليدية للدول الإسلامية والصينية ويرجح أن تنشأ أخطر الصراعات في المستقبل نتيجة تفاعل الغطرسة الغربية والتعصب الإسلامي والتوكيد الصيني)(١).

ثالثًا: استنفار الأمة تحت راية الجهاد:

لمواجهة الحرب الصليبية الصهيونية على أمتنا في العصر الحاضر، أصبح الجهاد - كما أفتى علماؤنا - فرض عين:

يقول الإمام الجويني: [فأما إذا وطئ الكفار ديار الإسلام، فقد اتفق حملة الشريعة قاطبة على أن يتعين على المسلمين أن يخفوا ويطيروا إلى مدافعتهم زرافات ووحدانا حتى انتهوا إلى أن العبيد ينسلون عن ربقة طاعة السادة ويبادرون الجهاد على الاستبداد].

والإمام الشاطبي يوسّع دائرة وجوب الجهاد على المرأة أيضًا، فقال: (على المرأة القادرة عليه أن تخرج بغير إذن زوجها) ويضيف أيضًا: الولد، فعليه أن يخرج بدون إذن والديه أو أحدهما إذا كان الآخر ميتًا.

أما الإمام المرتضى فقد أضاف وجوب الأعمى والمريض المدافعة عن ديار الإسلام حسب الإمكان، ويكون ذلك ببذل المال قدر الطاقة والمساهمة في الخدمات المدنية؛ لأنها حرب دفاعية يخوضونها لحماية الديار والأعراض والأموال(٢).

وكان الإمام الجويني ممَّن يرى أن الإمام (أي الحاكم) مكلَّف بحث الأغنياء لبذل فضلات الأموال ما يحصل به الكفاية والغناء فإن إقامة الجهاد فرض على العباد، ويكاد الجويني يجيز مصادرة الأموال الزائدة عند الضرورة لدفع هجمات الأعداء فيقول: (أخذ مال في غير استناد استحقاقه إلى مستند

---

(١) نفسه ص ٢٩٣.

(٢) الجويني (غياث الأمم في التياث الظلم) ص ٢١٦ دار الزاحم بالرياض/ ومؤسسة الريان بيروت ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م.

معروف مألوف).

وحجته في ذلك أن أموال الدنيا لو قوبلت بقطرة دم لم تعدلها ولم توازها... فإذا كانت الدماء تسيل، فالأموال في هذا المقام من المستحقرات.

يقول ابن تيمية: [وَالْأَمْرِ بِالْجِهَادِ، وَذِكْرِ فَضَائِلِهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ. وَلِهَذَا كَانَ أَفْضَلَ مَا تَطَوَّعَ بِهِ الْإِنْسَانُ، وَكَانَ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ أَفْضَلَ مِنْ الحج والعمرة، ومن صلاة التطوع، وصوم التَّطَوُّعِ. كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**رَأْسُ الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**»][١].

ولو عاش معنا شيخ الإسلام في عصرنا لأفتى أيضًا بأن الجهاد أصبح فرض عين كما سبقه إلى ذلك الإمام الجويني، فإن دول الغرب تكالبت علينا بشكل سافر لا يحتمل الشك، فبعد انتهاء الشيوعية، التقى المعسكران الشرقي والغربي ليتفرغ الاثنان لعدوٍّ جديد هو الإسلام ... وتعاطف الفاتيكان مع اليهود فأصدر الوثيقة المشهورة لتبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام وكأنهم جميعًا أدركوا أن الإسلام هو أكبر قوة تعبدية في المنطقة فقرروا ضربه..[٢].

ويبدو أن الهجمة الصليبية هذه المرة ستُنفَّذ بأيدٍ إسرائيلية وتجهيز غربي.

[ريتشاردوست يكتب في «الاسبتكاتور» اللندنية يقول: إن الخطر الشيوعي قد اختفى ليظهر خطر جديد يهدد الحضارة الغربية هو الإسلام والأصولية الإسلامية...][٣] يكتبها بصراحة!!.

ولم يعد أمامنا إلا رفع راية الجهاد، والاستعداد الجاد لصد هذا الخطر، وبخاصة إن الحرب الصليبية المعلنة آخذة في اتساع رقعتها، فبعد غزو

(١) ابن تيمية (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) ص ١٠٩ ضبط وتعليق وتخريج محمد خالد العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م.

(٢) د/ مصطفى محمود (قراءة للمستقبل) ص ١٢/ ١٣ كتاب (أخبار اليوم) سنة ١٩٩١م.

(٣) نفسه ص ١٥.

أفغانستان، تلاه حرب العراق ... والبقية تأتي.

يقول الدكتور مصطفى محمود رحمه الله تعالى: (وأضمن أسلوب لتجنب الحرب هو بناء القوة العربية الذاتية (والأوْلى الإسلامية أيضًا) والقوة المصرية الخاصة لتردع أي خصم يفكر في العدوان...ولتجعل ثمن الحرب باهظًا بالنسبة لأي طرف يخاطر بها...ولنجعل الحرب وإن قامت محدودة الخسائر)[1].

والشاهد الماثل أمامنا في هذه الأيام هو التهديدات المتكررة لإيران بالحرب، ولكنها لم تتخط الإعلام والتصريحات، لأنهم يخشون الرد الموجع الذي سيسبب لهم آثارًا كارثية.

وشهد التاريخ أن مصر كان لها الدور القيادي للأمة الإسلامية، وهي التي دافعت عنها وصدت ببسالة الحروب الصليبية وغزوات التتار المدمرة، ويبدو أن من قدرها أيضًا التصدِّي للحروب الصليبية الصهيونية المعاصرة، وجاءت التباشير بثورة ٢٥ يناير التي من مهامها إعادة الدور الريادي لمصر، وسيقع على عاتقها القيام بالدور الرئيس في إدارة حركة الصراع مع الغرب.

إن أمام ثورة ٢٥ يناير عدة مهام ضخمة، ولكنها بمشيئة الله تعالى لن تستعصي أمام الهمم العالية للشباب وطموحاتهم وآمالهم في نهضة أمتهم لتحتل مكانتها اللائقة بين الأمم، بل لكي تفوقها لما تتميز به من مقومات حضارية لا مثيل لها، والعمل بخاصة على استئناف دور مصر القيادي للعالمين العربي والإسلامي، وهو أمر ليس بالجديد على شعب مصر الذي أثبت جدارته لهذا الدور أثناء الحروب الصليبية.

يقول الدكتور جمال حمدان:

(لقد كانت القاعدة البشرية والجغرافية الاستراتيجية، تؤكد وجودها وتفرض ثقلها ومغناطيسيتها وتشع جاذبيتها بصرف النظر عن القشرة الحاكمة

---

(١) نفسه ص ١٣.

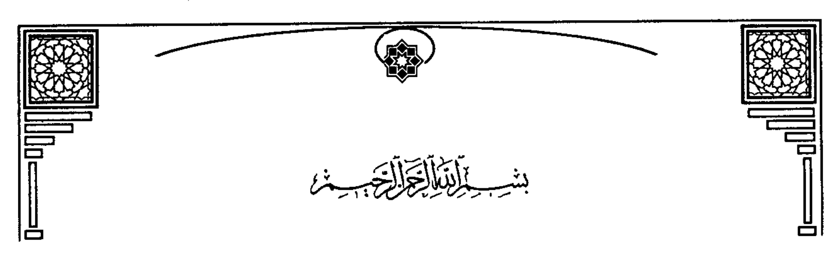
أو القيادة العابرة التي قد تذهب وتجيء من الخارج أو الداخل)[١].

ولا يفوتنا التوصية بالقاعدة الذهبية القائلة (بأن النصر مع الصبر) والبرهان العملي القريب واقعة الإفراج عن الأسرى الفلسطينيين مقابل الأسير الإسرائيلي، والحق ما اعترف به العدو ففي ١٩/ ١٠ كتب أمير أورن في صحيفة (هاآرتس) أنه في الميزان التاريخي حققت حركة المقاومة الإسلامية انتصارًا كبيرًا. فقد أقدمت خطوة وصمدت فيها وأخضعت إسرائيل بما ثبت أن الصبر مجد. وأن الزمن العربي ينتصر على الزمن الغربي وأنه في ضوء طول النفس لا يوجد معنى للتفوق العسكري والتكنولوجي. وإزاء ذلك فثمة احتمال أن تختفي إسرائيل ذاتها بعد مرور عقود من الزمن[٢].

* * *

(١) د/ جمال حمدان (شخصية مصر - دراسة في عبقرية المكان - ص ١١٢ كتاب الهلال بمصر العدد ١٩٦ ربيع الأول سنة ١٣٨٧ هـ - يوليو سنة ١٩٦٧ م.

(٢) فهمي هويدي مقال بعنوان (بعض المستور في إطلاق سراح الأسرى) الشروق في ٢٧ ذو القعدة سنة ١٤٣٢ هـ - ٢٥/ ١٠/ ٢٠١١م.



[٢٤]

كيفية تحصين الهوية الإسلامية إزاء حملات التغريب وأزمات العصر

طال الحديث عن حملات التغريب - أو الغزو الفكري - ولكننا نلخصه هنا من حيث آثاره في الإنسان من جهتين:

١- ما يطلق عليه (غسيل المخ) **وهو حسب تعريف الدكتور نجيب محمود أن:**

«يتحكم من أراد أن يتحكم في تفريغ مخ الإنسان من محتواه ... لتعبئته بمحتوى آخر، وفي تشكيل سلوكه بعبارات جديدة غير عاداته السابقة»(١) وكان يحدث ذلك لأسرى الحرب وهو ما يحدث شيء منه بطريق الدعاية ووسائل الإعلام.

٢- شحن الإنسان بالشحنة الفكرية والسلوكية:

وما نقصده بالعصر: الحضارة التي تسوده - فإنه عصر متغرب، كذلك ما يتعاقب فيه من وقائع وأحداث سلمًا وحربًا، وما تنتجه قرائح علمائه وفلاسفته من مذاهب ونظريات في ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية والأخلاق والآداب والفنون وما تظهر فيه الاكتشافات المتوالية في مجالات الطب والزراعة والصناعات وعلوم الفضاء، وكذلك آثار علاقات الدول ومنافساتها وحروبها، وما أصاب الأمة الإسلامية من محن وكوارث وأزمات،

---

(١) د/ زكي نجيب محمود (عن الحرية أتحدث) دار الشروق سنة ١٩٨٦م.

وتداعيات. ذلك كله على المسلم المعاصر، فإن «الأزمة التي تأخذ بخناق العالم الإسلامي والعربي بجوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية والاجتماعية جعلت الناس أكثر اتجاهًا لدينهم يستلهمونه الحلول»[١].

وفي ظل التقدم المتواصل في وسائل الاتصال اليوم، أصبحت اليد الطولى في عصرنا للأعلى صوتًا، لا للأقوى حجة، بفعل أجهزة الإعلام الجبارة التي لم يعرف لها العالم مثيلًا من قبل، وأصبح في قدرة من يملكها فرض ثقافته على الآخرين في ظل ما يسمى بـ(العولمة). ويصف الكاتب الفرنسي لاتوش ما يسميه بـ(العولمة المباشرة) بأنها تتجاوز (النزعة القومية)، ويصفها بأنها (تشكل التدفقات الإعلامية بواسطة الأقمار الصناعية للاتصالات البعيدة وتقنية معالجة المعلومات بالكمبيوتر تشكل رغبات وحاجات وأشكال سلوك وعقليات ونظم تعليم وأنماط حياة المتقبلين، وينتج عنها -وهذا ما يعنينا هنا ببحثنا- «فقدان الهوية الثقافية المؤكد، كما يسهم في زعزعة الهوية القومية سياسيًا واقتصاديًا، وحتى ما يتبقى من الإبداعية القومية، يجد نفسه في حالة تبعية إزاء ثقافة أجنبية».

ويأتي وصف جاك إلول لهذا الواقع أكثر صراحة وصدقًا: فيقول: «بفضل أروع وسائل النشر الممكنة، يجري اليوم نشر ثقافة يمكن القول عنها في أفضل الأحوال أنها غياب للثقافة، وتم إنتاجها عشوائيًا»[٢].

ويؤكد ذلك أيضًا الدكتور - مراد هوفمان: «فقد ربح الغرب سباق الإعلام من زمان، ليعرض أفكاره على المسلمين بالجملة، ويتحكم في حياتهم كالطاعون»[٣].

---

(١) د/ حتحوت (مقدمة كتاب «فكر المسلم المعاصر، ما الذي يشغله» مطابع الأهرام سنة ١٩٩٢م.

(٢) سيرج لاتوش (تغريب العالم) ترجمة خليل طلعت دار العالم الثالث بالتعاون مع البعثة الفرنسية للأبحاث قسم الترجمة بالقاهرة سنة ١٩٨٣م.

(٣) د/ مراد هوفمان (الإسلام عام ٢٠٠٠).

وهل نشك بعد هذا التحليل الواقعي الصريح الذي نلمس آثاره ليل نهار، هل نشك بأن الغزو الثقافي هو فعلًا - كما وصفه د. حامد ربيع - حرب فكرية؟

ولكن. ماذا أعددنا لها؟ وماذا فعلنا لكي نجعل المسلم المعاصر يصمد في هذه الحرب؟ يقول الدكتور حامد ربيع: «وككل صراع، فإن المقاومة تفترض من جانب التقوية الذاتية؛ لأنه طالما أن الجسد المصارع ضعيف، فإن أي صدمة من الخارج قادرة على أن تنال منه، ومن جانب آخر، علينا أن نتذكر أن **خير وسيلة للدفاع هي البدء بالهجوم**»[(١)].

إن أول أسلحة الصمود - أو الذاتية - بناء على الآيات والأحاديث التي تكاد تفوق الحصر - هي الاستمساك بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ.

أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: «**أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»[(٢)].

ونعود إلى اقتراح الدكتور حامد ربيع (خير وسيلة للدفاع هي البدء بالهجوم) فإنه لا يقصد الهجوم العسكري في ساحات القتال قطعًا، ولكنه - في هذا المجال الثقافي- تأكيد الثقة في النفس حتى تتحول من حالة (القابلية للاستعمار) التي حذَّر منها الأستاذ / مالك بن نبي، إلى حالة إيجابية - وكأنها تأخذ المبادرة بالهجوم وذلكم بمعرفة أوجه النقص في هذه الحضارة وأزماتها - هذا هو السلاح الأول.

أما السلاح الثاني فإنه بمقدورنا - لو فهمنا تراثنا حق الفهم - أن نؤدي دورنا كما يرى د. زكي نجيب محمود- في بناء الحضارة المعاصرة:

(١) د/ حامد ربيع (الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني وإدارة التكامل القومي) ص ٣٢ دار الموقف العربي بالقاهرة.

(٢) نقلًا عن (الاعتصام) للإمام الشاطبي ج ١ ص ٦٨ تحقيق الشيخ / رشيد رضا دار المعرفة بيروت ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

١ - وأول الأسلحة الهجومية في تلك المعركة الثقافية هي معرفة الوجه الآخر للحضارة المعاصرة، أي: الأزمات الخانقة التي تعانيها بشهادة علمائها وفلاسفتها الحريصين على بقائها، فقد جمعت د/ أدريين كوخ - أستاذة التاريخ بجامعة كاليفورنيا آراء بعضهم في كتابها بعنوان (**آراء فلسفية في أزمة العصر**)، وسجلت انزعاجها الشديد بالمقدمة، فكتبت (هذا القرن الفظيع: من ذا الذي يتدبر مسيره وتاريخه ولا يحكم عليه بالفظاعة؟! ومن ذا الذي ينكر أن الثقة التي كانت تملأ نفوسًا عن مطلعه قد زالت من النفوس؟)، ثم تستطرد في كلام طويل منتهية إلى وصف الأزمة بأنها أعمق وأوسع انتشارًا من أية أزمة أخرى عرفها تاريخ الإنسان، لأنها أزمة الوجود البشرية ذاته»[1].

وقد أجاد هايدجر عميد فلاسفة القرن العشرين - في وصف حال هذا العصر «بأنه عصر يبدو كقصر شامخ في منظر كئيب. سادته يعانون من الأرق والملل والقلق، وخدامه يقاسون من المرض والجهل والجوع»[2].

٢- دورنا في الإسهام في بناء حضارة العصر:

قبل الحديث عن الإسهام في حضارة العصر، سنمهد بكلمة عن العصر وعلاقتنا به عند الدكتور زكي نجيب محمود. إذ يرى أن (العصر) ليس شيئًا محددًا، وإنما هو خضم من الأحداث والكائنات. وإذا ما تساءلنا: ما هي ثقافة العصر التي نواجهها أو لا نواجهها؟

بإجابته على السؤال يضرب مثالًا لحديث ضخم كإطلاق الصواريخ التي تغزو الفضاء، ولكن الضجة التي يُحدثها تكاد لا تكون جزءًا من ثقافة عصرنا نحن، ثم يستطرد قائلًا: «لكن قارن ذلك بحدث آخر، هو إقحام إسرائيل على

---

(١) أدريين كوخ (آراء فلسفية في أزمة العصر) ص ١٥ ترجمة محمود محمود مكتبة الأنجلو المصرية سبتمبر سنة ١٩٦٣م.

(٢) ص ٥٥ بكتاب (د. رشدي فكار في حوار متواصل حول: مشاكل العصر) إعداد خميس البكري مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م.

أرضنا، وانظر بأي معنى وإلى أي مدى قد دخل هذا الجانب من الاستعمار الذي هو من علامات العصر في دنيانا الثقافية، بحيث لم يعد منا واحد يستطيع أن يغض عنه النظر»[١].

وبعد هذا التمهيد، حدد نقطة البداية بين العالم العربي الحديث وحضارة العصر «بمجيء هذه الحضارة غازية غالبة متسلطة»[٢].

وتحت عنوان (موقف العرب من المذاهب الفلسفية المعاصرة) يطوف بنا فيلسوفنا الأديب باتجاهات الفلسفة ليسوقنا إلى نتيجتين هما «أن الفكر وعمليات التغيير وجهان لشيء واحد»[٣].

«وهو الدرس الذي نتعلمه من مذاهب الفلسفة المعاصرة جميعًا، وذلك وحده جواز المرور الذي لا يمكنك الدخول في أجواء هذا العصر إلا به» [٤].

ويقرر في نهاية البحث أن هذا الذي يتطلبه منا العصر هو نفسه الذي ورثناه من مبادئ تراثنا الفكري «إن القرآن الكريم كلما وجّه الخطاب إلى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أضاف إلى ذلك قوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ كأن الإيمان لا يكون إيمانًا كاملًا إلا إذا اقترن بالعمل الصالح»[٥].

لذلك يشترط لكي تجدي المبادئ، أن تربط القول بالعمل، وعندئذٍ «ننخرط في تيار عصرنا، وفي الوقت نفسه نلتزم ميراثًا كريمًا ورثناه»[٦].

أما عن سلبيات العصر ومساوئه، فإنه «بشهادة رجال الفكر أجمعين – إنه عصر أدى بشبابه إلى حالة من التمزق والتفسخ والضياع»[٧].

فما هو دورنا إزاء أزمة العصر؟

يقرر الدكتور / زكي نجيب محمود: أولًا أن أهم ما يميز عقيدة المسلم هي عقيدة التوحيد التي ينبني عليها ما يسميه (البناء المتسق) في القيم فيضمن للإنسان ألا يتمزق سلوكه وأن ننقذ أنفسنا من نقائض عصرنا، ثم يمضي قائلًا:

(١ – ٧) د/ زكي نجيب محمود (ثقافتنا في مواجهة العصر).

«فلو استطعنا نحن أن نقدم للعالم مجموعة متسقة الأجزاء من القيم الهادية للإنسان على طريق الحياة، كان هذا دورنا في بناء الحضارة المعاصرة»(١).

وعندما استمع في اجتماع رسمي لقول مسؤول كبير «علينا تحفيظ شبابنا القرآن الكريم ليقوّموا تلك الحضارة» عارضه مصححا رأيه، فالأصوب «أن يقول إن علينا أن نزيد من تحفيظ شبابنا القرآن ليستطيعوا المشاركة في حضارة عصرهم»(٢).

ضرورة ثبات المسلم المعاصر على عقائده ومبادئه:

إن المسلم المعاصر لا يختلف عن المسلم طوال العصور، أي: منذ عصر النبي ﷺ إذ إنه يتسلح بالعقيدة الإيمانية والقيم الخلقية، ويظل مستمسكًا بالكتاب والسنة ويتزوّد بالمعرفة والعلوم النافعة لعمارة الأرض، ويمضي في حياته الدنيوية قدمًا بين أمر يأتمر به ونهي ينتهي عنه، وقدر يصبر عليه ملتزمًا بشريعة ربه ﷻ، آملًا في رضوانه وجنته في الآخرة.

وعندما نتكلم عن المسلم المعاصر، لا نغفل هذه الحقيقة، حتى لا يظن الظان أن هذا العصر يعطي صفة أخرى للمسلم لم تكن لغيره فيما سبق من عصور، أو تدفعه ليجعل الهيمنة لمذاهب العصر فيخضع لها على حساب دينه «كأن يحلل حرامًا أو يحرم حلالًا تحت شعار العصرية».

تقول الكاتبة الأمريكية المسلمة (مريم جميلة):

«إن البلاد المسلمة قد وقعت فريسة مصطلحات خاطئة، ومنها مصطلح (العصرية) وقد جنى هذا المصطلح على الإسلام جناية كبرى»(٣).

وقد لاحظنا من دراسة بعض آراء المهتدين للإسلام من الغربيين - أمثال

(١) د/ زكي نجيب محمود (ثقافتنا في مواجهة العصر).

(٢) عن الحرية أتحدث ص ٨٧ دار الشروق سنة ١٩٨٦م.

(٣) نقلًا عن أنور الجندي (مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام) ص ١١٣ مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م.

محمد أسد ومريم جميلة ومراد هوفمان - تحذيرنا الشديد من اللهث وراء الأفكار الوافدة بحجة ملاحقة العصر بعد أن عرفوها قبلنا.

وها هو د. مراد هوفمان يضع النقاط على الحروف، ويفصل ما أجملته مريم جميلة، يقول د. مراد هوفمان:

«ومن البديهي بعد ذلك أن يكون المخطط الإسلامي لفلسفة الحياة والذي يفرض نفسه بديلًا، قادمًا من بيئة مخالفة، مواجهة حقيقة تصدم الفلسفة العصرية الغربية، وجهلها بالقيم، وإباحيتها المطلقة لكل شيء حسب التعبير الأمريكي «لا شيء ممنوع» هذه المدنية العصرية الغربية تصطدم بالمخطط الإسلامي المضاد الجاد، الذي يراه البعض عتيقًا باليًا، لا لشيء سوى قيام صرحه واستمراره، غير مرتبط بعنصر الزمان، بمعنى صلاحيته لكل العصور»[1].

وكان الدكتور زكي نجيب محمود حريصًا أيضًا على الاستمساك بالثوابت، كالعقيدة واللغة والقيم الأخلاقية، فإنه في تحليله لمواقف الأمة من الأفكار الأساسية التي صنعت مناخ الحياة في أوروبا وأمريكا، لاحظ أن هناك فئة رافضة لتلك الأفكار. وأخرى تتلقى تلك الأفكار وكأنها وحي من السماء، ثم يصوب موقف الفئة الثالثة وهي التي تهتدي بفطرتها إلى جادة الطريق، فتتلقى أفكار العصر لتعجنها عجنًا مع أصولنا التي أسميناها فيما أسلفنا بالثوابت، كالعقيدة، واللغة، والقيم الأخلاقية التي تفرض على حاملها ألا يضحي بإنسانية الإنسان لأي سبب من الأسباب»[2].

كذلك على المسلم المعاصر ألا يهتز أمام حملات التشكيك في أنظمة

---

(١) د/ مراد هوفمان (الإسلام كبديل) ص ٢٠٦ ترجمة د/ غريب محمد غريب، مجلة النور الكويتية ومؤسسة بافاريا شوال ١٤١٣ هـ/ أبريل سنة ١٩٩٣م.

(٢) د/ زكي نجيب محمود (عن الحرية أتحدث) ص ٣٢١..

الإسلام وتشريعاته بالموازنة بنظم أوروبا.

ولا تأتي هذه التوصية على لسان أحد مسلمي الشرق، بل على لسان مسلم غربي تشبع بثقافة أوروبا وعاش في ظل أنظمتها (ولا يُنبئك مثل خبير).

يقول د. هوفمان: «يجب ألا يتلجلج المسلمون أمام مسائل مثل الديمقراطية الجمهورية، فصل السلطات، فعليهم أن يؤكدوا لمن يتحداهم عدم وجود ما يخالف الإسلام أو يعاديه في ذلك»[١].

نستخلص إذن من الآراء السابقة أنه بوسع المسلم المعاصر الحياة في ظل حضارة مغايرة لحضارته، دون التضحية بهويته وثقافته الإسلامية.

وقد تحققت أفضل الأمثلة في العصر الحديث بواسطة المسلمين الذين ابتلوا بحكم الاتحاد السوفيتي، وخضعوا لأشد أنواع (غسيل المخ)، إذ تتضاءل بجوارها آثار التعليم العلماني الذي طبقته دول الاستعمار الغربي أمثال إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وهولندا وغيرها من مستعمراتها وفرضته على المسلمين فرضًا.

ويتطلب شرح هذه التجربة للإفادة منها وضمان استمراريتها، أن نعرض بإيجاز لموضوع (الثقافة والحضارة) ومدى التمايز بينهما:

الثقافة والحضارة:

ولكي نتجنب الاستغراق في التعريفات النظرية بين الثقافة والحضارة، والتمييز بينهما، نفضل اختيار دراسة الرئيس علي عزت بيجوفيتش لأنه لم يكتف بالتعريفات، بل تتبع الجذور التاريخية وشرح المفردات اللغوية، فدلنا على السلوك العلمي الذي اجتاز طريقه هو نفسه؛ لأنه عانى واقعيًا بشدة بسبب استمساكه بثقافته الإسلامية أمام جيوش الإلحاد، فكيف استطاع الحياة في ظل حضارة مضادة لثقافته؟

---

(١) د/ مراد هوفمان (الإسلام عام ٢٠٠٠) ترجمة عادل المعلم مكتبة الشروق نوفمبر سنة ١٩٩٥م.

وقد قدم بحثه المبتكر - دون أن يدري - لمسلمي العصر لحثهم على الصبر والمثابرة مهما اشتدت المحن، فمهما كانت المحن، فإن الإسلام «أخذ اسمه من قوانينه ونظامه ومحرماته ومجاهدة النفس والبدن التي يطالب الإنسان بها، وأيضًا من قوة النفس في مواجهة محن الزمان»(١).

فمن رأيه أن الثقافة وثيقة الصلة بالدين، وتبدأ بالتمهيد السماوي، ولا بد في الدين من عبادة، وهي لصيقة بالروح - أي: الإنسان من الداخل.

أما الحضارة فتتصل بالأدوات وتطورها، وهو تطور خارجي كمي.

وبتحليله اللغوي للفظين يذكر أن كلمة ثقافة (Culture) تتصل من ناحية الأصل اللغوي بكلمة (Cult) أي: عبادة، وهي باللاتينية (Cultus)، وهما ذو أصل مشترك من الكلمة الهند أوروبية (Kwel).

أما كلمة حضارة (Civilization) فمتصلة بكلمة وطن (Civis) أو موطن.

وبعد هذه التعريفات يشرح الرئيس علي عزت بيجوفيتش آثارها على حياة الإنسان بنوعيها - حسب تعبيره - البرانية والجوانية، ليصل إلى بيان الاختلاف البيِّن بين حضارة العصر وحكمة الإسلام؛ لأن الحضارة بشعار «انتج لتربح، واربح لتبدد» تغري بالحياة البرّانية على حساب الحياة الجوانية. أما الثقافة (وفقًا لطبيعتها الدينية) فتميل إلى التقليل من احتياجات الإنسان، أو الحد من درجة إشباعها.

ثم يميز بين الحضارة المعاصرة التي ترفع شعار «اطلق رغبات جديدة دائمًا وأبدًا»، وحكمة الإسلام في «كبح الرغبات»(٢).

---

(١) الرئيس علي بيجوفيتش (الإسلام بين الشرق والغرب) ص ٢٩٦ ترجمة محمد يوسف عدس،مؤسسة بافاريا ومجلة النور الكويتية رجب ١٤١٤ هـ-١٩٩٤ م.

(٢) نفسه ص ٥٦-٩٤.

لذلك استطاع الرئيس علي عزت بيجوفيتش ممارسة حياته في ظل مناخ إلحادي ولم يهتز، بل ظل مستمسكًا بثقافته الإسلامية، فكانت كسفينة النجاة في بحر الإلحاد المتلاطم، وكان كالرّبان الماهر الماسك بشراعه بقوة، مكافحًا تلاطم الأمواج ومقاومًا شدة الرياح.

وبالرغم من آرائه النقدية العنيفة لهذه الحضارة فلسفيًّا وعلميًّا ودينيًّا بكتابه الجامع (الإسلام بين الشرق والغرب) فإنه لم يرفضها، وطالب فقط بتحطيم الأسطورة التي تحيط بها.

«هذا النقد للحضارة ليس دعوة لرفضها، فالحضارة لا يمكن رفضها حتى لو رغبنا نحن في ذلك، إنما الشيء الوحيد الضروري والممكن هو أن نحطم الأسطورة التي تحيط بها، فإن تحطيم هذه الأسطورة سيؤدي إلى مزيد من أنسنة هذا العالم، وهي مهمة تنتمي بطبيعتها إلى الثقافة»[1].

رابعًا: التثقيف الذاتي للمسلم المعاصر:

إن أول سؤال يطرأ على الذهن حول الحديث عن واجب المسلم المعاصر في التثقيف الذاتي هو:

هل يصح له الاطلاع المباشر على أصول الإسلام - الكتاب والسنة - ثم كتب الفقه والحديث ليتزود بالعلوم الشرعية ويستنتج الأحكام الفقهية، أم أن الأمر قاصر على العلماء المتخصصين؟

كانت المسألة محل نقاش بين العلماء، فرأى البعض أنه من (اختصاص الجماعة التشريعية في الأمة المكونة من العدول ذوي البصيرة النافذة بأحكام الشريعة ومصالح الدنيا) لذلك فلا يصح لغيرهم استنباط الأحكام من مصادر الإسلام.

ولكن الدكتور / محمد عبد الله دراز يوسع دائرة الإباحة باعتبار أن هناك

---

(١) نفسه ص ١٣٣.

فائدة في دراسة موضوعات الأصول لغير المجتهد: «فإنا وإن لم نصل إلى مرتبة الاجتهاد والقدرة على الاستنباط فإنا نصل إلى معرفة مقاصد الشرع وسر أحكام الشريعة، وإنه لهدى تسكن إليه النفس، وإنه لنور يشرق في نواحي القلب المؤمن ويدفع عنه الحيرة ويطرد ما يلم به من خواطر»[1].

ونحن نرجح الرأي الثاني:

ففي زمن انتشر فيه العلم وكثر العلماء، وفاضت المكتبة الإسلامية بذخائر التراث، وتنافس العلماء في التأليف في شتى الموضوعات التي تفي باحتياجات المسلم في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق[2]، فقد تم أصبحت الأحوال مهيأة لكي يكتسب المسلم المعاصر ثقافته الإسلامية من مصادرها، ورائده في ذلك كلمة التقوى والإخلاص في تحري الحق لا سيما أن الإسلام يحض على العلم والتعلم.

إن تقدير الإسلام للعلم والعلماء أمر لا ينازع فيه أحد، فإذا (كان التعليم حقًّا لكل إنسان كما يقول الميثاق العالمي وهو هدف مثالي عال فإن التعليم في الإسلام ليس مجرد حق، بل هو فريضة (طلب العلم فريضة على كل مسلم) - البيهقي - أي: ومسلمة.

وفي ذلك أيضًا يقول رسول الله ﷺ: «**ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة**» رواه مسلم. فالتعليم في الإسلام مرتبط بالدين بينما هو منفصل عنه في المناهج الغربية، وفيما رواه البخاري قال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين وإنما العلم بالتعلم**».

---

(١) من كتاب (فقه الأولويات في الإسلام) د/ مجدي الهلال ص ١٠/ ١١ والرأي الأول للأستاذ عبد الوهاب خلاف والرأي الثاني للدكتور / عبد الله دراز دار التوزيع والنشر الإسلامي بالقاهرة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

(٢) على سبيل المثال (علم نفسك الإسلام) للدكتور نبيل عبد السلام هارون دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

والفقه هو العلم بدقائق الأمور والتعلم هو أثر العلم في الإنسان وتكوينه لا مجرد حفظ المعارف)[١].

كذلك نستند في ترجيح إباحة التثقيف الذاتي للمسلم المعاصر إلى الضرورة: «فنحن الآن في ظروف طارئة لم تمر بها الأمة الإسلامية من قبل، فلا يكاد التاريخ يذكر أن المسلمين ظلوا بلا خلافة ولا رمز يرفع راية الإسلام ويدافع عنه وعن أبنائه إلا في هذا العصر الذي نعيش فيه، هذه الظروف الطارئة تستوجب من كل منا أن يتزود -بعد تقوى الله - بالعلم الشرعي الذي يوسع آفاقه ومداركه، ويعينه على استيعاب الظروف المحيطة به في ظل ضوابط الشرع»[٢].

المسلم في ظل ذلك كله مخير بين الاكتفاء بالفروض أو تنمية الإيمان بالطاعات وفعل الخيرات:

فعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال:

جاء رجل من أهل نجد إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس، نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**».

فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا إلا أن تطوع**».

قال رسول الله ﷺ: «**وصيام رمضان**».

قال هل عليَّ غيره؟ قال: «**لا إلا أن تطوع**».

قال: وذكر له رسول الله ﷺ سيم الزكاة.

قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا إلا أن تطوع**».

---

(١) ص ٨٥ من كتاب (الإعلان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان ومقارنته بالإعلان العالمي لهيمنة الأمم المتحدة) للأستاذ عبد الحفيظ نصار دار الهدى - ميامي إسكندرية سنة ١٩٩٧م.

(٢) فقه الأوليات ص ٧.

قال: فأدبر الرجل وهو يقول: «والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ: «**أفلح إن صدق**». رواه البخاري ومسلم.

ومن النظر إلى تفاضل الأعمال وتعدد شُعَب الإيمان: يقول الدكتور / عبد الكريم زيدان: تحت عنوان (أي الأعمال أفضل)؟

«لا شك في تفاضل الأعمال الصالحة من حيث الأجر والثواب ومن حيث درجة طلب الشرع لها، فالفرض أفضل من المندوب، وما عظم نفعه للجماعة أفضل مما اقتصر نفعه على فاعله، والقاعدة في أفضل الأعمال الصالحة بالنسبة لشخص ما هو العمل المطلوب منه شرعًا في وقت معين وظرف معين، فالصلاة حين حلول وقتها أفضل من غيرها وأوجب على المسلم أن ينشغل بها، والجهاد في وقته أفضل بالنسبة لمن وجب عليه من القيام بنوافل العبادات وطلب العلم، والصيام في وقته أفضل بالنسبة لمن وجب عليه من الانشغال بغيره من العبادات وهكذا»[1].

كذلك تتفاوت المحرمات، فعلى رأسها السبع الموبقات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟

قال ﷺ: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**».

رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

والمسلم قبل ذلك وبعده مسؤول أمام الله عز وجل:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن علمه ماذا عمِلَ به؟ وعن ماله من**

---

(١) د/ عبد الكريم زيدان (أصول الدعوة) ص ١٤١، ١٤٢ مكتبة المنار الإسلامية ببغداد ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وعن جسمه فيما أبلاه؟».

رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

ثقافة المرأة المسلمة المعاصرة:

إننا لم نضع هذا البحث في النهاية تهوينًا لشأن المرأة المسلمة ولا تقليلًا من مكانتها، فإنها - كما هو معلوم طبقًا لشريعة الإسلام - على قدم المساواة فيما أوردناه في تحمل المسؤوليات والتكاليف الشرعية.

وقد وجَّه القرآن الكريم الخطاب للرجل والمرأة معًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ **[الحجرات: ١٣]**.

وقد توخينا ذلك فقط للاختصار وتفادينا التكرار فإن كل ما عرضناه في هذه الدراسة ينسحب على المرأة المسلمة أيضًا. مع تنوّع مسؤوليات كل منهما. ولا ننسى أن «**النساء شقائق الرجال**».

وكيف نغفل عن مكانتهن وهن الأمهات والزوجات والأخوات والبنات والعمّات والخالات والجدات؟!

لقد قمن بأدوارهن خير قيام طوال تاريخ حضارتنا منذ الصحابيات الجليلات ومن أتى بعدهن، حيث ربَّيْنَ القادة وأبطال الجهاد والعلماء والأمراء والفقهاء، ومنهن من أسهمن في الحياة الثقافية الإسلامية، في الفقه والأدب واللغة والتصوُّف والشعر، وربما لم تسجل صفحات التاريخ أسماءهن كلهن، ولكنهن وقفن جميعًا وراء الستار بعيدًا عن الأضواء وحب الشهرة والمجد واكتفين بالجزاء الأوفى من الله ﷻ.

وقد وردت آية جامعة في سورة الأحزاب، اقترن فيها المسلمون والمسلمات في جميع أحوالهم وأعمالهم قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ

وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

وقد أورد النيسابوري في تفسيره لهذه الآية، أنه «يروى أن أم سلمة أو كل أزواج النبي ﷺ قلن يا رسول الله: ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء فنحن نخاف أن لا يقبل منا طاعة فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ وذكر لهن عشر مراتب:

الأولى: التسليم والانقياد لأمر الله.

والثانية: الإيمان بكل ما يجب أن يصدق به، فإن المكلف يقول أولًا كل ما يقول الشارع فأنا أقبله فهذا الإسلام، فإذا قال له شيئًا وقبله صدق مقالته وصحح اعتقاده، ثم إن اعتقاده يدعوه إلى الفعل الحسن والعمل الصالح فيقنت ويعبد وهو المرتبة الثالثة، ثم إذا آمن وعمل صالحًا كعمل غيره يأمر بالمعروف وينصح أخاه فيصدق في كلامه عند النصيحة، وهو المراد بقوله: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾.

ثم إن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يصيبه أذى فيصبر عليه كما قال في قصة لقمان: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾ أي: بسببه، ثم إنه إذا كمل في نفسه وكمل غيره قد يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فمنعه منه بقوله: ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ ﴾ وفيه إشارة إلى الصلاة؛ لأن الخشوع من لوازمها ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٢] فلذلك أردفها بالصدقة، ثم الصيام المانع من شهوة البطن... ثم ختم الأوصاف بقوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ يعني أنهم في جميع الأحوال يذكرون الله ...»[1].

---

(١) (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للنيسابوري تحقيق وتعليق د/ حمزة النشرتي، والشيخ عبد الحفيظ فرغلي، ود/ عبد الحميد مصطفى توزيع الأهرام ١٩٩٣م.

أما عن اللغط الدائر حول مكانة المرأة في الإسلام فإننا نأتي بخلاصة دراسة المستشرقة الألمانية زيجفرد هونكة، وقد عاشت في أوروبا وقرأت العهدين القديم والجديد، واستطاعت عن علم أن تعرف مكانة المرأة في الإسلام المعرفة الصحيحة، بعيدًا عن مؤثرات الآراء الخاطئة التي تحملتها أوروبا نحو الإسلام بعامة والمرأة المسلمة بخاصة.

وبقراءتها لترجمة معاني القرآن الكريم وفهمها أحكامه، أخذت تصحح مفاهيم مواطنيها فإن «القرآن الكريم بصفته الدستور الإلهي الذي ينص على التشريعات والحدود المنظمة لكافة المجالات الدينية والدنيوية، الشخصية والعامة، إنما يؤكد أنه لا فرق بين الذكر والأنثى لا في الجوهر ولا في التكريم، ويساوي بينهما مساواة تامة في كافة العبادات وأمور العقيدة، وفي الناحية الخلقية البحتة، كما في الأمور المالية المادية والاجتماعية»(١).

وبعد عرضها لبعض نصوص العهد القديم التي تصور آدم وحواء في صراع أزلي، وتتحول الصورة في أسفار العهد الجديد إلى كراهية، تجد الإسلام لا يصف المرأة بأنها أصل الخطيئة ولا يعرف الصراع بين الجنسين لا في الحياة الزوجية ولا في الحياة العامة، بل يذكر القرآن ما جعله الله ﷻ من مودة ورحمة بين الأزواج: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١].

كذلك فإن الرسول ﷺ أوصى بالنساء خيرًا كما أنه أوصى بالأمهات أكثر من وصيته بالآباء، وحرم القرآن وأد البنات وساوى بينهن وبين الذكور في التربية.

---

(١) زيجفرد هونكة (الله ليس كذلك) ص ٦١ ترجمة د/ غريب محمد غريب، دار الشروق - مؤسسة بافاريا ومجلة النور الكويتية.

ضرورة الجهاد العلمي المتواصل:

لم تعرف أمة الإسلام طبقة المثقفين النخبة أو الصفوة بالمفهوم الغربي المعاصر - أي: التي تكتفي بالتزوُّد بالمعارف وتمضي في تثقيف ذاتها إلى الدرجات العليا التي تؤهلها إلى قيادة مجتمعاتها بقدر نبوغها في مجالات الفكر المحض والنظريات، أي: محصورة في دائرة الفلك النظري فحسب، وربما كانت سلوكيات أغلبها مخالفة تمامًا لما تدعو إليه من فضائل وآداب ومثل عليا!

لم تعرف أمة الإسلام هذا الصنف من الناس، ولكن عرفت الطبقات العليا من العلماء المجتهدين من أهل الحل والعقد، المتخصصين في التفسير والحديث والفقه، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فضلًا عن قيامهم بالتعليم والوعظ والتربية، وكافتهم يحرصون في المقام الأول على الاستناد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مع الحرص على العبادات والالتزام بالسلوك الإسلامي القويم[1].

فإن على المسلم المعاصر واجب الجهاد العلمي المتوصل، لتسلم له ثقافته ويحتفظ بأصالة شخصيته لكي لا تذوب بفعل أجهزة الإعلام الجبارة المسلحة على فكرة (العولمة) هادفة إلى صهر ثقافات الغير الغربية في أتونها.

وتتميز الثقافة الإسلامية، فضلًا عن العقائد الإيمانية وفي أعلاها عقيدة التوحيد الخالصة من أية شائبة من الشرك، تتميز بالجانب التعبُّدي، والعنصر السلوكي المتمثل في العبادات، ولها دورها في تنبيه الإنسان المسلم إلى حقيقة وجوده، وتعريفه بمغزى حياته، وحثّه على تحسين سلوكه دائمًا إلى الأفضل، فيظل طوال حياته حريصًا على صلته بالله ﷻ:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ

(١) (الزهاد الأوائل) ط. دار (الخلفاء الراشدون) بالإسكندرية.

وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ٢٢]، أي: متذللًا بالعبودية، مقرًّا بالألوهية: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مطيع لله في أمره ونهيه، ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ بالطرف الأوثق، الذي لا يخاف انقطاعه من يمسك به، ﴿عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ مرجع كل أمر، خير وشر، وهو المجازي عنه[1].

وقد اجتهد العلماء والباحثون في محاولة معرفة مغزى الأمور التعبدية، ومن أقربها توفيقًا ما ذهب إليه الأستاذ / رؤوف أبو سعدة، فكتب «الصلاة تُريك نفسك في صورة العبد خمس مرات في اليوم والليلة، فتُذكرك بمن أنت»، والزكاة تدلُّك على أنك عامل في أرض الله بأمر الله، تؤدي خراجها في سبيله ﷻ وفق ما أمرك، والصوم يذكرك بأنك طاعم من رزق الله، إن شاء أطعمك وإن شاء حرمك، والحج لمن استطاع عليه سبيلًا يُذكّرك بالمنتهى، في يوم مجموع له الناس وقد تقطع بهم الأسباب- إلا من وجهته ﷻ - كلهم ضارع إليه، يستغفره ويسأله ويستعينه»[2].

انتهى الكتاب بعون الله وتوفيقه ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.
[هود: ٨٨]

❊ ❊ ❊

---

(١) مختصر تفسير الإمام الطبري - دار الشروق.

(٢) ص ١٦٩ جـ١ من كتاب (من إعجاز القرآن) - رؤوف أبو سعدة / دار الهلال سنة ١٩٩٣ م.

فهرس المراجع

١ - (اتجاهات الانفصال وممارسات التقسيم في المنطقة) السفير أمين يسري.

٢- (آراء فلسفية في أزمة العصر) أدريين كوخ، ترجمة محمود محمود مكتبة الأنجلو المصرية سبتمبر سنة ١٩٦٣م.

٣- (أرنولد توينبي) لمعي المطيعي. دار الكاتب العربي بالقاهرة العدد١٤٨ سنة ١٩٦٧م.

٤ - (إسرائيل فتنة الأجيال، العصور الحديثة) إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي بمصر المحرم سنة ١٣٩٠ هـ - مارس ١٩٧٠ م.

٥- (إسلاميات السنهوري باشا) د/ محمد عمارة، دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

٦- (أصول الدعوة) د/ عبد الكريم زيدان، مكتبة المنار الإسلامية ببغداد ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٧- (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) د/ محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بمصر ١٣٨٨ هـ١٩٦٨م.

٨- (الاختراق الصهيونى للمسيحية) دار الشروق (١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م).

٩- (الإسلام الفاتح) د/ حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٠ - (الإسلام بين الشرق والغرب)علي عزت بيجوفيتش، ترجمة محمد يوسف عدس، توزيع دار الشروق بالقاهرة رجب ١٤١٤ هـ - يناير سنة ١٩٩٤م.

١١ - (الإسلام بين أمسه وغده) د/ محمود قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩م.

١٢- (الإسلام عام ٢٠٠٠) د/ مراد هوفمان ترجمة عادل المعلم مكتبة الشروق نوفمبر سنة ١٩٩٥م.

١٣- (الإسلام على مفترق الطرق) محمد أسد .

١٤- (الإسلام في الغرب)، تأليف جون بول رو وتعريب نجدة هاجر، وسعيد العز، المكتب التجاري - بيروت - نوفمبر سنة (١٩٦٠ م).

١٥- (الإسلام في مواجهة تيارات الفكر الغربي المعاصر) د/ محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية- سوتر - الإسكندرية ١٩٩٥م.

١٦- (الإسلام كبديل) د/ مراد هوفمان، ترجمة د/ غريب محمد غريب، مجلة النور الكويتية ومؤسسة بافاريا شوال ١٤١٣ هـ/ أبريل سنة ١٩٩٣م.

١٧- (الإسلام والسياسة ـ الرد على شبهات العلمانيين) د. محمد عمارة من سلسلة مجمع البحوث الإسلامية ١٤١٣ - ١٩٩٢م.

١٨- (الإسلام والغرب) مكتبة الآداب بالقاهرة ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٤ م.

١٩- (الإسلام والقرن الواحد والعشرون شروط نهضة المسلمين) جارودي، ترجمة كمال جاد الله - الدار العالمية للكتب والنشر بالقاهرة سنة ١٩٩٩ م.

٢٠- (الإسلام والمواجهة الشاملة) محمد دياب ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة العدد (١٤٩) شعبان سنة ١٣٩٣ هـ- سبتمبر ١٩٧٣م.

٢١- (الاعتصام) للإمام الشاطبي، تحقيق الشيخ / رشيد رضا دار المعرفة بيروت ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

٢٢- (الإعلان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان ومقارنته بالإعلان العالمي لهيمنة الأمم المتحدة) للأستاذ عبد الحفيظ نصار دار الهدى - ميامي إسكندرية سنة ١٩٩٧ .

٢٣- (الأقباط في السياسة المصرية، مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية)

د/ مصطفى الفقي، مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٩ م.

٢٤- (الإنسان والحضارة في العصر الصناعي) د/ فؤاد زكريا، مركز كتب الشرق الأوسط مايو سنة ١٩٥٧م.

٢٥- (التبشير والاستعمار في البلاد العربية) د/ مصطفى خالدي، ود/ عمر فروخ. المكتبة العصرية ـ بيروت ط ٥ ١٩٧٣م.

٢٦- (التغريب، طوفان من الغرب) لواء أحمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢٧- (التوسع في التعليم العالي وأثره في الفكر الديني في المجتمعات العربية المعاصرة) مقال بقلم ديل إيكلمان ، من كتاب (الكتاب في العالم العربي) تحرير جورج عطية، وترجمة عبد الستار الخلوجي، من سلسلة (عالم المعرفة) بالكويت - أكتوبر ٢٠٠٣م.

٢٨- (الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني وإدارة التكامل القومي) د/ حامد ربيع، دار الموقف العربي بالقاهرة.

٢٩- (الجامعة الإسلامية وأوروبا) رفيق العظم.

٣٠- (الجامعة الإسلامية وأوروبا) محمد عبد الله السمان مقدة، سلسلة الثقافة الإسلامية (٤٣) ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٩م.

٣١- (الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية) د. فؤاد زكريا، ط. عين شمس سنة ١٩٧٢م.

٣٢- (الحرب الصليبية الثامنة - العدوان على العراق) الفريق سعد الدين الشاذلي.

٣٣- (الحضارة)، د/ حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة بالكويت سنة ١٩٨٥ م.

٣٤- (الحملة الأمريكية - متعربون وسفراء ورحالة) ترجمة محمد الخولي كتاب الهلال يونيو ١٩٩٦م صفحات (٧٠/ ٨٢/ ٨٧).

٣٥- (الدول الكبرى في القرن العشرين من البزوغ إلى الأفول) روبرت أ. باستور.

٣٦- (الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط) د/ علي الصلابي (٤٩٢- ٤٩٩)، (٥٠٣- ٥٠٧) دار المعرفة ـ بيروت .

٣٧- (الدين في عالم اليوم) ميران مشيدلوف، ترجمة جمال السيد، دار العالم الجديد (١٩٩٠م).

٣٨- (الزهاد الأوائل) ط. دار (الخلفاء الراشدون) بالإسكندرية.

٣٩- (السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم – أصول وضوابط)د/ محمد محمد عاشور، ط. دار السلام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٤٠- (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) ابن تيمية، ضبط وتعليق وتخريج محمد خالد العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م.

٤١- (السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية) الشيخ عبد الوهاب خلاف، هدية مجلة الأزهر لشهر ذي القعدة سنة ١٤٣٢ هـ.

٤٢- (الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد) د/ سليمان صالح، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٧م.

٤٣- (الصحوة الإسلامية عودة إلى الذات) ط. دار الأمل الإسكندرية - باكوس.

٤٤- (العروبة والشعوبية الحديثة) محمد جميل بيهم، نقاش مع الأساتذة (أنطوان سعادة، كمال جنبلاط، سلامة موسى، د/ أمير بقطر)، ط. دار الكشاف – بيروت شعبان ١٣٧٦ هـ – مارس ١٩٥٧م.

٤٥- (العقاد في معاركه السياسية) سامح كريم، مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٠م.

٤٦- (العلم والدين في الفلسفة المعاصرة) إميل بونرو. ترجمة د. أحمد فؤاد الأهواني- الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٣ م.

٤٧- (الفكر الثوري في مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو)د/ عبد العظيم رمضان

ص٤٩ مكتبة الأسرة بمصر ٢٠٠٤م.
٤٨ - (الفلسفة الخلقية. نشأتها وتطورها) د. توفيق الطويل، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٧م.
٤٩ - (القوى الخفية التي تحكم العالم) تأليف: جان مينو، أستاذ العلوم السياسية بجامعة مونتريال، دار البحوث العلمية (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م).
٥٠ - (الله ليس كذلك) زيجفرد هونكة، ترجمة د/ غريب محمد غريب، دار الشروق - مؤسسة بافاريا ومجلة النور الكويتية.
٥١ - (المؤامرة ومعركة المصير - كيف ولماذا وقعت مأساة يونيو سنة ٦٧) سعد جمعة. كتاب المختار بالقاهرة بدون تاريخ.
٥٢ - (المجلىٰ شرح القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ) للعلامة محمد صالح العُثيمين) تأليف كاملة الكواري ، دار ابن حزم - بيروت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٥٣ - (المجمل في تاريخ علم الأخلاق) د. هـ. سدجويك جـ١ . ترجمة وتعليق د. توفيق الطويل وعبد الحميد حمدي - دار نشر الثقافة بالإسكندرية ١٩٤٩م
٥٤ - (المسيح اليهودي ونهاية العالم- المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا) رضا هلال، مكتبة الشروق (١٤٢١ هـ -٢٠٠٠ م).
٥٥ - (المشرق الإسلامي في العصر الحديث)د/ حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية بمصر صفر ١٣٥٨ إبريل ١٩٣٨م.
٥٦ - (المشروع القومي الذي لم يتم - بحث في نزعات التوحيد) د/ ذوقان قرقوط ١٩١٣م- ١٩٥٢م)، مكتبة مدبولي ٢٠٠٦م.
٥٧ - (المصحف الميسر) بتفسير الشيخ عبد الجليل عيسى. ط. الشروق ١٣٩١ هـ.
٥٨ - (المفكرون من سقراط إلى سارتر)هنري توماس ودانالي توماس ،

ترجمة عثمان نوبة – مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٠م.

٥٩- (المنار) أنور الجندي، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٨٣م.

٦٠- (النظام العالمي القديم والجديد) نعوم تشومسكي، مكتبة الأسرة بمصر - ٢٠١٠م

٦١- (أمريكا تقحم الدين في السياسة لإضعاف الكنائس الشرقية) مقال الأستاذ جميل مطر، جريدة (الحياة) في ١٧/ ١٠/ ١٩٩٧ م.

٦٢- (انحلال سحر العلمانية والمفاصلة الكاثوليكية).

٦٣- (باشوات ولا برباشوات- صورة مصر في عصرين) د/ حسين مؤنس، ط ٢ الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨ م.

٦٤- (بعض المستور في إطلاق سراح الأسرى) فهمي هويدي، الشروق في ٢٧ ذو القعدة سنة ١٤٣٢ هـ - ٢٥/ ١٠/ ٢٠١١م.

٦٥- (تاريخ الفلسفة الحديثة) يوسف كرم ، ط. دار المعارف بمصر١٩٦٩م.

٦٦- (تاريخ الفلسفة الغربية) الكتاب الثالث - برتراندرسل، ترجمة محمد فتحي الشنطي. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧م.

٦٧- (تاريخ مصر الإسلامية) كتاب بقلم د/ سيدة كاشف، د/ جمال سرور، ود/ سعيد عبد الفتاح عاشور، - الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩٣م.

٦٨- (تجديد الفكر العربي) د. زكي نجيب محمود، دار الشروق - القاهرة ١٩٨٢م.

٦٩- (تحقيق الوصال بين القلب والقرآن) مجدي الهلالي، مؤسسة اقرأ - القاهرة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٧٠- (تغريب العالم الإسلامي) سيرج لاتوش تعريب خليل كلفت ط. دار العالم الثالث الثقافية بالقاهرة ١٩٩٢م.

٧١- (تغريب العالم) سيرج لاتوش ترجمة خليل طلعت دار العالم الثالث بالتعاون مع البعثة الفرنسية للأبحاث قسم الترجمة بالقاهرة سنة ١٩٨٣م.
٧٢- (تفسير ابن كثير) طبعة دار الشعب بالقاهرة.
٧٣- (تفسير المؤمنين) عبد الودود يوسف، ومراجعة د/ مصطفى الخن، ط. المؤسسة العلمية - دمشق ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م.
٧٤- (تنصير العالم - مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني).
٧٥- (توجيهات متناقضة ووعي اجتماعي مشتت) السيد ياسين، مقال بعنوان: جريدة الأهرام بتاريخ ١٢ رجب ١٤٢٨هـ - ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٧م،.
٧٦- (ثأر الله -الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث) جيل كيبل: ترجمة: نصيرة مردة دار قرطبة - ليماسول - ط. ٢ سنة ١٩٩٨ م.
٧٧- (ثقافتنا في مواجهة العصر) د. زكي نجيب محمود، دار الشروق يناير ١٩٧٦م.
٧٨- (حاضر العالم الإسلامي) شكيب أرسلان (١/ ٢٨٧ ، ٢٨٨) دار الفكر بيروت ط ٣. ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
٧٩- (حرب صليبية بكل المقاييس)،د/ زينب عبد العزيز دار الكتاب العربي دمشق / القاهرة (٢٠٠٣).
٨٠- (حكامنا أوفياء لوصية لويس)عبد الفتاح أنور البطة، مقال بعنوان جريدة الأهرام بتاريخ ٢٣ ذو الحجة سنة ١٤٣٢ هـ/ ١٩ نوفمبر ٢٠١١م.
٨١- (خلف الستار، وجه آخر لأفغانستان) خالد منصور ص٥٩.كتاب اليوم العدد رقم ٥٤٩نوفمبر ٢٠١٠م.
٨٢- (د. رشدي فكار في حوار متواصل حول: مشاكل العصر) إعداد خميس البكري مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م.
٨٣- (دور جامعة القاهرة في بناء مصر الحديثة) دونالد مالكولم ريد ، ترجمة إكرام يوسف. مكتبة الأسرة ٢٠٠٧م.

٨٤- (دولة المافيا.. ومافيا الدولة) أسامة غيث جريدة الأهرام بتاريخ ١٤ ربيع الآخر ١٤٣٢ - ١٩/ ٣/ ٢٠١١ ص١٣.

٨٥- (رحلة الفكر الإسلامي من التأثر إلى التأزم) د/ محمد السيد الشاهد، دار المنتخب العربي/ بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

٨٦- (رسالة المغرب) مقال بقلم د/ إدريس الكتاني، مجلة (المختار الإسلامي) غرة جمادي الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٨ مايو ٢٠٠٦م.

٨٧- (رسالة في الأصولية البروتستانتينية والسياسة الخارجية الأمريكية) سمير مرقص، مكتبة الشروق (١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م).

٨٨- (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) محمود محمد شاكر، كتاب (الهلال) بمصر العدد ٤٨٩ سبتمبر سنة ١٩٩١م.

٨٩- (رياض الصالحين)

٩٠- (زيارة جديدة للتاريخ).

٩١- (سارة أو ..عبقرية الشك) د/ سهير القلماوي، مقال بمجلة (الهلال) عدد خاص: العقاد. أول إبريل سنة ١٩٦٧ م - ٢١ ذو الحجة سنة ١٣٨٦ هـ..

٩٢- (سافونا رولا- الراهب الثائر) بقلم د/ حسن عثمان (ص٢٣) ط. دار الكاتب المصري سنة (١٩٤٧م).

٩٣- (سر إسلام روَّاد الفكر الحر في أوروبا وعلماء الدين المسيحي الأجلاء) محمد عبد العظيم، وهو رأي المهتدي للإسلام عبد الهادي هوفمان المتحدث الرسمي باسم الحزب المسيحي الديمقراطي بألمانيا.

٩٤- (سلامة موسى وإشكالية النهضة) د/ كمال عبد اللطيف. مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٩م.

٩٥- (سلوك المالك في تدبير الممالك) تأليف ابن أبي الربيع، وتحقيق د/ حامد ربيع- دار الشعب بالقاهرة (١٤٠٠ هـ -١٩٨٠).

٩٦- (شخصية مصر - دراسة في عبقرية المكان) د/ جمال حمدان ، كتاب

الهلال بمصر العدد ١٩٦ ربيع الأول سنة ١٣٨٧ هـ - يوليو سنة ١٩٦٧ م.

٩٧- (صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي) صامويل هنتنجتون ترجمة طلعت الشايب، تقديم د/ صلاح قنصوة ط. سطور بالقاهرة ١٩٩٨م.

٩٨- (صدام أم انسجام) الشرق والغرب تأليف رحيم زاده، ومهدي أميرون، ترجمة أنور إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠١١ م.

٩٩- (صفحة الفكر الديني بالأهرام) ٢٢ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ ١١/ ٦/ ٢٠٠٤م.

١٠٠- (صورة الإسلام في الغرب) د/ دهام العزاي، مقال بعنوان: ص(١٨٢) مجلة شئون عربية شتاء ٢٠١٠م العدد ١٤٤.

١٠١- (طه حسين جدل الفكر والسياسة) أحمد زكريا الشلق مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٩ م.

١٠٢- (عالم الإسلام) د/ حسين مؤنس، بتصرف يسير دار المعارف بمصر ١٩٧٣ م.

١٠٣- (عبد الوهاب عزّام رائدًا ومفكرًا) د/ السباعي محمد السباعي ١٨٩٤-١٩٥٩م. مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٩م.

١٠٤- (علم أصول الفقه) عبد الوهاب خلاف ط ٧ القاهرة سنة ١٩٥٦ م.

١٠٥- (علم البديع - رؤية جديدة) د/ أحمد فضل. الدار العربية للتوزيع بالإسكندرية ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.

١٠٦- (علم نفسك الإسلام) على سبيل المثال للدكتور نبيل عبد السلام هارون دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٠٧- (عن الحرية أتحدث) د/ زكي نجيب محمود دار الشروق سنة ١٩٨٦م.

١٠٨- (عودة الوعي) توفيق الحكيم دار الشروق ٢٠٠٦م).

١٠٩- (عيون البصائر)، محمد البشير الإبراهيمي الشركة الوطنية للنشر

والتوزيع – الجزائر بدون تاريخ نشر.

١١٠ – (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للنيسابوري تحقيق وتعليق د / حمزة النشرتي، والشيخ عبد الحفيظ فرغلي، ود/ عبد الحميد مصطفى توزيع الأهرام ١٩٩٣م.

١١١ – (غياث الأمم في التياث الظلم) الإمام الجويني الغياثي، مؤسسة الريان ودار الزاحم - الرياض ١٤٢٨ هـ -٢٠٠٧ م.

١١٢ – (فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ شخصيته وعصره) د. محمد علي الصلابي، دار ابن كثير- دمشق/ بيروت ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١١٣ – (فقه الأولويات في الإسلام) د/ مجدي الهلال، دار التوزيع والنشر الإسلامي بالقاهرة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١١٤ – (فكر المسلم المعاصر، ما الذي يشغله) د/ حتحوت مطابع الأهرام سنة ١٩٩٢م.

١١٥ – (فى فلسفة التاريخ)د/ أحمد صبحى.

١١٦ – (في مفترق الطرق) د. زكي نجيب محمود، ط. الشروق ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

١١٧ – (قراءة للمستقبل) د/ مصطفى محمود، كتاب (أخبار اليوم) سنة ١٩٩١م.

١١٨ – (قسمات العالم الإسلامي المعاصر) للدكتور/ مصطفى مؤمن ط. دار الفتح ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١١٩ – (قصة الحضارة: عصر الإيمان عصر النهضة) ويل ديورانت، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط. مكتبة الأسرة سنة (٢٠٠١ م).

١٢٠ – (قصة الفلسفة) د. مراد وهبة، ط. دار الثقافة الجديدة بالقاهرة ١٩٨٠ م.

١٢١ - (قضايا الفكر الفلسفي المعاصر) د/ عبد الوهاب جعفر، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية سنة ٢٠١٠م.

١٢٢ - (قمم وأفكار إسلامية) سامح كريّم، دار ألف للنشر، دار الوفاء للنشر سنة ١٩٨٤م.

١٢٣ - (قيم من التراث) زكي نجيب محمود، مكتبة الأسرة، سنة ١٩٩٩م.

١٢٤ - (كيف نفهم التطرف الديني) مقال: إدريس الكتاني ، كتاب العربي: (المسلمون والعصر) الكتاب الرابع عشر، ١٥ يناير سنة ١٩٨٧م.

١٢٥ - (لويس فرقان يتحدث) مقال بقلم محمد جمال عرفة جريدة (الشعب) القاهرة ٢٣ شعبان ١٤١٨هـ، ٢٣ ديسمبر ١٩٩٧م.

١٢٦ - (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) أبو الحسن الندوي، دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١٢٧ - (محاسن التأويل) محمد جمال الدين القاسمي ج ٣، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط. عيسى البابي الحلبي (دار إحياء الكتب العربية) ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

١٢٨ - (محمد ﷺ) كارين أرمسترونج، ترجمة د/ فاطمة نصر، ود/ محمد عناني، ط. سطور سنة ١٩٩٨م.

١٢٩ - (مخططات استعمار العالم الإسلامي) ط. دار الثقافة بمكة المكرمة ١٣٨٤ هـ- ١٩٦٥م.

١٣٠ - (مرحلة جديدة من الحوار بين الثقافات) مقال بعنوان بقلم الأستاذ عبد العزيز التويجري، جريدة الحياة اللندنية ٢٧ محرم سنة ١٤٣٣ هـ/ ٢٣ ديسمبر ٢٠١١م.

١٣١ - (مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج) أبو الحسن الندوي، ط.دار السلام ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٣٢ - (مستقبل الثقافة في مصر) د/ طه حسين طبعة دار المعارف بمصر

سنة ١٩٩٦م.

١٣٣- (مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام) أنور الجندي، مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م.

١٣٤- (معالم الحضارة الإسلامية) د/ مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين بيروت – نوفمبر ١٩٧٨م.

١٣٥- (معالم الشخصية الإسلامية) د/ عمر سليمان الأشقر، بتصرف دار النفائس - الأردن ط. ٦ ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م.

١٣٦- (مقال بعنوان: درس في التربية) د/ سعيد إسماعيل علي، جريدة الوفد في ٧ رجب ١٤٢٨هـ - ٢١ يوليو ٢٠٠٧م.

١٣٧- (من إعجاز القرآن - رؤوف أبو سعدة / دار الهلال سنة ١٩٩٣ م.

١٣٨- (منهج إسلامي في تدريس الفلسفة الأوروبية الحديثة والمعاصرة في الجامعة) بحث بعنوان: مجلة (الجمعية الفلسفية المصرية) العدد الرابع ـ السنة الرابعة ـ يناير سنة ١٩٩٦م.

١٣٩- (موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية) د/ أحمد شلبي – دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصرة ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم، مكتبة النهضة ١٩٧٩م

١٤٠- (نداء الإسلام) محمود محمد الصواف، دار العلم – عمان، ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م.

١٤١- (نكبة فلسطين من منظور فقه التاريخ) ط. دار الخلفاء الراشدين بالاسكندرية.

١٤٢- (يا مسلمي العالم اتحدوا) عبد الفتاح عبد الحميد، دار الأنصار بالقاهرة يوليو ١٩٧٦م.

١٤٣- الأستاذ أحمد بهجت، مقال بعنوان(الحق لا القوة) جريدة الأهرام في ٢٧ جمادي الآخرة سنة ١٤٢٨ هـ ١٢ يوليو ٢٠٠٧م.

١٤٤ - جريدة (المصريون) ٢٩/ ١٢/ ١٤٣٢ هـ - ٢٥/ ١١/ ٢٠١١ م.

١٤٥ - الشريعة، للإمام أبي بكر الآجري تحقيق محمد حامد الفقي. دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م.

١٤٦ - عن الحرية أتحدث، دار الشروق سنة ١٩٨٦م.

١٤٧ - فقه الأوليات.

١٤٨ - الفلسفة الخلقية.

١٤٩ - في الفكر الإسلامي - للدكتور إبراهيم مدكور، سميركو للطباعة والنشر القاهرة.

١٥٠ - قيم من التراث.

١٥١ - مجلة (المختار الإسلامي) القاهرة ربيع الأول ١٤٢٥ هـ- مايو سنة ٢٠٠٤ م.

١٥٢ - مجلة المسلمون العدد الأول، السنة الأولى، غرة ربيع الأول ١٣٧١هـ - ٣٠ نوفمبر ١٩٥١ م.

١٥٣ - مجموع الفتاوى.

١٥٤ - مختصر تفسير الإمام الطبري - دار الشروق.

١٥٥ - مخطط استعمار العالم الإسلامي طبعة دار الثقافة بمكة المكرمة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

١٥٦ - مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي ترجمة محمد عبد العظيم، مكتبة عمار بالقاهرة ١٣٩١ هـ -١٩٧١م.

١٥٧ - مقدمة مذكرات السلطان عبد الحميد بقلم الدكتور محمد حرب عبد الحميد. ط. دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٨م .

١٥٨ - (هل فرنسا عنصرية؟) شريف الشوباشي، مطابع الأهرام بالقاهرة ١٩٩٢م.

فهرس الموضوعات